

الغزل العذري حتى نهاية العصر الأموي أصوله وبواعثه وبنيتة الفنية

رسالة تقدم بها الطالب

كريم قاسم جابر الربيعي

إلى مجلس كلية التربية / جامعة البصرة

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية

وآدابها

بإشراف

الأستاذ المساعد

الدكتور : جبار عودة بدن الشحمان

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

توصية المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ

(الغزل العذري حتى نهاية العصر الأموي أصوله وبواعثه وبنيته الفنية)

قد جرى تحت إشرافي في قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة البصرة وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

الإمضاء :

أ . م . د . جبار عودة بدن الشحمان

٢٠١٢ / /

توصية رئيس قسم اللغة العربية

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

الإمضاء :

م . د . د . علي عبد رمضان

٢٠١٢ / /

قرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أننا قد اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ

(الغزل العذري حتى نهاية العصر الأموي أصوله وبواعثه وبنيته الفنية)

المقدمة من قبل الطالب (كريم قاسم جابر) وناقشناه في محتوياتها وفي ما له علاقة بها
ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / الأدب وبتقدير
(جيد جداً) .

الإمضاء :

أ . م . د . أحمد حياوي مهجر السعد

عضواً

٢٠١٢ / /

الإمضاء :

أ . م . د . نضال إبراهيم ياسين

رئيساً

٢٠١٢ / /

الإمضاء :

أ . م . د . جبار عودة بدن الشحمان

عضواً ومشرفاً

٢٠١٢ / /

الإمضاء :

أ . م . د . جبار عباس نعمه اللامي

عضواً

٢٠١٢ / /

مصادقة مجلس كلية التربية

صادق مجلس كلية التربية - جامعة البصرة على قرار لجنة المناقشة

الإمضاء :

أ . م . د . حسين عودة هاشم

عميد كلية التربية

٢٠١٢ / /



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي

مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ

لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا



صدق الله العلي العظيم

(سورة الإسراء: الآية : ٨٠)

الإهداء

الإهداء

إِلَيْكُمْ يَا مَنْ وَقَفْتُمْ إِلَى جَانِبِي.. رَدَّ بَعْضُ جَمِيلِ أَمْتُنْ بِهِ لَكُمْ ...

أَبِي .. وَ أُمِّي .. أَخَوَتِي .. وَأَخَوَاتِي .

وَالِى: مَنْ وَقَفَ إِلَى جَانِبِي بِدَرْبِي الشَّاقِّ فِي دِرَاسَتِي فَكَانَ نَعَم

الصَّدِيقُ ... أَبُو مَرْيَمَ مُصْطَفَى

وَالِى: مَنْ لَا أَنْسَى فَضْلَهَا مَا حَيَّيْتُ.. نَبْعَ الطَّيْبَةِ .. وَنَهْلَ الْوَفَاءِ

.. وَدِلَاءَ الْعِطَاءِ .. وَفَضَاءَ الْمَحَبَّةِ .. زَوْجَتِي .

وَالِى : زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. أَوْلَادِي .

كَرِيم

شكر و عرفان

شكر وامتنان

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره ، وخلق الأشياء ناطقة بحمده وشكره ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ...

من دواعي العرفان بالجميل أن أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير العظيم والامتنان إلى أستاذي ومشرفي الفاضل الأستاذ المساعد الدكتور جبار عودة بدن الشحمان لمساهمته الجادة والفعلية في مشروع البحث وإعداد الرسالة وتقديم عطائه العلمي وتوجيهاته القيمة فضلاً عن مساندته المعنوية وتشجيعه المتواصل وكذلك لإصراره في إنجاز هذه الرسالة وإخراجها بأفضل صورة . فكان بحق رافداً للعطاء العلمي والتربوي ، تعلمتُ منه الكثير . اللهم قدر له الخير وأجعل جهوده التي بذلها في ميزان الحسنات .

وأود أن أنوه إلى ملاحظة في غاية الأهمية وهي ، أنّ البذور الأولى لموضوع هذه الرسالة كانت من اقتراح المرحوم الأستاذ الدكتور حسن جبار محمد الشمسي رحمة الله تعالى عليه .

كذلك أتوجه بالشكر والامتنان إلى عمادة كلية التربية ورئاسة قسم اللغة العربية لما أبدوه من مساعدة في إكمال متطلبات البحث ، كما أتوجه بالشكر إلى الأصدقاء والزملاء من طلبة الدراسات العليا لتشجيعهم لي ، وأخص بالذكر الأخوة سراج محمد يعقوب وعمر عباس خضير وعلي حسن هذيلي وسلام عبد الواحد جبارة وأحمد هاشم حسن فقد كانوا بحق مثال الأخوة الصادقة في تعاونهم . ولا أنسى بيت الحاج لعبيبي جاسم وأولاده ، غازي وبشير وأحمد وسعد وعقيل الذين أعانوني في إنجاز هذا البحث .

وفي الختام ، أتقدم بعظيم الامتنان وفاءً وإجلالاً إلى خيمة المودة والحنان أسرتي الكريمة لتحملهم كافة المسؤوليات من أجل توفير الأجواء الدراسية لي إضافة إلى الدعم المعنوي المتواصل فجزاهم الله خيراً وأدامهم لي عوناً . أسأل العليّ التقدير أن يقدرني على رد الجميل للجميع إنه نعم المولى ونعم النصير .

والله ولي التوفيق

الباحث

المحتويات

المحتويات

ت	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة .	أ - ت
٢	التمهيد : الغزل العذري في الدلالة اللغوية والاصطلاحية .	١ - ٦
٣	الفصل الأول : الغزل العذري وحقيقة الجذور :	٨ - ٤٩
٤	المبحث الأول : نشأة الغزل العذري .	١٠ - ٢٤
٥	المبحث الثاني : حقيقة الغزل العذري .	٢٦ - ٣٣
٦	المبحث الثالث : خصائص الغزل العذري .	٣٥ - ٤٩
٧	الفصل الثاني : البواعث الموضوعية للغزل العذري :	٥٠ - ١١٣
٨	المبحث الأول : الباعث الديني .	٥٣ - ٦٩
٩	المبحث الثاني : الباعث الاجتماعي .	٧١ - ٨٥
١٠	المبحث الثالث : الباعث السياسي .	٨٧ - ٩٩
١١	المبحث الرابع : الباعث الحضاري .	١٠١ - ١١٣
١٢	الفصل الثالث : البنية الفنية للغزل العذري :	١١٤ - ١٨٠
١٣	المبحث الأول : اللغة والأسلوب .	١١٧ - ١٢٧
١٤	المبحث الثاني : الصورة الشعرية .	١٢٩ - ١٣٩
١٥	المبحث الثالث : الإيقاع .	١٤١ - ١٦٦
١٦	المبحث الرابع : بناء القصيدة .	١٦٨ - ١٨٠
١٧	الخاتمة .	١٨٢ - ١٨٥
١٨	فهرس المصادر والمراجع .	١٨٧ - ٢٠٩
١٩	الملخص باللغة الانكليزية (ABSTRACT)	A - D

المقدمة

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

وبعد :

تنطلق هذه الدراسة من تصورات جوهريّة في قراءة " الغزل العذري حتى
نهاية العصر الأموي أصوله وبواعثه وبنيتّه الفنيّة " فالمجال الحقيقي لهذه الدراسة
ليس المعرفة وإنما هو معرفة المعرفة . ذلك أن اشتغال هذه الدراسة منصب على
معرفة الجذور الجاهلية التي أسست لهذا النوع من الغزل ، وكذلك الإبداع الموجود
في هذا الغزل .

والعمل في ذلك مهمة شاقة وصعبة ، لأن الباحث في هذا النوع من الدراسات
يجب أن يكون ملماً بأصول الغزل العذري ، وذلك ما حاول أن يلم به مدركاً أن
الإحاطة أمر في غاية الصعوبة ، نظراً لعمق الظاهرة العذرية .

إن الدافع الأساس لاختيار هذا الموضوع ؛ هو الرغبة بالإحاطة بالتراث
القديم ، وكذلك الإلمام بهذه الثقافة التي جاءتنا عن طريق المشافهة لآعن طريق
التدوين ، بوصف العصر الجاهلي عصر الشفاهية وليس عصرًا للتدوين . فكان
يحاول أن يجمع التراث ، فالتراث لا يثمن إلا بالإلمام به هذا أولاً ، ثم قراءته قراءة
حديثّة تستكشف جمالياته ، وتميط اللثام عن مكنوناته ، لاسيما إذا كانت هذه القراءة
الحديثة على وعي كبير بالتراث هذا من جهة ، واستيعاب الأصول التي تؤدي إلى
الغرض المطلوب من جهةٍ أخرى .

فالقراءة الواعية هي وحدها القادرة على نقله من المستوى الذي يحتكم إلى
المعيارية النقدية ، إلى المستوى الذي يحتكم في إطاره المرجعي إلى منطق
السؤال ، ويخضع لمبدأ الاحتمال والتنوع الذي ينفي كل ما هو أحادي ، ويثبت كل
ما هو منفتح على أفق التعدد الذي يتيح إمكانات أكبر في الفهم والإثراء ...

وانطلاقاً من هذه التصورات التي تعتمد عليها نظرية القراءة الحديثة ، تنطلق
هذه الدراسة في معرفة " الغزل العذري حتى نهاية العصر الأموي أصوله وبواعثه
وبنيتّه الفنيّة " . فضلاً عن أنّ التحكم في الأصول ليس مطلباً سهلاً المأخذ ، ولكنه
يحتاج إلى ممارسة مستمرة وخبرة كبيرة ، وهذا لا يتأتى إلا بالوعي الكامل
بالمركّزات الأساسية لمعرفة هذه الأصول .

فالنص العذري الراقي الذي يحمل معطيات الديمومة والاستمرارية يظل مفتوحاً في نظر الباحث لأنه رسالة لا تُحدد شفراتها ، فهو لا يقبل القراءات المعيارية التي تدعي قول الحقيقة بلغة الجزم . وبعد قراءات متعددة في التراث الشعري العربي ، والقراءات النقدية الحديثة له ، لفت انتباهنا اهتمام هذه الأخيرة بالظاهرة العذرية ، فبدت الظاهرة الواحدة المتعددة والتعامل معها يحكمه منطق السؤال ويرفض الأجوبة اليقينية .

لقد كانت الظاهرة العذرية موضوع دراسات نقدية متعددة ، وكل هذه القراءات أجهدت نفسها في مقاربتها وحاولت الاقتراب من عالمها ، بأدوات إجرائية مختلفة ، مما أعطى ثراءً نقدياً لا سيما أن منطلقاتها المعرفية وأدواتها الإجرائية متباينة الرؤى . وشجع على تعدد المقاربات النقدية لهذه الظاهرة وتباين رؤاها ما تتميز به الظاهرة العذرية من طابع إنساني ، وجمالية فنية ، ورسالة ذات شفرة غير مُحددة تحديداً واضحاً . فهي ظاهرة مفتوحة دوماً ، متعددة الاحتمالات والتنوعات . وتلك هي ميزة الفن الراقي الذي يخترق حجب الزمن ليعيش في اللازمان ، فيكون أرضية خصبة يفتح صدره لكل قراءة جادة تحاول أن تتعامل مع الخطاب الشعري بأدوات فيها من الجدة والأصالة ، لتفك شفراته دون أن تسقط ، وإنما تطرح السؤال ليتفق عنه الأسئلة المتعددة والمختلفة .

فالظاهرة العذرية ذات أبعاد دلالية عديدة ، يمكن أن تكشف مقاربتها عن أنها ليست مجرد ما نعنيه بكلمة الجنس الأدبي من الناحية التقليدية ، وإنما هي ظاهرة تحمل رؤى متعددة ، لا يمكن تفجير مكوناتها إلا عن طريق السؤال المبني على أسس علمية دقيقة . وتبعاً لذلك تباينت القراءات في مقاربتها لهذه الظاهرة لتباين منطلقاتها المعرفية .

أما المصادر والمراجع التي اعتمدها ، فلا شك في أن كتاب " الأغاني " للأصفهاني كان في مقدمة المصادر القديمة التي أفاد منها ، يليه كتاب " تزيين الأسواق في أخبار العشاق " للأنطاكي ، ومن المراجع الحديثة ، كان كتاب " الحب المثالي عند العرب " للدكتور : يوسف خليف ، وكتاب " الغزل في العصر الجاهلي " للدكتور : أحمد محمد الحوفي ، وكتاب " الغزل العذري دراسة في الحب المقموع " للدكتور : يوسف اليوسف ، وكتاب " الحب العذري .. نشأته وتطوره " للدكتور : أحمد عبد الستار الجوارى ، وكتاب " البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل في صدر الإسلام والعصر الأموي " للدكتور : شاكر هادي حمود التميمي ، وكتاب " في الشعر الإسلامي والأموي " للدكتور : عبد القادر القط ، وكتاب " تطور

الغزل بين الجاهلية والإسلام " للدكتور : شكري فيصل ، وكتاب " الغزل في عصر صدر الإسلام " للدكتور: حسن جبار محمد الشمسي ، وغيرها من الكتب التي تحدثت عن الغزل العذري ، فضلاً عن الرسائل والبحوث ، هذه المصادر والمراجع أضاءت للباحث الدروب المظلمة ، وساعدته على وضع قدمه على بداية الطريق .

هذا وقد تألفت مادة الرسالة من ثلاثة فصول يسبقها تمهيد وتُعقبها خاتمة ، تناول الباحث في التمهيد " الغزل العذري في الدلالة اللغوية والاصطلاحية " ثم لخص في الخاتمة ما توصل إليه البحث من نتائج .

أما **الفصل الأول** ، فقد عُرض فيه " للغزل العذري وحقيقة الجذور " ، وقُسم على ثلاثة مباحث ، تناول المبحث الأول " نشأة الغزل العذري " في العصر الجاهلي ، أما المبحث الثاني فقد تناول " حقيقة الغزل العذري " ، يليه المبحث الثالث وقد خُصص " لخصائص الغزل العذري " ، وينوه الباحث أنه سوف يوسع من دائرة الشعراء فلا يقتصر على الذين عرفوا بالغزل العذري ، بل سوف تشمل الدراسة كل مَنْ قال غزلاً عذرياً كالشنفرى والنابعة الذبياني وغيرهم .

وعقد **الفصل الثاني** لدراسة " البواعث الموضوعية للغزل العذري " ، وقُسم على أربعة مباحث كانت على التوالي : الباعث الديني والباعث الاجتماعي والباعث السياسي والباعث الحضاري ، وكان التداخل بين هذه البواعث تداخلاً نسبياً ، يكاد يكون مباشراً من جهة ، وغير مباشر من جهة أخرى .

وخصّص **الفصل الثالث** لدراسة " البنية الفنية للغزل العذري " ، وعلى المنوال نفسه قُسم على أربعة مباحث ، تناول في المبحث الأول " اللغة والأسلوب " ، وفي المبحث الثاني " الصورة الشعرية " ، وفي المبحث الثالث " الإيقاع " ، وفي المبحث الرابع " بناء القصيدة " .

وفي الخاتمة : عرض الباحث ملخصاً لمادة الدراسة ، ثم دَوّن النتائج التي خرج بها من هذه الدراسة ، والتي كانت محصلة البحث بأكمله .

وأخيراً فإنني آمل أن أكون قد وفقت ووفيت الدراسة حقها ، وإن كنت قد قصرت أو تعثرت ، فعذري في ذلك أني طالب علم ، وما زلت بحاجة إلى توجيهات أهل العلم ونصائحهم ، وبحاجة إلى نقدهم البناء ؛ كي تخرج هذه الدراسة إلى حيز الوجود سليمة معافاة من العثرات والزلات قدر الإمكان ، والله الموفق للسداد والرشاد .

التمهيد

الغزل العذري

في الدلالة اللغوية والاصطلاحية

الغزل العذري في الدلالة اللغوية والاصطلاحية :

الغزل من الموضوعات الشعرية التي كثر النظم فيها ، وهو من أقدم الأغراض الشعرية التي أبدع فيها الشعراء ، لأن أول ما وجدَ الإنسان أمامه نصفاً من كيانه يشاركه الحياة جنباً لجنب ، فراح الإنسان يبحث عن إرضائها بالكلمة الطيبة الرقيقة اللطيفة ، متودداً ، واصفاً جمالها الساحر وصوتها الطروب ، فاستأنست المرأة لذلك ، وتطور هذا الحديث حتى أصبح غرضاً شعرياً يصدر من أعماق الشاعر ، فاحتل هذا الغرض المكانة الأهم من بين الأغراض الشعرية الأخرى .

العذرية لغة :

جاء في " تهذيب اللغة " : (والعُذرةُ : الناصية ... والعُذرةُ : وجع في الحلق ... خاتم البكر ... العلامة) (١) .

وفي " معجم الصحاح " : (والعُذرةُ : وجعُ الحلق من الدم ، وذلك الموضع أيضاً يسمى عُذرةً ، وهو قريب من اللهاة . وعُذرةُ الفرس : ما على المنسج من الشعر ، والجمع عُذْرٌ . وقال الأصمعي : العُذرةُ : الخُصلة من الشعر ، وأنشد لأبي النجم : [الرجز]

مشي العذارى الشعث ينفضن العُذْر (٢)

وعُذرةُ : قبيلة من اليمن ... والعُذرةُ : البكارة . والعذراء : البكر ... ويقال : فلان أبو عُذرها ، إذا كان هو الذي اقترعها واقتضَّها . وقولهم : ما أنت بذي عُذْرٍ هذا الكلام ، أي لست بأول من اقتضَّه (٣) .

(١) تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، راجعه : محمد علي النجار ، دار الصادق للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٤ م ، مادة : (عذر) .

(٢) ديوان أبي النجم العجلي ، الفضل بن قدامة (ت ١٣٠ هـ) ، جمعه وشرحه وحققه : الدكتور . محمد أديب عبد الواحد جمران ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م ، ص ١٥٨ .

(٣) معجم الصحاح ، للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري ، اعتنى به : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م ، مادة : (عذر) .

وجاء في " اللسان " : (والعُذرةُ : نجم إذا طلع اشتد غم الحر ، وهي تطلع بعد الشعري ... وتعذر الأمر : عدم استقامته ؛ أي صعوبته وتعسره ... والعُذرة : البكارة ، وجارية عذراء : بكر لم يمسه رجل ...)^(١) .

وفي " القاموس المحيط " أن : (العذرُ ، بالضم : النجْحُ ، والغلبةُ ، وبهاء الناصيةُ ، وهي الخُصلةُ من الشعرِ ، وقُلْفَةُ الصبي ، والشعرُ على كاهلِ الفرسِ ، ... والبكارةُ ، وخمسةُ كواكب في آخر المجرة ، واقتِضاضُ الجاريةِ ، ومُفتَضُّها : أبو عذرها ، نجمٌ إذا طلع ، اشتدَّ الحرُّ ، والعلامةُ ، وداءٌ في الحلقِ ، كالعُدُورِ ، أو وجعُه من الدم . وعَذَرَهُ فَعَذَرَ ، وهو معذورٌ ، واسمُ ذلك الموضعِ ، وبلا لام : قبيلةٌ في اليمنِ . والعذراءُ : البكر ، والجمع : العذارى والعذارى والعذارواتُ)^(٢) .

وذكر " الزبيدي " أن من المجاز تسمية الرمل التي لم توطأ ، والدرة التي لم تُثَقَّبَ بالعذراء ...^(٣) .

وذكر " الحاتمي " أن العرب سمو الخمر التي لم تقتض بمزاج أو لم تُبزل من دَنِّ عذراء^(٤) ، وأستشهد على ذلك بقول الأخطل :

عذراء لم تجتل الخطابُ بهجتها حتى اجتلاها عبادي بدينار

والعذراء : لقب مريم ابنة عمران اقترن بذكرها ؛ لأنها البكر الوحيدة التي ولدت دون أن تُوطأ .

والعذراء هي امرأة عفيفة الجسد طاهرته ، استعفت من الزواج ، فأسقطت عنها متعة الوصال الجسدي ، وبنو عذرة ، قوم عفوا عن الشهوات الجسدية ، فأسقطت عنهم الريبة والإثم ، فلم يُتَهموا بهما ، ونحوهما هوى عذري ؛ أي عفيف أسقطت عنه الشهوة الجسدية وتبرأ منها ، وهو ما يعيننا من معاني مادة " عَذَرَ " اللغوية باشتقاقاتها المختلفة ، وتصاريدها الكثيرة .

(١) لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ) ، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، مادة (عذر) .

(٢) القاموس المحيط ، للعلامة اللغوي : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٧٢٩ - ٨١٧ هـ) ، إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، مادة : (عذر) .

(٣) ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ، المطبعة الخيرية بجمالية مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٦ هـ ، مادة (عذر) .

(٤) ينظر : الرسالة الموضحة (في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره) ، أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي ، تحقيق : الدكتور . محمد يوسف نجم ، دار صادر - دار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م ، ص ١٠٢ . والبيت ورد في ديوان الأخطل ، ص ١٤٣ .

العذرية اصطلاحاً :

وأما في الاصطلاح ، فإن لفظة " العذري " هي نسبة إلى بني عُذرة ^(١) ، وهي قبيلة من اليمن ، يرتد نسبها إلى قضاة . ذكر " الزبيدي " أنهم بنو عُذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . بطن عظيم من بطون قضاة ، من القحطانية ، وهم مشهورون بالعشق والعفة ، ومنهم عروة بن حزام صاحب عفرأ ^(٢) ، وإليهم يُنسب الغزل العذري .

وقد ورد في " المعجم الوسيط " قولهم : (هوى عذري : عفيف ، نسبة إلى بني عُذرة ؛ لاشتغالهم به) ^(٣) .

وهذه القبيلة التي ارتبط اسمها بالغزل العذري ، فنسب إليها دون غيرها من القبائل العربية . وقد تفرق بنو عُذرة في الأمصار الإسلامية حتى وصلوا إلى الأندلس ^(٤) ، (ويبدو أن هذه التسمية – أي تسمية هذا الغزل بالغزل العذري – هي تسمية حديثة أطلقها الدارسون والنقاد المحدثون على هذا النمط من الحب الذي مثله ذلك الغزل الذي عُرف بعفته ونزاهته ، وصدقه ، أما القدماء فلم يؤثر عنهم مصطلح الغزل العفيف) ^(٥) .

عرفت هذه القبيلة بكثرة عشاقها الذين انمازوا بالفصاحة والعفة في الحب والقصائد الرقيقة المؤثرة في النفوس ، العالقة بالأذهان واشتهرت بالغزل العذري .

(١) ينظر :

- ١- الحب في صدر الإسلام ، إقبال بركة ، دار قباء ، القاهرة ، ١٩٩٨ م ، ص ٣٥ .
- ٢- تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) ، الدكتور . شوقي ضيف ، منشورات ذوي القربى ، قم ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧ هـ ، ص ٣٥٩ .
- ٣- تاريخ الأدب العربي (العصر الأموي) ، الدكتور . قصي الحسين ، دار الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٢ م ، ص ١٨٧ .

(٢) ينظر : تاج العروس : مادة (عذر) .

- (٣) المعجم الوسيط ، أخرجه : إبراهيم مصطفى ، وحامد عبد القادر ، وأحمد حسن الزيات ، ومحمد علي النجار ، أشرف على طبعه : عبد السلام محمد هارون ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م ، ج ١ / ص ٥٩٦ .

(٤) ينظر : جمهرة انساب العرب ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ م ، ص ٤٨٦ .

- (٥) العفة في الغزل العذري بين الحقيقة والوهم ، (بحث) للدكتورة . نضال إبراهيم ياسين ، مركز دراسات الخليج العربي ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م ، ص ٣ .

وكثرت أخبار الرواة عن بني عُذرة وعشاقها ، وقد أوردت عدة مصادر ومراجع هذه الأخبار التي تحدثت عن شهرة هذه القبيلة بهذا الفن ^(١) .

فقد رجع الباحث إلى الكتب التراثية التي تناولت موضوع الحب ، فوجدها تحدثت عن الغزل العذري تحت مفهوم العفة ، فابن داود ، عقد لهذا اللون من الحب فصلاً " عنوانه " من كان ظريفاً فليكن عفيفاً " ^(٢) ، بيّن فيه أن العفة في هذا الحب تعمل على تخليده وصونه من الدنس ، فقال : (ولو لم تكن عفة المتحابين عن الأدناس ، وتحاميتها ما يُنكر في عُرف كافة الناس ، محرماً في الشرائع ، ولا مستقبلاً في الطبائع ، لكان الواجب على كل واحد منهما تركه إبقاءً وده عند صاحبه ، وإبقاءً على ودّ صاحبه عنده) ^(٣) .

ولعل سبب نسبة هذا الغزل إلى قبيلة عُذرة دون غيرها من القبائل العربية راجع لما انمازت به هذه القبيلة من جمال النساء وعفة الرجال ، فضلاً عن وجود البيئة المناسبة لظهور مثل هذا الغزل ، ويمكن ذكر سبب آخر هو أنتساب عروة بن حزام لهذه القبيلة ، وهو شاعر مخضرم ، قيل إنه توفي سنة ٣٠ هـ وقيل سنة ٢٨ هـ ^(٤) . لهذا نستطيع أن نَعُدّه أول شاعر غزل عذري سبق شعراء هذا النوع من الغزل في العصر الأموي ، بفنه وشعره العفيف الذي يلم خصائص ومميزات هذا الغزل ، وهناك أسباب أخرى ذكرها بعض الباحثين ^(٥) .

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر والاستقصاء :

١- اتجاهات الشعر في العصر الأموي ، الدكتور . صلاح الدين الهادي ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م ، ص ٤٢٩ .

٢- قيس ولبنى شعر ودراسة ، تحقيق : الدكتور . حسين نصار ، الناشر : مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة ، ١٩٦١ م ، ص ١٠ .

(٢) ينظر : الزهرة ، أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني ، حققه وقدم له وعلق عليه : الدكتور . إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار ، الأردن - الزرقاء ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م ، ج ١ / ص ١١٧ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ينظر : تزيين الأسواق في أخبار العشاق ، للعلامة الطبيب الضرير داود الأنطاكي ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣ م ، ج ١ / ص ١٣٤ .

(٥) ينظر :

١- كثير عزة حياته وشعره ، الدكتور . أحمد الربيعي ، طبع ونشر : دار المعارف بمصر ، ١٩٦٧ م ، ص ٧٢ .

٢- الحب المثالي عند العرب ، الدكتور . يوسف خليف ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٦١ م ، ص ١٦ - ١٧ .

وقد تأمل الباحث تعريفات معظم الباحثين والأدباء المحدثين للغزل العذري ، فوجد أنها - على اختلافها - تجمع على خصائص معينة ، تثبت أن الغزل العذري - في الأصل - غزل عفيف . حيث يعرفه أحد الباحثين بأنه (حب خالص من شوائب الدنس والرجس ، هو حب طاهر شريف ، لا يعرف مخزيات المآثم ، ولا مُنديات الأهواء) (١) .

ونجد في شعر " جميل بن عبد الله بن معمر العذري " مرجعاً لهذه الظاهرة حين قال موبخاً أحد أذعياء العشق من عُذرة نفسها :

وَيُعْجِبُنِي مِنْ جَعْفَرٍ أَنْ جَعْفَرًا مُلِحٌّ عَلَى قُرْصٍ وَيَبْكِي عَلَى جُمْلٍ
فَلَوْ كُنْتُ عُذْرِي الْعَلَاقَةَ لَمْ تَكُنْ بَطِينًا وَأَنْسَاكَ الْهَوَى كَثْرَةَ الْأَكْلِ (٢)

فجميل هنا يذكر ما أسماه " العلاقة العذرية " أي الغزل العذري بيد أنه نسبته إلى عُذرة قبيلته فحسب ، مشيراً إلى طبيعة هذه العلاقة ومميزاً لها عن سواها .

ولا يعني هذا أن الغزل العذري اقتصر على بني عُذرة ، فهناك قبائل عربية أخرى اشتهرت به ، مثل قبيلة عامر بن صعصعة من نزار الذين اشتهروا بالحب المفضي إلى الجنون أحياناً ، ومنهم قيس بن الملوح الذي لقب بـ " مجنون ليلى " ، فضلاً عن شهرة قبائل عربية أخرى بهذا الفن (٣) .

وربما أتى ارتباط هذا الغزل بقبيلة عُذرة لما للمعنى اللغوي من تقارب مع الدلالة الاصطلاحية ، فالتزام العفة في الغزل يدنو من المعنى اللغوي لكلمة " عُذرة " في أحد معانيها " خاتم البكر " (٤) .

وبعد أن تعرفنا على لفظة " العذري " لغةً واصطلاحاً ، علينا أن نَقِفَ وقفة تأمل عند " الغزل العذري " ما هو ؟ : إنه لون من ألوان الغزل عرفه العرب في العصر الجاهلي إلا أنه لم يكتسب ثباته ورسوخ معالمه واستقلاله فناً شعرياً له ملامح خاصة إلا في العصر الأموي ، حيث برز من قبيلة عُذرة شعراء مارسوا

(١) العشاق الثلاثة ، زكي مبارك ، طبعة المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، د . ت ، ص ١١ .
(٢) ديوان جميل بثينة ، تقديم وشرح وتعليق : الدكتور . محمد حمود ، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م ، ص ١٠٧ .
(٣) ينظر : كثير عزة حياته وشعره : ٧٢ - ٧٣ .
(٤) ينظر : الصورة الشعرية في الغزل العذري ، الدكتورة . دلال هاشم كريم الكفاني ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ٢٠١١ م ، ص ٣٠ .

التمهيد ***** الغزل العذري في الدلالة اللغوية والاصطلاحية

هذا الفن واقتصر على نسبة إلىهم وسمي بهم ، وهو شعور يصور في غالبه (أحاسيس مجردة في الحب تعبر عن حالات شعورية متقاربة من الشوق والوجدان والحرمان والذكريات والأمنيات)^(١) ، وتشيع فيه حرارة العاطفة التي تصور خلجات النفس وفرحة اللقاء وآلام الفراق ، ويقتصر فيه الشاعر على محبوبة واحدة ربحاً من حياته أو مدة حياته .

فالغزل العذري إذن : هو ذلك الغزل الذي يطغى عليه الحزن واليأس والحرمان ونجد فيه حرارة الوجدان مع عاطفة متدفقة ، وقد رافقه الحزن والألم منذ نشأته ، فأصبح سمة أساسية من سماته ، لذا فمن الطبيعي أن نجد جذوراً في الشعر العربي قبل العصر الأموي تصور الحزن وألم الفراق والشوق والحنين إلى المرأة . ويمكننا أن نأخذ هذه السمات بعين الاعتبار فنجد لها مطابقة للسمات التي تميز بها شعر الشعراء المتيمين في العصر الجاهلي^(٢) ، وما علينا إثباته من ضمن إجراءات البحث هو علاقة هؤلاء الشعراء بالغزل العذري ، وأنهم أساس هذا الغزل والأصل الذي نهل منه الشعراء فيما بعد ...

(١) في الشعر الإسلامي والأموي ، الدكتور . عبد القادر القط ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، ص ١٣٣ .

(٢) وما أصدق تسمية هؤلاء العشاق بالمتيمين فالتتيم هو : التعبد . يقال تيمه الحب : يعني تعبدته . وتيمته الحبيبة : استعبدت قلبه بحبها . ينظر : القاموس المحيط : مادة (تيم) .

الفصل الأول

الغزل العذري وحقيقة الجذور :

- المبحث الأول : نشأة الغـزل العذري .
- المبحث الثاني : حقيقة الغـزل العذري .
- المبحث الثالث : خصائص الغـزل العذري .

الفصل الأول

الغزل العذري وحقيقة الجذور

ذهب بعض من الدارسين - كما سيبين البحث - إلى أن الغزل العذري ظاهرة انفردت بها البادية العربية في العصر الأموي وحده ، أو هو لون انفردت به قبيلة عذرة من بين القبائل العربية الأخرى ، ومن خلال تتبع الباحث للشعر العربي القديم وجد أن جذور هذا الغزل تمتد إلى العصر الجاهلي . وأن المجتمع الجاهلي عرف طائفة من الشعراء العشاق أطلق عليهم اسم " المتيمين " ، وقد كانت حياة هؤلاء المتيمين بما فيها " من قصص وشعر " متشابهة ومتماثلة مع حياة العذريين الأمويين . فلا يعقل أن تقوم ظاهرة دون أن تكون لها جذور تستند إليها ، وإن كانت هذه الجذور بسيطة لا تصل إلى المستوى المطلوب إلا أنها تمثل أصل تلك الظاهرة .

هذه هي الفكرة الأساسية التي يريد الباحث عرضها من خلال هذا الفصل ، محاولاً إمطة اللثام عنها ، وإزالة الغموض الذي اكتنفها من كل جانب ، وكشف الحقيقة التي طالما تغافل عنها بعض من الباحثين في الأدب العربي وإظهارها ، ألا وهي أن الغزل العذري ظاهرة نشأت وترعرعت في العصر الجاهلي . لذا عمدت إلى معرفة الجذور الحقيقة لهذا النوع من الغزل عن طريق المباحث الآتية :

- ١- نشأة الغزل العذري .
- ٢- حقيقة الغزل العذري .
- ٣- خصائص الغزل العذري .

المبحث الأول

نشأة الغزل العذري

نشأة الغزل العذري :

سار الغزل العذري في العصر الجاهلي بخطى تبدو سريعة حيناً ووثيدة حيناً آخر ، وذلك تفاوت اقتضته ظروف الجاهليين البيئية والاجتماعية وما يتصل بهما من عوامل وأسباب .

وطبيعي أن المقصود بأصل الغزل العذري ، الجذر الذي قام عليه هذا البناء المتكامل في الشعر العربي ، والمقصود بالنشأة ، التطور الذي مر به الغزل العذري في رحلته الطويلة من العصر الجاهلي إلى العصور التي تلتها فيما بعد (١) .

فالمتميمون الجاهليون هم طليعة اتجاه الغزل العذري ، صاغوا شعرهم على غير نماذج سابقة ، ثم خلفوا لمن جاء بعدهم من العذريين نماذج يحتذونها ويطورونها وينهضون بفنهم الشعري على مثالها . وفيما عدا ذلك فشعر المتممين في اتجاهه العام وفي صورته الثابتة هو شعر العذريين نفسه ، أو - بعبارة أدق - هو الخطوة الأولى في هذا الاتجاه الذي سار فيه العذريون بعد ذلك ، أو هو الخطوة المميزة لهذه الصورة التي استغلها العذريون واعتمدوا عليها في تطوير فنهم ، والنهوض به ، والوصول به إلى تلك القمة العالية التي وصلوا إليها . فالاتجاه العام لشعر المتممين هو ذلك الاتجاه الصراعي الذي يسجل جوانب المأساة التي يعيشها أصحابه ، والذي رأيناه من بعد في شعر العذريين ، والصورة الثابتة له هي تلك الصورة المثالية التي يعيش أصحابها في عالم خلقوه لأنفسهم ، وهي الصورة نفسها التي رأيناها أيضاً عند العذريين (٢) .

(١) ينظر : تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، الدكتور . نوري حمودي القيسي ، والدكتور . عادل جاسم البياتي ، والدكتور . مصطفى عبد اللطيف ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، ص ٤٣ .

(٢) ينظر : الحب المثالي عند العرب : ٧٠ .

وينقسم الدارسون في نشأة الظاهرة العذرية " الغزل العذري " على قسمين ، قسم يرى أنه أموي النشأة وأنه من المستحيل أن يظهر بطهارته ، وقديسيته قبل عصر بني أمية ^(١) . وقسم آخر يرى أن أصوله مشتقة من مقدمات وقصائد وجدت في الشعر الجاهلي . والباحث يميل إلى هذا الرأي .

يرى أحد الباحثين (إن الغزل العذري لم ينشأ في العصر الإسلامي ، ولم يصير فناً مستقلاً في العصر الإسلامي ، وإنما نشأ ، وكان فناً مستقلاً في العصر الجاهلي . ولكن هذا لا يمنع من الإقرار بأن الحياة الإسلامية كانت مشجعة على عفة الحب وعذرية الغزل ، لأن الإسلام نظم علاقة الرجال بالنساء ، وحظر الاستجابة للغريزة الجنسية إلا من طريق الزواج ، وحرم البغاء وسما بالعقيدة والأخلاق ، فكان منمياً للحب العذري لا منشئاً لهما) ^(٢) . وأضاف الباحث قائلاً : (إن العصر الجاهلي هو منشأ الغزل العذري) ^(٣) . ويؤيد ذلك قول أحد الباحثين : (شاع الغزل العذري العفيف في العصر الأموي وعرفته غير قبيلة ... إلا أنه ليس بوليد العصر الأموي ، وإلى امتداد جذوره في العصر الجاهلي) ^(٤) .

وهذا ما يذهب إليه باحث آخر بعد أن ذكر طائفة من شعراء الغزل الحسي ، يقول : (على أن منهم من كان يتسامى في غزله حتى ليكن القول بأن الغزل العذري له أصوله في الجاهلية عند عنتره وأضرابه) ^(٥) . وآخر يقول

(١) ومنهم على سبيل المثال لا الحصر والاستقصاء :

- ١- الدكتور شكري فيصل في (تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام " من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة " مطبعة جامعة دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م ، ص ٢٥٠) .
- ٢- الدكتور شوقي ضيف في (العصر الإسلامي : ص ٣٥٩ - ٣٦١) .
- ٣- الدكتور أحمد عبد الستار الجوّاري في (الحب العذري نشأته وتطوره ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦ م ، ص ٦١) .
- ٤- الدكتور محمد غنيمي هلال في (النقد الأدبي الحديث ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ٢٠٠٥ م ، ص ١٨٨) .
- ٥- حسان أبو رحاب في (الغزل عند العرب ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م ، ص ١٦٩ - ١٧١) .
- (٢) الغزل في العصر الجاهلي ، الدكتور أحمد محمد الحوفي ، دار القلم ، بيروت - لبنان ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م ، ص ١٨١ .
- (٣) المصدر نفسه : ٢١٣ .
- (٤) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ، الدكتور . يوسف بكار ، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ - ٢٠٠٩ م ، ص ٥٤ .
- (٥) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، الدكتور . شوقي ضيف ، منشورات ذوي القربى ، قم ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧ هـ ، ص ٢١٤ .

: (لقد انحدر الغزل الأموي من الغزل الجاهلي ...) (١) . هذا وغيره من الأسباب
سوغ للباحثة أن تقول : (تعود جذور الغزل العذري الذي شاع وانتشر أيام بني
أمية إلى العصر الجاهلي ممثلة في الشعراء " المتيمين " الذين وضعوا اللبنة
الأولى في صرح هذا اللون من الحب) (٢) . ومع أنها أشارت إلى أن الجذر الأول
للغزل العذري الأموي هو جذرٌ جاهلي إلا أنها لم توثق الرأي بالتطبيق ، ومن هنا
كانت دراستنا لجذور الغزل العذري في هذا الفصل قائمة على إثبات هذه الجذور
بشكل تطبيقي من خلال النصوص الشعرية .

إن الظاهرة العذرية لما تحمله من نظرة روحية وبعد إنساني ونزعة
عاطفية ، جعلت بعض الدراسات الحديثة لا توقف مصادر نشأتها عند الحيز
المكاني والزمني الذي نشأت فيه وإنما تذهب إلى أن إرهاباتها وجدت قبل الحقبة
الأموية ببعيد (إذ كان للبيئة العربية أثر في التمهيد لنشأة هذا النوع من الغزل ، إذ
كانت مهداً له ، والبادية بما فيها من مناظر جميلة رتيبة ، وبما كانت تدفع إليه من
الشظف والجهد في سبيل العيش وما كانت تستلزمه من تعاون قبلي ، ساعدت على
تكوين أخلاق وتقاليد جديدة ، سرت في روح العربي وتمكنت من نفسه ، ومنها
البطولة في الحرب ، والوفاء بالعهد ، وحماية الجار ، وقد طبعت هذه التقاليد
والأخلاق العربي على الشهامة والنجدة والاعتداد بالنفس ، وهي من صفات
الفروسية التي ظهرت آثارها في عاطفته ، وحبه ، فهو يحب أن يظهر أمام حبيبته
بمظهر القوي الذي يحميها ويخاطر في سبيلها) (٣) .

(١) تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية) ، عمر فروخ ، دار
العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨ م ، ج ١ / ص ٣٦٨ .
وينظر :

١- الحب المثالي عند العرب : ٥٧ .

٢- الغزل في عصر صدر الإسلام ، الدكتور . حسن جبار محمد الشمسي ، مؤسسة الوراق للنشر
والتوزيع ، عمان - الأردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ م ، ص ٤١ . وغيرهم من الباحثين الذين
عزوا نشأة الغزل بشقيه إلى العصر الجاهلي ، وهو ما نرجحه .

(٢) شعر الغزل العذري في العصر العباسي (شعراؤه واتجاهاته الموضوعية والفنية) ، لنا عبد ربه
خورشيد الشخير ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الآداب ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ،
ص ٩ .

(٣) ليلى والمجنون في الأدبين العربي والفارسي ، دراسات نقدية ومقارنة في الحب العذري والحب الصوفي
من مسائل الأدب المقارن ، الدكتور . محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣ م
، ص ١٩ .

فأخلاق العربي لها أبعاد حضارية اصطبغت بها نفسه وكان لها التأثير البالغ في نظرته للمرأة كمحوبة ، وبذلك يجد الدارس أن أخلاق العربي ما هي إلا افرازات للطبيعة التي كان يعيش فيها ، فكان يريد أن يحقق ذاته من خلال الآخر " المحبوب " ولذلك كانت المرأة بالنسبة إليه طرفاً يحقق ذاته من خلاله فيخاطر بنفسه من أجل أن يظهر أمامها بمظهر الكمال المطلق (١) .

فالظاهرة العذرية ليست وليدة العصر الأموي وإنما كانت لها إرهاصات قبل هذه المدّة ، وأن اكتمال صورتها في هذه الحقبة دليل على أن جذورها سابقة لها لأنه من غير الممكن أن تولد واقفة بغير إرهاصات سابقة لها ، وما فروسية الجاهلي وتعلقه بالمحوبة في قيمتها المطلقة إلا دليل على عذرية الجاهلي ولكنها ليست كعذرية الأموي في بعدها الروحي والعرفاني وإنما إرهاص أولى للعذرية الأموية .

لذا يمكن للباحث أن يقول : إن الغزل العذري شجرة نبتت بذرتها في الجاهلية ، ثم ترعرعت وازدهرت في العصر الأموي واستمرت في العصر العباسي . وهكذا ظلت لهذا الغزل فروعه ... بعكس ما يذهب إليه " حسان أبو رحاب " (من أنه غاب واحتجب لأن أسبابه لم تعد قائمة فيه ، ولأنه وجد في هذا العصر من العوامل والأسباب ما ينافيه) (٢) . وإن الجذور الأولى لهذه الظاهرة متأصلة في تاريخ الأدب العربي القديم ، ومنشؤها في الشعر العربي يرتد إلى العصر الجاهلي ، لأننا نجد في الشعر الجاهلي قصائد ومقطوعات عبر فيها شعراؤها عن وجدهم ، وأشواقهم الروحية أكثر ما عبروا عن رغباتهم الحسية .

ومما تقدم ندرك أن العصر الجاهلي عرف هذا الغرض الشعري وعرف مجموعة من الشعراء المتيمين الذين كشفوا من خلال تجاربهم عن القيم الروحية في هذا الحب ، فكان أن اقترنت هذه التجارب بأسماء حبيبات معينات من مثل :

المرقش الأكبر وأسماء : وهو أحد عشاق العرب المشهورين وصاحبته أسماء وكان أبوها زوجاً رجلاً من مُراد والمرقش غائب ، فلما رجع أخبر فخرج

(١) ينظر : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : ٢٥٠ . حيث يرى الباحث أن من العبث أن نحدد ولادة هذا الفن الشعري .. ذلك أنه ظاهرة من الظواهر الفنية التي ترتبط أشد الارتباط بالظواهر الاجتماعية .. ومثل هذه الظواهر تمتاز بأنها ليست مفصولة عما قبلها ولا منفصلة عما بعدها .. فليس لها هذا التوقيت ، وليس في صورتها المكتملة التي نراها عليها ما يبيح لنا أن نقول إنها نشأت في هذا العصر أو استوت في هذه الفترة .

(٢) الغزل عند العرب : ٢٠٥ .

يريدها ومعه عسيف له من غفيلة فلما صار في بعض الطريق مرض حتى ما يُحمل إلا معروضاً فتركه الغفيلي هناك في غارٍ وانصرف إلى أهله فأخبرهم أنه مات فأخذه وضربوه حتى أقرّ فقتلوه . ويقال إن أسماء وقفت على أمره فبعثت إليه فحمل إليها وقد أكلت السباع أنفه (١) فقال :

يا صاحبي تَلَوَّما لا تَعَجَلا	إنَّ الرَّحِيلَ رَهِيْنُ أَنْ لا تَعْذَلا
فَلَعَلَّ بُطَأَكُما يُفَرِّطُ سَيِّئاً	أَوْ يَسْبِقُ الإسْراغُ سَيِّئاً مُقْبِلا
يا راكِباً إما عَرَضْتَ فَبَلَّغُنْ	أَنْسَ بَنَ سَعْدٍ إِنْ لَقِيتَ وَحَرَمَلا
للهِ دَرْكُما وَدَرُّ أَيْكُما	إِنْ أَفَلَّتِ الغُفْلِي حَتَّى يُقَتَّلا
مَنْ مُبْلَغُ الأَقْوامِ أَنْ مُرَقَّشاً	أَمْسى على الأَصْحابِ عَيْناً مُنْقَلا
ذَهَبَ السَّباعُ بِأنْفِهِ فَتَرَكَنَّهُ	أَعْنَى عَلَيَّهِ بِالْجِبالِ وَجَيِّلاً
وَكَأَنَّمَا تَرَدُّ السَّباعُ بِشِلْوَهِ	إِذْ غابَ جَمْعُ بَنِي ضُبَيْعَةَ مَنهَلا (٢)

ويقال بل كتب هذه الأبيات على خشب الرحل وكان يكتب بالحميرية فقرأها قومه فذلك ضربوا الغفيلي حتى أقرّ . ويقول المرقش الأكبر مصوراً حيرته النفسية وما يعانيه من قلق وعذاب وألم وهموم :

أَغالبُكَ القلبُ اللَّجوجُ صَبابَةً	وشوقاً إلى أسماء أم أنت غالبة؟
يهِيمُ ولا يَعْيا بأسماءِ قَلْبُهُ	كذاك الهوى إمراره وعواقبه
أُلحى امرؤ في حبِّ أسماءٍ قد نأى	بِغَمَزٍ من الواشين وازورَّ جانبُهُ
وأسماءُ هُمُ النفسُ إِنْ كُنْتَ عالِماً	وبادى أحاديثِ الفؤادِ وغائبُهُ
إِذا ذَكَرَتْها النفسُ ظَلَّتْ كَأَنَّني	يُزْعزِعني قَفْفافٍ ورِدٍ وصائبُهُ (٣)

فهو محير القلب في حبها ، يعاني من ذلك الصراع الحاد العنيف الذي يعاني منه كل عاشق من المتيمين ومن العذريين . لقد أصبحت أسماء كل شيء في

(١) ينظر : كتاب الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، ج ٦ / ص ٣٧٨ .

(٢) ديوان المرقشين ، تحقيق : كارين صادر ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٣ .

حياته ، إنها أمله الذي يرتجيه ونجوى فؤاده التي يعيش معها ، وإنه ليذكرها فيضطرب جسده وتأخذه الرعدة من كل أطرافه كأنما مسته حمى شديدة ، إنها نار تحرق جوانحه ، ولكنه مع ذلك يحبها ولا يستطيع نسيانها أو السلو عنها ، لقد غلبه حبها وانتصر عليه في ذلك الصراع المستعر بين عقله وقلبه ، وهو صراع ليست له دائماً سوى نتيجة واحدة ، هي غلبة القلب وانتصاره ، ووقوف العاشق عاجزاً أمام سهام الحب تنهال عليه من كل جانب فلا يملك لها دفعاً ولا ردّاً .

والمرقش الأكبر هو أول من هلل بالشعر ، إذا أخذنا الهلهلة بمعنى الإطالة ، يروي له المفضل الضبي ، فيما يرويه له من قصائد ، قصيدة تبلغ خمسة وثلاثين بيتاً ، وهي القصيدة التي تبدأ بقوله :

هَلْ بِالْدِّيارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمٌ لَوْ كَانَ رَسْمٌ ناطِقاً كَلَمٌ^(١)

غير أن الهلهلة باتت لا تطلق إلا على المهلهل - وهو عدي بن ربيعة - فإذا كانت أطول قصيدة عنده تبلغ سبعة وعشرين بيتاً ، برواية أبي علي القالي وهي التي تبدأ بقوله :

أَلَيْلَتْنَا بِذِي حُسْمٍ أَنْيرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَ تَحُورِي^(٢)

فكيف يكون هو مهلهل الشعر الأول ؟^(٣)

والمرقش الأصغر وفاطمة : يُقال إنه أخو الأكبر ويُقال إنه ابن أخيه ، وهو أحد عُشاق العرب المشهورين وصاحبه فاطمة بنت المنذر وكانت لها خادمة تجمع بينهما يقال لها " هند بنت عجلان " فذلك ذكرها في شعره . وكان للمرقش ابن عم يقال له عمرو بن جناب بن عوف بن مالك لا يؤثر عليه أحداً وكان لا يكتمه شيئاً من أمره فألحَّ عليه أن يخلفه ليلةً عند صاحبه فامتنع عليه زماناً ثم إنه أجابه إلى

(١) المفضليات ، اختارها أبو العباس المفضل بن محمد الضبي (١٦٨ هـ - ٧٨٤ م) ، تقديم وشرح وتعليق : الدكتور . محمد حمود ، دار الفكر اللبناني ، للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م ، ص ٢٣٣ . (المفضلية رقم : ٥٤) . وديوان المرقشين : ٦٧ .

(٢) الأصمعيات ، اختيارات أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٣ هـ) ، تحقيق الدكتور قصي الحسين ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأخيرة ، ٢٠٠٤ م ، ص ٧٧ . (الأصمعية رقم : ٥٣) .

(٣) ينظر :

١- دراسات في الأدب الجاهلي ، الدكتور . عبد العزيز نبوي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،

القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، ص ٤٨ - ٥٢ .

٢- تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام : ٤٣ - ٦٧ .

ذلك فعلمه كيف يصنع إذا دخل عليها فلما دنا منها أنكرت عليه مسه فنحته عنها وقالت : لعن الله سراً عند المُعيدي وجاءت الوليدة فأخرجته فأتى المرقش فأخبره فعضّ على إبهامه فقطعها أسفاً وهام على وجهه حياءً^(١) فذلك قوله :

ألا يا اسلمي لا صُرْمَ لي اليومَ فاطِماً ولا أبدأً ما دامَ وَصْلُكَ دائِماً
رَمَتْكَ ابْنَةُ الْبَكْرِىِّ عن فرعِ ضالَةٍ وهُنَّ بنا خوصٌ يُخْلَنَ نَعائِماً
تَرَاءَتْ لنا يومَ الرَّحِيلِ بِـواردٍ وعَذِبِ الثَّنَايا لم يَكُنْ مُتْرَاكِماً
سَقَاهُ حَبِيُّ الْمُزْنِ فـسـي مُتَهَدِّلٍ من الشَّمْسِ رَوَاهُ رَبَاباً سَواجِماً
صَحَا قَلْبُهُ عنها على أَنَّ ذِكْرَهُ إذا خَطَرَتْ دارَتْ به الأرضُ قائِماً
تَبَصَّرَ خَلِيلِي هل تَرى مِنْ طُعائِنِ خَرَجْنَ سِيراً عاً واقتَعَدْنَ المَفائِماً^(*)
وإنِّي لَأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةَ جَائِعاً خَمِيصاً وَأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةَ طَاعِماً
وإنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ والخَرْقُ بَيْنَنَا مخافَةً أَنْ تَلْقَى أَخاً لِي صارِماً
وإنِّي وإنْ كَلَّتْ قُلُوصِي لَرَاجِمٍ بِها وبنفسي يا فُطَيْمَ المَراجِمِ
أَفَاطِمَ إِنَّ الحُبَّ يَعْفُو عن القَلَى ويُجَشِّمُ ذا العَرَضِ الكَرِيمَ المَجاشِماً
أَفَاطِمَ لو أَنَّ النِّسَاءَ بِبِلَدِهِ وَأَنْتِ بِأُخْرَى لا تَبْعَتُكِ هائِماً
وَإِلَى جَنَابٍ حِلْفُهُ فَأَطَعْتُهُ فَنَفْسِكَ وَلِ اللَّوَمِ إِنْ كُنْتَ لائِماً
فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوِ لا يَعدَمُ على الغيِّ لائِماً
أَلَمْ تَرَ أَنَّ المرءَ يَجْذِمُ كَفَّهُ وَيَجَشِّمُ من لومِ الصَّدِيقِ المَجاشِماً
أَمِنْ حُلْمٍ أَصْبَحْتَ تَتَكُتُ واجِماً وَقَدْ تَعْتَرِي الأَحْلَامُ مَنْ كانَ نائِماً^(٢)

(١) ينظر : الأغاني : ٦ / ٣٨١ - ٣٨٤ .

(*) اقتعدن : ركنن . المفانم : الإبل العظام ، أو المراكب الوافية الواسعة ، مفردها مفام . ديوان المرقشين : ٩٨ .

(٢) ديوان المرقشين : ٩٧ - ١٠٠ .

فالشاعر بدأ القصيدة منوهاً بالوفاء ، وبين أثر الحبيبة في قلبه يوم
الفرار ، ووصف حسنهما ، والذاكرة التي تعاوده مما فعل . ثم نعت الطعائن ورسم
رحلتهم ، وأشار بعد إلى استحيائه فاطمة لما سبق من القول ، وتمنى لها خير
الأماني ، واستعطفها ، وأبان لها عن قوة حبه ، وأشار إلى حلف عمرو بن
جناب . وتحدث عما تقتضيه الصداقة من تجشم المجاشم وركوب الهول . ثم وصف
حاله في الوجوم كأنه حالم . لقد سيطر حبها على نفسه فهو لا يستطيع عنها
بعداً ، ولا يملك إذا ما غابت عنه عزاء يتسلى به عنها ، ولا صبراً يخفف من
أحزانه . ويقال هو عمرو بن حرملة وصاحبته هند بنت عجلان أمة كانت لبنت
عمرو بن هند (١) . وفيها يقول :

لَمْ يَتَعَفَّيْنِ وَالْعَهْدُ قَدْ دِيمَ	لَابِنَةُ عَجْلَانَ بِالْجَوِّ رُسُومَ
وَأَيُّ حَالٍ مِّنَ الدَّهْرِ تَدُومَ	لَابِنَةُ عَجْلَانَ إِذْ نَحْنُ مَعَا
عَلَى خُطُوبٍ كَنَحْتٍ بِالْقُدُومِ	يَا ابْنَةَ عَجْلَانَ مَا أَصْبَرَنِي
يَا ابْنَةَ عَجْلَانَ مِنْ وَقَعِ الْحُثُومِ (٢)	وَلِلْفَتَى غَائِلٌ يَغُولُهُ

ولم ينس الشاعر في نهاية القصيدة أن يذكر لابنة عجلان أن الموت غاية كل
حي .

وعبد الله بن العجلان : وكانت له زوجة يقال لها هند ، فطلقها ، ثم ندم على
ذلك ، فتزوجت زوجاً غيره ، فمات أسفاً عليها (٣) . فقد عاش مكابداً للحب وغصة
العشق ثلاثين سنة ، وهو جاهلي ضُرب به المثل كما ضُرب بعروة بن حزام (٤) ،
فما قيل فيه قول قيس بن ذريح :

فَمَا وَجَدْتُ وَجْدِي بِهَا أُمَّ وَاحِدٍ وَلَا وَجَدَ النَّهْدِيُّ وَجْداً عَلَى هِنْدٍ

(١) ينظر : الشعر والشعراء ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، حققه
وضبط نصه ووضع حواشيه : الدكتور . مفيد قميحه ، والأستاذ . أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ،
بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ، ص ١١٦ .

(٢) ديوان المرقشين : ٩٤ - ٩٦ .

(٣) ينظر : الأغاني : ٢٢ / ٤٣١ . وديوان عبد الله بن العجلان النهدي ، غني بجمعه وتحقيقه : إبراهيم
صالح ، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م ، ص ٧ .

(٤) ينظر : ديوان عبد الله بن العجلان النهدي : ١٠ . والغزل في عصر صدر الإسلام : ٤٢ .

وَلَا وَجَدَ الْعُذْرِيَّ عُرْوَةً فِي الْهَوَى كَوْجِدِي وَلَا مَنْ كَانَ قَبْلِي وَلَا بَعْدِي ^(١)
وكذلك قوله :

وفي عُرْوَةِ الْعُذْرِيِّ إِنَّ مِثْلَ أَسْوَةٍ وعمر بن عجلان الَّذِي قَتَلْتُ هُنْدُ
وبي مثل ما قد نابِه غير أَنَّنِي إِلَى أَجَلٍ لَمْ يَأْتِنِي وَقَتُّهُ بَعْدُ ^(٢)
أما أبو عبيدة فيذكر لنا عبد الله بن العجلان وعروة بن حزام إذ يقول :
فَمَا وَجَدَ النَّهْدِي إِذْ مَاتَ حَسْرَةً عَشِيَّةً بَانَتْ مِنْ حَبَائِلِهِ هُنْدُ
وَلَا عُرْوَةَ الْعُذْرِي إِذْ طَالَ وَجْدُهُ بعفراء حتى شَفَّ مَهْجَتَهُ الْوَجْدُ ^(٣)
وقال آخر يذكر عبد الله بن العجلان وجميل وعروة بن حزام والمرقش
الأكبر :

وَقَبْلَكَ مَاتَ مَنْ وَجَدَ بِهِنْدٍ أَخُو نَهْدٍ وَصَاحِبُهُ جَمِيلٌ
وعروة والمرقش هام دَهْرًا بِأَسْمَاءَ فَلَمْ يَغْنِ الْعَوِيلُ ^(٤)
وفي شعر العذريين الأمويين إشارات غير قليلة إلى هؤلاء المتيمين
الجاهليين - الذين هم محل الدراسة - وَمَنْ أَمْتَدَّ بِهِمُ الْأَجَلَ إِلَى مَا بَعْدَ ظُهُورِ
الإسلام ^(٥) ، الذين كانوا يرون فيهم مثلاً يتأسون بها في الرضا بالحرمان

(١) ديوان قيس بن ذريح (قيس لبنى) ، اعتنى به وشرحه : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، ص ٧٢ . وهذان
البيتان ينسبان أيضاً إلى جميل بن معمر (جميل بثينة) ، الديوان : ٤٣ .
(٢) ديوان قيس بن ذريح : ٧٣ . ويقال إن هذا الشعر لابن الدُمينة . ينظر : ديوانه ، صنعه : ثعلب وابن
حبيب ، تحقيق : أحمد راتب النفاخ ، طبعة مكتبة العروبة ، القاهرة ، ١٩٥٩ م ، ص ١٢٠ .
(٣) تزيين الأسواق : ١ / ١٢٩ - ١٣٠ .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) ينظر :

١- عروة بن حزام وعفراء ، الأغاني : ٢٤ / ٢٨٣ - ٢٩٨ . وتزيين الأسواق : ١ / ١٢٩ - ١٣٩ .
٢- مالك بن الصمصامة وجنوب ، تزيين الأسواق : ١ / ١٥٠ - ١٥٢ .
٣- عبد الله بن علقمة وحبيشة ، الأغاني : ٧ / ٢٠٣ - ٢١١ . وتزيين الأسواق : ١ / ١٥٣ - ١٥٥ .
٤- أبو مالك بن عبد الله بن مسعود وريا ، تزيين الأسواق : ١ / ١٦٧ - ١٦٩ .
٥- عتبة بن الحباب وريا ، تزيين الأسواق : ١ / ١٦٤ - ١٦٦ .
٦- مسعود بن خرشة وجميل ، الأغاني : ٢١ / ١٦٣ - ١٦٤ . وغيرهم .

، والصبر على آلام الوجد وتباريح الصبابة ، والاستسلام لهذا القدر المقدور الذي قضاه الله عليهم . فضلاً عما ذكرنا سلفاً ، يقول جميل بثينة :

وعاذلين ألحوا في محبتهم ها يا ليتهم وجدوا مثلي الذي أجد
لما أطالوا عتابي فيك قلت لهم لا تكثرُوا بعض هذا اللوم واقتصدُوا
قد مات قبلي أخو نهدي وصاحبهُ مُرقش واشتفى من عروّة الكمْد
وكُلهم كان من عشقٍ مَنِيئُهُ وقد وَجَدْتُ بها فوق الذي وَجَدُوا
إنِّي لأحسبُ أو قد كِدْتُ أعلمُهُ أن سَوَفَ تُورِدني الحوضَ الذي وردوا
إن لم تَنلني بمعرُوفٍ تجودُ به أو يدفع الله عني الواحدُ الصَّمْدُ
فما يضُرُّ امرأاً أمسى وأنتِ له أن لا يَكُونَ من الدُّنيا له سَنَدُ (١)

فقضية المتيمين الجاهليين والإسلاميين ثابتة بشهادة العذريين الأمويين أنفسهم ، وثبتت هذه القضية ينتهي بنا إلى نتيجة لا شك فيها ، أو – بعبارة أصحاب القضاء – إلى حكم لا يقبل النقض ، وهو أن الحب العذري ليس ثمرة للحياة الأموية ، وليس له من هذه الحياة سوى أسمه فقط ، وإنما هو قديم منذ العصر الجاهلي ، وثمره للحياة الاجتماعية في هذا العصر (٢) .

وما يثبت هذه القضية قول شعراء آخرين ومنهم " البحتري " إذ يقول :

هوى لا جميل في بثينة ناله بمثلٍ ، ولا عبدٌ بن عجلان في هندٍ (٣)
وجرير إذ يقول :

هل أنتِ شافيةٌ قلباً يهيم بكم لم يلقَ عروّة من عفراء ما وَجَدَا
ما في فؤادك من داءٍ يُخامرُهُ إلا التي لو رآها راهبٌ سَجَدَا (٤)

(١) ديوان جميل بثينة : ٤٤ – ٤٥ .

(٢) ينظر : الحب المثالي عند العرب : ٨٢ .

(٣) ديوان البحتري ، غني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ج ١ / ص ٥٢٩ . وفيه : ... ولا عمرو بن عجلان

(٤) ديوان جرير ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له : الدكتور . عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، ص ١٥٢ .

والفرزدق إذ يقول :

غزالة الشمس لا يصحو الفؤاد بها حتى تَرَوَحْتُ لأياً بعد إيصالِ
كأنَّما طرفت عيني كاحلةً في الدارِ من سربِ بالماء مسيالِ
أو كابن عجلان إذ كانت له تلفاً هُند الهنود بمقدارٍ وآجالِ (١)
ويقارن المجنون ما يلقاه بما لقيه العشاق من قبله ، فيرى أن عذابه
أشد ، وأنه يلقي الموت يومياً أن لقيه العشاق مرة واحدة (٢) . يقول مجنون ليلى :

عَجِبْتُ لَعُرْوَةَ الْعُذْرِيِّ أَضْحَى أحاديثاً لِقَوْمٍ بَعْدَ قَوْمِ
وعروّة مات موتاً مُسْتَرِيحاً وها أنا ميّت في كلِّ يومِ (٣)

وفي قصيدة رائعة يذكر لنا المجنون أسماء كثيرة ، منها ما كان
لشعراء ، ومنها ما كان لملوك ، ومنها ما كان لأنبياء ، وهو يريد بكل هذا أن
يقول : إن جميع هؤلاء لم يلاقوا الذي يلاقيه هو في حبه لليلة :

لعمرى ما لاقى جميلُ بن معمر كوجدي بليلى لا ولم يلقَ مُسلمُ
ولم يلقَ قابوس وقيسٌ وعروة ولم يلقه قبلي فصيحٌ وأعجمُ
صبا يوسف واستشعر الحبَّ قلبُه ولا كاد داوُدُ من الحب يسلُمُ
ويشُرُّ وهند ثم سعدٌ ووامق وتوبه أضناه الهوى المتقَسَّمُ
وهاروتُ لاقى من جوى الحب سطوة وماروتُ فاجاه البلاء المصمَّمُ
ولم يخلُ منه المصطفى سيّدُ الورى أبو القاسم الزاكي النبيُّ المكرَّمُ
أبيت صريعَ الحب أبكى من الهوى ودمعي على خدي يفيض ويسجُمُ (٤)

(١) ديوان الفرزدق ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٦ م ، ج ٢ / ص ٦٦ .
(٢) ينظر : الحب بين تراثين ، ناجية مراني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، المكتبة العالمية ،
العراق - بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ م ، ص ٩٢ .
(٣) ديوان مجنون ليلى ، شرحه وضبطه وقدم له : محمد علي شمس الدين ، منشورات مؤسسة النور
للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، ص ٢٠١ .
(٤) ديوان مجنون ليلى : ٧٥ .

وفي غزل هؤلاء الشعراء تظهر الشحنة العاطفية القوية ، والتعبير عن معاني الحرمان العاطفي والألم والشكوى ، وكل ما يعتلج في نفس العشاق العذريين من مرارة الحب وقوته وتأثيره في نفوسهم ، واستيلاء العاطفة على قلوبهم ، ولا يمكننا أن نعدم من خلال قصائد الغزل الكاملة في أشعارهم صورة استحواذ الحب العفيف على قلوبهم ومشاعرهم بل لقد وصلت بهم هذه المشاعر حد الموت فمات بعضهم عشقاً^(١) . فهذا عبد الله بن العجلان يصفه ابن قتيبة بأنه (من الشعراء العرب المشهورين الذين ماتوا عشقاً)^(٢) وقد ذكره بعض الشعراء فقال :

فإن مُتُّ من الحُـبِّ فقد مـات ابن عجلان^(٣)

مما يدل على وجود الجذور الأولى للغزل العذري في الجاهلية ولعل في نصوص الغزل العذري في الجاهلية ما يسفر من عواطف وأفكار عجيبة وعن مشاعر وجدانية خالصة تُعرب عن منشأ هذا الغزل في هذا العصر^(٤) .

وعنترة بن شداد : وإذا كان عبد الله بن العجلان يمثل في العصر الجاهلي طبقة الشعراء المغرمين المتيمين الضعاف القلوب أمام جبروت الحب الصادق العنيف فإن عنترة بن شداد يمثل في عصره طبقة الشعراء العشاق الفرسان الذين يصارعون الأبطال ولا يهابون الموت ولكنهم يهابون الوقوف لحظة واحدة وجهاً لوجه أمام المحبوبة ، فهذا هو يخاطب عبلة ، فيقول :

لا تصرميني يا عبيلاً وراجعي فيّ البصيرة نظرة المتأمل
فلربّ أملح منك دلاً فاعلمي وأقرّ في الدّنيا لعين المجتلي
وصلت حِبالي بالذي أنا أهله من ودّها وأنا رخي المطول^(٥)

وفي خضم المعارك وغمرة القتال يستحضر فم حبيبته ، فهو معه في الحل والترحال ، في السلم والحرب ، يشع ضياءً ويبرق كالسيف فيضيء أعماق القلب :

ولقد ذكرْتُكَ والرّماحُ نواهلٌ مني وبيضُ الهند تقطرُ من دمي

(١) ينظر : الغزل في عصر صدر الإسلام : ٤٢ .

(٢) الشعر والشعراء : ٤٢٩ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ينظر : الغزل في عصر صدر الإسلام : ٤٢ .

(٥) شرح ديوان عنترة بن شداد ، شرح وتعليق : عباس إبراهيم ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٨ م ، ص ١٠٥ .

فوددتُ تقبيلَ السيوفِ لأنَّها لمعت كبارقِ ثغرِكِ المتبسِّمِ (١)

ويتكرر هذا المشهد بعد كل حديث عن بطولة في سياق المعلقة ، وكأنه استراحة محارب ، تدفعه بحماس أكثر للانطلاق من جديد إلى الميدان ، فمشاهد العاطفة تخفف عنه وتشدُّ من عزيمته في وقت واحد . ويتابع الشاعر واصفاً بطولاته وحبه ... والذي يهمننا هنا هو عذرية عنتره التي امتدت على طول ديوانه ، إن ظاهرة الغزل العذري في العصر الجاهلي ثابتة وواضحة وضوح الشمس في شعر عنتره ، ويكفيها هذا الشاعر دليلاً دامغاً على إثبات أصول وجذور هذا النوع من الغزل .

وعمر بن كعب وعقيلة : وهي ابنة عمه وكانت من أجمل نساء العرب وأعلمهن بالأدب وأحوال العرب أياماً ووقائع ، خطبها إلى عمه فطلب منه مهراً يعجز عنه ، فزوجه لفراري ، فهم عمرو على وجهه ، وكان عندها من العشق لعمرو أضعاف ما عنده لها . فلما كان بعد أيام دخل عليه صديقه فوجده غاصاً بالضحك مستبشراً (٢) ، فسأله فقال :

لقد حدثتني النفس أن سوف نلتقي ويبدل بعد بيننا بتدانــــي

فقد آن للــــدهر الخؤون بأنه لتأليف ما قد كان يلتثمان (٣)

ثم شفق شهقه فاضت نفسه فيها (فضبط اليوم الذي مات فيه فوجد موت عقيلة في ذلك اليوم أيضاً) (٤) .

وعمر بن عبد مناة الخزاعي : ويقال هو ابن عبد مناف جاهلي ، يقال إنه أول عاشق في العرب وهو القائل في ليلى بنت عيينة الخزاعية :

أرى العهد من ليلى حديثاً ونائياً هو النأي لا نأى الحبيب لياليا

هو النأي لا أن تشحط الدار مرة ولكن نأي الدهر أن لا تلاقيا (٥)

(١) شرح ديوان عنتره بن شداد : ١٣٤ .

(٢) ينظر : تزيين الأسواق : ١ / ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه : ١ / ٢٠٠ .

(٥) معجم الشعراء : للمرزباني ، أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤ هـ) ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٣٧ . وينظر : من اسمه عمرو من الشعراء ، لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح (ت ٢٩٦ هـ - ٩٠٩ م) ، تحقيق : الدكتور . عبد العزيز ناصر المانع ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م ، ص ٧٩ .

وفضلاً عما ذكر الباحث من الشعراء المتيمين في العصر الجاهلي هناك مجموعة أخرى منهم أحبوا حباً عذرياً أحرقتهم وصبروا على حرقه ، أو توسلوا به إلى زواج ، كالمخبل القيسي الذي أحب ميلاء بنت عمه ^(١) ، وعدي بن زيد العبادي الذي أحب هند بنت النعمان بن المنذر ، ^(٢) ، ومسافر بن أبي عمرو بن أمية الذي أحب هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ^(٣) ، وقيس بن الخُدادية الذي أحب أم مالك بنت ذؤيب الخزاعي وأسمها ناعم ^(٤) ، وخزيمة بن نهد وهند ^(٥) . وغير هؤلاء ممن ذكرهم بعض الدارسين ^(٦) .

ومما تقدم يمكننا أن نستشف أن هذا الغزل وجد في الجاهلية ، وإن كان أقل كماً مما كان عليه عند عذريي الأمويين ، وهو ليس وليد العصر الأموي كما يذهب عدد من الدارسين كموسى سليمان ^(٧) ، والدكتور أحمد عبد الستار الجواري ^(٨) ، والدكتور شكري فيصل ^(٩) .

وفي الوقت الذي يصطف فيه الدكتور يوسف بكار إلى جانب مَنْ قالوا بنشأة الغزل العذري في العصر الجاهلي ، وليس مع الذين سبق ذكرهم من الدارسين ، يقول : يمكن عد غزل المتيمين نواةً وأصلاً للاتجاهين العفيفين في العصرين الأموي والعباسي ^(١٠) ، وليس ينكر أنه ازدهر واستوى على سوقه في العصر الأموي ثم (اكتملت له سماته المميزة ، واستقرت تقاليده ومقوماته التي اكتسب

(١) ينظر : الأغاني : ٣٩٢ / ٢٠ - ٣٩٨ .

(٢) ينظر :

١- الأغاني : ٣٩٣ / ٢ - ٤٣٠ .

٢- عدي بن زيد العبادي وديوانه ... ، (بحث) للدكتور . نوري حمودي القيسي ، مجلة الأقلام ، الجزء التاسع ، السنة الثانية ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ، ص ١٩٢ - ٢٠٣ .

(٣) ينظر : الأغاني : ٣٦ / ٩ - ٤٠ .

(٤) ينظر :

١- الأغاني : ٣٤٨ / ١٤ - ٣٥٩ .

٢- تزيين الأسواق : ١٨٤ / ١ - ١٨٥ .

٣- شعر قيس بن الخُدادية (بحث) ، جمع وتحقيق : الدكتور . حاتم صالح الضامن ، مجلة المورد ، العدد الثاني ، المجلد الثامن ، ١٩٧٩ م ، ص ٢٠٣ - ٢٢٠ .

(٥) ينظر : الأغاني : ٥٤ / ١٣ - ٥٧ .

(٦) ينظر : الغزل في العصر الجاهلي : ٢١٣ - ٢٤٣ .

(٧) ينظر : الحب العذري ، منشورات دار مكتبة الحياة ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٦١ م ، ص ٢٥ - ٥٤ .

(٨) ينظر : الحب العذري نشأته وتطوره : ٦١ - ١٠١ .

(٩) ينظر : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : ٢٥٠ - ٢٥١ .

(١٠) ينظر : اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري : ٤٩ .

معها صورته الأخيرة وشكله النهائي الثابت فالحب العذري ليس حباً أموياً ، ولا حباً انفردت به عذرة وحدها ، ولكنه حب البادية العربية في جميع عصورها . فهو نبت صحراوي أصيل ، عرفته البادية العربية منذ أقدم عصورها ، وظلت ترعاه ، وتمد له الأسباب ، حتى نما وازدهر (^١) . في العصر الأموي .

(١) الحب المثالي عند العرب : ٧ - ٨ .

المبحث الثاني

حقيقة الغزل العذري

حقيقة الغزل العذري:

هذا كله يتيح لنا أن نلقي نظرة على حقيقة هذا الغزل ، وعلى طبيعة العلاقة بين الشاعر وصاحبته ، وما نصيب الحقيقة فيها وما نصيب الخيال ؟ وهل تجاوزت هذه العلاقة الرغبة الجسدية واقتنعت بالحب المتسامي المجرد من كل حس مادي أو نزعة حسية ؟ لقد أدار الدارسون الحديث عن هذا الموضوع في ضوء هذه التساؤلات وشغلوا أنفسهم بين رافض للحب العذري ، وبين مَنْ جعله ضرباً من الحب الشهواني (١) .

يقول " ابن حزم " : (وقرأتُ في بعض أخبار الأعراب أن نساءهم لا يقنعن ولا يُصدقنَ عشقَ عاشقٍ لهن حتى يشتهر ويكشف حبه ويجاهر ويعلن وينوه بذكرهن ، ولا أدري ما معنى هذا ، على أن يُذكر عنهن العفافُ ، وأي عفافٍ مع امرأةٍ أقصى مناها وسرورها الشهرةُ في هذا المعنى !!) (٢) .

ويقول أحد الباحثين : (وكما هو معروف استمرت علاقات العشاق على حالها حتى بعد الزواج . بعبارة أخرى ، من خصائص الحب العذري الأولية أنه قائم على الزنى وعلى خرق فاضح لمؤسسة الزواج) (٣) .

ويروي " موسى سليمان " أن الحب العذري على نقاوته وطهاره معانية (لا يستطيع أن يتجرد تجرداً تاماً عن التحسر إلى وصال الحبيب ، وعن الأوصاف الحسية لجمالاتها الجسدية) (٤) .

(١) ينظر : الغزل في عصر صدر الإسلام : ٧١ - ٧٢ .

(٢) طوق الحمامة في الألفه والألاف - رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه - الإمام علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : الدكتور . محمد يوسف الشيخ محمد ، وغريد يوسف الشيخ محمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ، ص ٥٤ .

(٣) في الحب والحب العذري ، صادق جلال العظم ، دار المدى للثقافة والنشر ، سوريا - دمشق ، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٢ م ، ص ٦٥ ، وأنظر : ص ٦٦ - ٧٤ . ويهاجم جلال العظم الحب العذري فيقول : (يبدو لي أن الحب العذري شهواني في أصله ونرجسي في موضوعه ومنحاه ...) . المصدر نفسه : ٨٩ . وينظر : الحب بين تراثين : ص ٢٩ - ٣٤ .

(٤) الحب العذري : ٨٠ - ٨١ .

وبين مناصر له ، وممجد لمعانيه ، وواسمه بالعفة والطهارة ، وذلك بانتصار الروح على الجسد ، وانهزام النفس الأماراة بالسوء أمام القيم المثالية التي يتطلع إليها الشاعر العذري في شعر الغزل (١) . ولقد ذكر الباحث آراء هذه الطائفة فيما مضى من البحث ، ولا داعي لذكرها هنا ومناقشتها ، لأن الحب بقسميه الحسي والعذري مسألة إنسانية طبيعية ، وموضوعها حب الرجل للمرأة ، ولا يستوجب هذا التضارب في الآراء .

ويبادر الأستاذ الدكتور " حسن جبار محمد الشمسي " رحمه الله ، حيث يقول : ولنا في هذا رأي نقول فيه : (إن المحرك الأول لمشاعر العذريين هو الجمال الأنثوي ، وإلا فإن الحب يفقد قيمته الإنسانية ، وثنائيته التي يشكل طرفيها الرجل والمرأة ، ولهذا اختلط التعبير عن القيم الروحية بالقيم الجمالية الأنثوية في هذا الغزل ، وجاءت تجارب العذريين مزيجاً من الانفعالات الوجدانية العفيفة والأوصاف الحسية التي وجدناها عند الشعراء الحسيين . ولهذا يكون الغزل العذري منبعثاً من إحساس خاص بجمال المرأة ، وبدوافع تختلف بطبيعتها بحسب التكوين النفسي للشاعر ، ثم تتسامى هذه الدوافع – بفعل تجربة الحب و إفرازات الحرمان العاطفي فيها – إلى دوافع تطغى عليها المعاني الروحية ، ومما يساعد على طغيان

(١) ينظر :

- ١- حديث الأربعاء ، الدكتور . طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة عشرة ، ١٩٢٥ م ، ٢ / ٢٣٨ .
- ٢- الحب العذري نشأته وتطوره : ٣٢ .
- ٣- الحب المثالي عند العرب : ٤٦ . حيث يذكر الباحث أن شاعر الغزل العذري يصور ذلك الصراع العنيف بين الجسد والروح الذي يملأ عليه أرجاء نفسه من خلال شعره ، فهذا قيس بن ذريح يقول :
تَتَوَقَّ إِلَيْكَ النَّفْسُ ثُمَّ أَرُدُّهَا حَيَاءً وَمِثْلِي بِالْحَيَاءِ حَقِيقٌ
أَدُوْدُ سَوَامِ الطَّرْفِ عَنْكَ وَمَا لَهُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ طَرِيقٌ
الديوان : ١٠١ .
فالشاعر يعاني صراعاً نفسياً عنيفاً بين رغبات جسده التي تغريه عليها النفس الأماراة بالسوء ، وبين مثاليته الخلقية التي ترده عنها ، وإنها لرغبات جامحة تنطلق من أعماقه ، ولكن حبه العذري يقف دونها ليصدها ويكبح جماحها . إنه يسجل هنا انتصار الروح على الجسد ، أو هزيمة النفس الأماراة بالسوء أمام المثالية الخلقية التي يؤمن بها ، ويتخذ منها عقلاً يقيد به نفسه ، ويحول بينه وبين الانطلاق والجموح والتمرد .
- ٤- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : ٢٥٠ – ٢٥٥ .
- ٥- فلسفة الحب عند العرب ، عبد اللطيف شرارة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٠ م ، ص ٨٨ – ٩٣ .
- ٦- جميل بثينة ، عباس محمود العقاد ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٤ م ، والطبعة الثالثة ، ص ٤٧ – ٤٨ .
- ٧- العصر الإسلامي ، الدكتور شوقي ضيف : ٣٥٩ .
- ٨- الغزل في العصر الجاهلي : ٢١٤ .

هذه المعاني أن الشاعر العذري يضع لنفسه شروطاً أخلاقية أكثر اتزاناً من شروط الشاعر الحسي ، وتؤدي هذه الشروط دور المتحكم في نمط الغزل واتجاهه العفيف أو غير العفيف ، وتكون القيم النبيلة في غزل العذريين أكثر وضوحاً منه في غزل الحسيين ، لأن الشاعر العذري سينظر إلى المرأة بتوقير أكثر وإجلال أكثر ، وتحكم هذا شروطه الأخلاقية التي التزمها (١) .

ووجدنا أن أبرز الصفات الجمالية إثارةً لمشاعر العاشق العذري عند المرأة ثغرها ، وكأن الشاعر العذري كانت تثيره وتحرك نوازعه هذه المنطقة الجمالية عند المرأة ، وتولد عنده أعنف المشاعر . وهذه الصفة واضحة في شعر المتيمين الجاهليين ولاسيما في شعر عنتره بن شداد .

فقد ورد وصف ثغر الحبيبة في ديوان عنتره بن شداد في ثلاثة عشر موضعاً منها أربعة مواضع في المعلقة (٢) يقول :

دار لآنسةٍ غضيضٍ طرفُها طوع العناقٍ لذيةً المتبسِّم (٣)
ويقول :

إذ تستبيك بذي غروبٍ واضحٍ عذبٍ مقبلهً لذيدٍ المطعم (٤)
ويطلب من عبلة كلمة إعجاب ورضا من ثغرها مما يؤكد أن حاجته لها غير عادية ، يقول :

أثني عليّ بما علمتِ فإنني سهلٌ مخالفتي إذا لم أظلم (٥)
ويقول :

ولقد ذكرْتُكَ والرِّماحُ نواهلٌ مني وبيضُ الهندِ تقطرُ من دمي
فوددتُ تقبيلَ السيوفِ لأنَّها لمعت كبارقِ ثغركِ المتبسِّم (٦)

(١) الغزل في عصر صدر الإسلام : ٧٣ - ٧٤ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٧٤ .

(٣) شرح ديوان عنتره بن شداد : ١٣٠ .

(٤) المصدر نفسه : ١٣١ .

(٥) المصدر نفسه : ١٣٣ .

(٦) المصدر نفسه : ١٣٤ .

وعبر المرقش الأكبر عن إعجابه بثغر صاحبه فقال :

وَذُو أُسْرِ شَتَيْتُ النَّبِيَّ عَذَبٌ نَقِيَّ اللَّوْنِ بَرَّاقٌ بَرٌّ رُوْدٌ ^(١)

ويقول عبد الله بن العجلان :

ولقد أَلَدُ حَدِيثَهُ _____ وَأُسِرُّ عِنْدَ عِنَاقِهِ _____ (٢)

وإذا كانت الأشعار المعبرة عن الجانب الحسي في غزل المتيمين قليلة قياساً لأشعارهم المعبرة عن مواجدهم وعواطفهم الروحية ، فإن وصف ثغر الحبيبة يشكل ظاهرة بارزة في غزلهم ، مما يؤكد أن المتيمين كان يثيرهم في المرأة هذا الجانب الجمالي فيها ولعل الجانب الحسي كله في غزل عنتر بن شداد ، لا يخلو من وصف ثغر الحبيبة لأن الثغر هو مصدر الإفصاح عن القبول أو الرفض لكل ما يتطلع إليه الشاعر ويتمناه من صاحبتة فيأتي هذا التصوير من لاوعي الشاعر بفعل الارتباط النفسي بثغر المرأة من جانب ولقيمة في وعيه من جانب آخر (٣) .

إذن فالغزل العذري كانت تحكمه حياة نفسه تميزت بالصفاء والعفة والسمو في المشاعر وقوة روحية كبيرة ، ولكن هذه الحياة لا تلغي المرأة طرفاً ثانياً في تجربة الحب ، لأن هذا يحكم على التجربة بالشذوذ ، ويهدم منطلقها الذي هو المرأة وجمالها وأنوثلتها ، فالحب كله ينبع من الجسد ^(٤) ، وهو رغبة جنسية مؤجلة ^(٥) ، وهو (رغبة التوليد الروحي والجسدي بفعل حضرة الجمال ، لأن القباحة والتشويه لا يلهمان النفس ولا يوحيان إليها) ^(٦) . وهو (تجربة تمتزج فيها الغرائز الغرائز الطبيعية بالتسامي الروحي امتزاجاً يجعل منه وسيلة صالحة للتعبير عن أشواق الإنسان وحنينه المبهم وطموحه ومشاعره الباطنة غير الواعية نحو الحياة والكون) ^(٧) كما يرى عبد القادر القط .

(١) ديوان المرقشين : ٥٢ .

(٢) ديوان عبد الله بن العجلان النهدي : ٣٩ .

(۳) ينظر : الغزل في عصر صدر الإسلام : ۷۶ .

(٤) ينظر :

١- قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،

١٩٥٦ م ، ج ٢ / ص ١٠٣ .

٢- الغزل في عصر صدر الإسلام : ٧٦ .

(٥) ينظر : الغزل في عصر صدر الإسلام : ٧٦ .

(٦) الحب العذري : ٤٤ .

(٧) في الشعر الإسلامي والأموي : ١٢٠ .

ولهذا فإن مناقشة آراء الدارسين لا تستوجب الوقوف ، فتجربة الحب تجربة طبيعية بجانبها العذري والحسي ، ولا يقوم بتكوين تفاصيلها ومعانيها الإنسانية غير طرفيها وهما الرجل والمرأة .

ومما تقدم نستشف أن الغزل العذري هو هذا الضرب من الغزل الذي تشيع فيه حرارة العاطفة ، وتشع منه الأشواق ، ويصور خلجات النفس وفرحات اللقاء وآلام الفراق ، ولا يحفل بجمال المحبوبة الجسدي بقدر ما يحفل بجاذبيتها وسحر نظرتها وقوة أسرها ، ثم يقتصر فيه الشاعر على محبوبة واحدة طيلة حياته أو ردها طويلاً من حياته . ولا يقول الباحث بأنه غزل روعي خالص لا تخالطه نوازع جسدية ... فهذا الغزل عذري إذا ما قيس إلى الغزل المكشوف أو الحسي ؛ لأن نصيب الجسد منه قليل وضئيل ، ونصيب الروح منه غلاب على الجوع الجسدي (١) .

وفي الخبر أن رجلاً من بني عذرة عند عروة بن الزبير يحدثه ، فقال عروة : (إنكم أرق الناس قلوباً . فقال : نعم والله ، لقد تركت بالحي ثلاثين قد خامرهم السل وما بهم من داء إلا الحب) (٢) . وقال رجل من فزارة لرجل من عذرة : (تعدون موتاكم من الحب مزية (أي فضيلة) وإنما ذلك من ضعف البنية ووهن العقيدة وضيق الرؤية . فقال العذري : أما لو أنكم رأيتم المحاجر البلج ترشق بالأعين الدعج ، من فوقها الحواجب الزج ، والشفاة السمر ، تقتر عن الثنايا الغر ، كأنها سرد الدر ، لجعلتموها اللات والعزى ودفعتم الإسلام وراء ظهوركم) (٣) . وسأل سعيد بن عقبة الهمداني أعرابياً حضر مجلسه (ممن الرجل ؟ قال من قوم إذا عشقوا ماتوا فقال : عذري ورب الكعبة ، ثم سأله علة ذلك فقال : لأن في نساننا صباحة وفي فتياننا عفة) (٤) .

والذي يظهر من هذا ومن أشباهه أن بني عذرة كانوا مشهورين بالحس المرهف وتذوق الجمال والعفة وأن نساءهم كن على قسط من الجمال والجاذبية لم

(١) ينظر : الغزل في العصر الجاهلي : ١٦٤ - ١٦٥ .

(٢) مصارع العشاق ، للشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القارئ البغدادي (ت ٥٠٠ هـ) ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، شارك في التحقيق : أحمد رشدي شحاته ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، ص ٤٣ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٨ .

(٤) تزيين الأسواق : ١ / ١٩ . وينظر : الحب العذري عند العرب ، (بحث) أحمد الربيعي ، مجلة الأقاليم ، الجزء السادس ، شوال ، ١٣٨٥ هـ - شباط ، ١٩٦٦ م ، بغداد - العراق ، ص ١٤٦ .

يكن في نساء غيرهم . لهذا كثر عشاقهم ، واشتهر أمرهم ، وكثر موتاهم ومرضاهم من الحب (١) .

ويظهر أن ابن سينا وجد أن الحب العذري لا يبرأ من قبلة وعناق ، فحاول أن يفلسف هذه النزعة الجسدية فقال : (وأما المعانقة والتقبيل فإذا كان الغرض منهما هو التقارب والاتحاد — لأن النفس تود أن تنال معشوقها بحسها اللمسي بعد نيلها له بحسها البصري فتشتاق إلى معانقته وتشتاق إلى تقبيله — فليسا بمنكرين في ذاتهما ، لكن استتباعهما بالعرض أموراً شهوانية يوجب التوقي عنهما) (٢) .

وإذا ما نظرنا إلى ما سبق ذكره من محاولة فلسفة النزعة الجسدية نجد أن العذر أقبح من الفعل ، ومثل هذه الأمور لا تحتاج إلى فلسفة تبررها لأنها واضحة من غير تبرير .

إن الشعر لا تتحكم به الأخلاق ، وَوَجَدُ الشعراء العشاق لا يلزمه دائماً اتجاه أخلاقي يلونون به قصائد غزلهم ، لأن هذا التلوين تحكمه القوة الفنية في الأداء ، لا القيمة الأخلاقية ويكون الشعر ناضجاً بقدر نضجه الفني لا الأخلاقي . ولهذا — استطاع الشعراء الخارجون على قيم الإسلام وتعاليمه أن يذعنوا مخلصين لرسالتهم الفنية التي يقدمها نتائجهم الشعري وتكون منزلتهم بذلك تابعة لمنزلة فنهم وبراعته .

وقد أشار الجرجاني إلى هذا الأمر حين قال : (فلو كانت الديانة عاراً على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، لوجب أن يُمحى اسم أبي نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره إذا عُدت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهلُ الجاهلية ، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، و لوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبير وأضرابهما ممن تناول رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " وعاب من أصحابه بُكماً خرساً ، وبكاء مفحمين ؛ ولكنَّ الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر) (٣) .

(١) ينظر : الغزل في العصر الجاهلي : ١٦٦ .

(٢) رسائل العشاق للشيخ الرئيس أبي علي بن سينا ، من جامع البدائع . مطبعة السعادة بمصر ، ١٩١٧ م ، ص ٨٣ . بواسطة (الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي) : ١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) الوساطة بين المتنبّي وخصومه ، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م ، ص ٦٣ .

وقد كان للإسلام موقف أخلاقي من شعر الغزل وموضوع الحب ^(١) ، لأنه كان يمثل خروجاً على نظام الدين الأخلاقي ، وبأنه (من أوقع الأمور في الدين وأنهكها للجسد وأتلفها للمال وأضرها بالعقل ، وأزراها للمروءة ، وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار ، الغرام بالنساء) ^(٢) .

وقد يُقصد من هذا الغرام ما يتنافى ورؤية الإسلام الأخلاقية ، فابن حزم الأندلسي يقول : (الحب - أعزك الله - أوله هزل وآخره جد . دقت معانيه لجلالته عن أن توصف ، فلا تُدرك حقيقتها إلا بالمعاناة ، وليس بمنكر في الديانة ولا محظور في الشريعة ، إذ القلوب بيد الله عز وجل وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثيرٌ ...) ^(٣) .

(١) ينظر :

١. الإسلام والحب ، عبد الله ناصح علوان ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، بحوث إسلامية هامة (٢٤) ، الإصدار الأول ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ص ٣٣ - ٥٥ .
٢. الإسلام والشعر ، الدكتور . يحيى الجبوري ، مطبعة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٤ م ، ص ٣٣ .
٣. أثر الإسلام في شعر الغزل وتطوره في العصرين الإسلامي والأموي ، (بحث) للدكتور . بهجت عبد الغفور الحديثي ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد الرابع والثلاثون ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، ص ٣٦ .
٤. الفن ومذاهبه في النثر العربي ، الدكتور . شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة ، د . ت ، ص ٤٦ .
٥. البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل في صدر الإسلام والعصر الأموي ، الأستاذ الدكتور . شاكر هادي حمود التميمي ، دار الرضوان للنشر والتوزيع ، عمان ، ومؤسسة دار الصادق الثقافية ، العراق ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م ، ص ٩١ .
٦. الأسس الجمالية في النقد العربي ، الدكتور . عز الدين إسماعيل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٦ م ، ص ١٣٣ .
٧. نصوص من الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي (دراسة وتحليل) ، الدكتور . نوري حمودي القيسي ، والدكتور . بهجت عبد الغفور الحديثي ، والدكتور . محمود عبد الله الجادر ، مديرية الكتب للطباعة ، بغداد ، ١٩٩٤ م ، ص ١٨ .
٨. تاريخ الأدب العربي ، د . ر . بلاشير ، ترجمة : الدكتور . إبراهيم الكيلاني ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م ، ج ١ / ص ١٩٠ .
٩. تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية : الدكتور . عبد الحليم النجار ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٤ م ، ج ١ / ص ٣٦ .
١٠. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، الإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٥٦٤ هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، ج ١ / ص ٣٠٨ .

(٢) الأدب الصغير والأدب الكبير ، لابن المقفع ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٦٠ م ، ص ١٢٧ .

(٣) طوق الحمامة : ١٥ .

والشريعة الإسلامية تعمل متضافرة مع التوجه العام للدين الإسلامي وذلك لترسيخ القاعدة الأخلاقية والقيم الدينية الخيرة والمثبتة في قانون الحياة الجديدة . ومن هنا كانت المجاهرة بالحب الجسدي والإعراب عن الدوافع الجنسية والشهوانية تتنافى مع القيم الأخلاقية التي رسم خطوطها الدين الجديد . ولكن الخروج على هذه القاعدة أمر تفرضه الدوافع النفسية الشهوانية في السلوك الإنساني ، فكان أن رافق الحب العفيف اهتمام خاص بجمال المرأة فتجسد في كثير من قصائد الشعراء ، لأن الشعر ظاهرة إنسانية لا تحكمها قيم الخير والشر ، بل تحكمها قوة الانفعال الإنساني والمخيلة الشعرية وقابلية الشاعر وموهبته في خلق الشعر وتفجير حالاته وموضوعاته فكان من الطبيعي أن يعبر الشعراء عن الدوافع الجنسية اتجاه المرأة ، بل كان منهم من أعرب أعراباً واضحاً عن هذه الدوافع الجنسية والشهوانية .

وهكذا يمكننا القول : إنه ما من قصيدة عذرية ، إلا وفيها لمسة خفيفة من الحسية البريئة التي هي عند العذريين حسية دافعها الوجد والحرمان وأساسها المعاناة لا التسلية واللهو ، وأن هذه اللمحات الحسية في الغزل العذري ليس فيها ما يناقض عذريته (١) .

(١) ينظر : العفة في الغزل العذري بين الحقيقة والوهم (بحث) : ١١ - ١٢ .

المبحث الثالث

خصائص الغزل العذري

خصائص الغزل العذري :

لعل من نافلة القول الإشارة إلى أن الغزل العذري " العفيف " هو الغزل الذي ينأى فيه الشاعر عن الوصف الحسي لجسد المرأة بمفاته المختلفة ، ويركن إلى الوصف المعنوي الذي يعتمد على تصوير لواجع الشوق والحنين ، ومعاني الصد والحرمان والأرق والعذاب ..

وإن كان الباحث يحترز من لفظة الحسي – وهو يدرس الغزل العذري – لأنها تعني ، (الغزل المادي الذي أساسه حبٌ تمتزجُ به ميول شهوانية أو عواطف خالية من التخرج ، وأوصاف ربما لا يرضى عنها إلا أنصار الأدب المكشوف) (١) وهذا مما لا نكاد نعثر له على مثيل لدى العذريين (٢) . إذ نجد في هذا الغزل صراحة وجرأة وحديثاً عن المغامرات والقصص الجريء مما يتنافى مع ما عُرف عن الجاهليين من عادات وتقاليد ، وهو ما شجع أحد الباحثين على الترجيح بأن الغزل الحسي أو المكشوف مكتسب من غير العرب (٣) .

وبما أن الغزل العذري هو (هذا الضرب من الغزل الذي تشيع فيه حرارة العاطفة ، وتشع منه الأشواق ، ويصور خلجات النفس وفرحات اللقاء وألام الفراق ، ولا يحفل بجمال المحبوبة الجسدي بقدر ما يحفل بجاذبيتها وسحر نظراتها وقوة أسرها ، ثم يقتصر فيه الشاعر على محبوبة واحدة طيلة حياته أو ردها طويلاً من حياته) (٤) .

فالغزل الحقيقي إذن هو الغزل الذي يعبر عن حقيقة المشاعر وواقعية النفس البشرية في تعاطيها مع مشاعر الحب والعشق . وقد لا يشك أحد في أن الغزل هو بحق أصدق فنون الشعر وأقربها إلى النفس ، بما (يقدمه للقارئ والسامع من

(١) الأصول الفنية للأدب ، الدكتور عبد الحميد حسن ، منشورات مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٤٩ م ، ص ٧٤ .

(٢) ينظر : غزل الفرسان في الشعر الجاهلي ، سعد إبراهيم عبد المجيد ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، ١٩٩٥ م ، ص ٧٢ .

(٣) ينظر :

١- المرأة في الشعر الجاهلي ، علي الهاشمي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٠ م ، ص ١٣٦ .

٢- الغزل في العصر الجاهلي : ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٤) الغزل في العصر الجاهلي : ١٦٥ .

استجابة وجدانية (^١) . وإنه لا يؤيد عصبية ولا يعضد نزعة ولا يتصل بما كان يدعو أحياناً إلى وضع الشعر ونحله (^٢) وبذلك يتبوأ الغزل مكانة مرموقة بين أغراض الشعر الأخرى (^٣) .

إذ يبقى يمثل (المنطلق الأول للشاعر وهو الباعث الحثيث) (^٤) للأغراض الأخرى في كثير من القصائد .

بل كان الغزل – وما زال ، وسبق – وسيلة الشاعر إلى ذاته ، ومرآته التي يرى من خلالها الوجود ، وأداته إلى التنفيس عما تعتلج به نفسه التي أعيها البحث عن ومضات الحياة في أعماق الموت ، خلف أستار الزمان وأقطار المكان .

كما لا يختلف اثنان على أن المرأة أسبق من الغزل ، وأن الغزل متصل بالمرأة فأينما وجدت حل الغزل ، لأنه إن لم يكن مختبئاً تحت أطراف عباؤها ، أو خلف سحر ابتسامتها ، أو بارزاً في حركة من عينيها ، أو في لمسة من يدها ، اخترعناه نحن في كل عمل نُقدم عليه في أي مكان نشم في إحدى زواياه طيباً لها . ومهما يكن من أمر ، فأننا نرى أن الغزل إنما هو وسيلة من وسائل الرجل المتعددة التي يرجو من ورائها لفت المرأة إليه ، واستمالة قلبها نحوه ، كما كان ينحر الجاهلي ناقته مؤكداً كرمه للمرأة ، فضلاً عن أنه يتشاجر من أجلها بل يقتل أحياناً (^٥) .

ويبقى الغزل ما بقيت المرأة فهو فن قديم عند العرب (^٦) قدم الإنسان نفسه ، في معناه العام الذي لا يقتصر على الشعر فقط ، عرفه الجاهلي بفطرته ، وعبر عنه بعفويته البدوية وبوسائله الخاصة التي كانت تلائم مزاجه ، وتوائم طباعه ، وحاجات مجتمعه البسيط ، الذي ملأ آفاقه ببيكائه وغنائه ، بحبه المرأة ، أو لنقل : بعشقه الحياة ، وخوفه منها في آن واحد ، سواء

(١) المراثية الغزلية في الشعر العربي ، الدكتور عناد غزوان إسماعيل ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، ١٩٧٤ م ، ص ١ .

(٢) ينظر : الشعر والشعراء : ١٦ . والغزل في العصر الجاهلي : ٥ - ٦ .

(٣) المراثية الغزلية : ١ . وينظر : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : ١٩ - ٣٣ .

(٤) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : ٢٦ .

(٥) ينظر : غزل الفرسان في الشعر الجاهلي : ٣٣ .

(٦) ينظر : حديث الأربعاء : ٢ / ١٥ - ١٨ ، حيث أنكر الباحث معرفة الجاهليين لفن الغزل ، وقال بنشأته في في العصر الأموي ، بشقيه : الحسي والعذري .

أكان ذلك في توظيفه القيم الإنسانية ، أم في محاولاته التي استعمل فيها الغزل للغزل كما نجد عند المرقش الأكبر الذي قيل أنه : أشعر أهل الجاهلية (١) .

فالمرقش شاعر يعبر عن عاطفة إنسانية صادقة لا تقل في شيء عما عبر به شعراء العصر الأموي أو شعراء العصور كلها عن عواطفهم ومشاعرهم .

ولا حاجة إذن لأن يقصر شاعر أو مجموعة شعراء شعرهم على فن شعري واحد في عصر معين لكي يقال بنشأة هذا الفن في عصرهم . كما قيل عن فن الغزل ، وإذا كان هذا صحيحاً ، فلماذا لا ينسحب على الفنون الشعرية الأخرى ؟

لذا نرد على من قال : إن الغزل العذري نشأ في العصر الأموي نتيجة الحرمان الذي أفرزه ظهور الإسلام ، وعدم اختلاط الرجال بالنساء ، كما كان يحدث في الجاهلية ، فنقول :

لو كان هذا صحيحاً فمن المنطق أن يظهر في بداية الدعوة أو على مدار صدر الإسلام ، ولكن أحد الباحثين يؤكد على عكس هذا بقوله : (تتأصل الجذور الأولى لهذا النمط من الغزل في تاريخ الأدب العربي القديم ، ولعل منشأه في الشعر العربي يرتد إلى العصر الجاهلي ، فهناك قصائد استقلت بموضوع هذا الغزل دون أن يمهد أصحابها بها لأغراض شعرية أخرى) (٢) ، هذا أولاً ، وأما ثانياً فإن خصائص الغزل العذري في العصر الجاهلي هي الخصائص نفسها التي نستطيع أن نستنبطها من الغزل العذري الإسلامي ، وهذا يدل على أن العصر الجاهلي هو منشأ الغزل العذري (٣) . وهذا ما أشرنا إليه ، وما نريد التأكيد عليه هنا .

ولكشف خصائص الغزل العذري ، التي عبر عنها الشاعر العذري ، نرى من الأفضل عرض واحدة من قصائد المرقش الأكبر وهي قصيدة غزلية ، بدأها بطيف حبيبته الذي زاره ليلاً فحرمه نعمة النوم ، فبات يستذكر ما كان بينهما من ذكريات طيبة ، ثم راح بعد ذلك يصف ما وفر أهل حبيبته لها من العز والنعيم ، قبل أن يتحسر على فراقها ، وبعد ديارها ، ولكنه ختم القصيدة بعودته إلى شبابه وذكرياته التي انقضت بانقضائه محاولاً خلق بديل لما هو عليه من يأس وشيب ، يقول :

(١) ينظر : طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجُمحي (ت ٢٣١ هـ) ، قرأه وشرحه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر ، د . ت ، ج ١ / ص ٥٢ .

(٢) الغزل في عصر صدر الإسلام : ٤١ .

(٣) ينظر : الغزل في العصر الجاهلي : ٢١٣ .

سَرَى لَيْلاً خَيْالٌ مِنْ سُلَيْمَى	فَارَقَنِي وَأَصْحَابِي هُجُودٌ
فَبِتُّ أَدِيرُ أَمْرِي كُلَّ حَالٍ	وَأَرْقُبُ أَهْلَهَا وَهُمْ بَعِيدٌ
عَلَى أَنْ قَدْ سَمَا طَرْفِي لِنَارٍ	يُشَبُّ لَهَا بِذِي الْأَرْضَى وَقُودٌ
حَوَالِيهَا مَهْأً جُمُ النَّارِاقِي	وَأَرَامٌ وَغِزْلَانٌ رُقُودٌ
نَوَاعِمُ لَا تُعَالِجُ بُوُسَ عَيْشٍ	أَوَانِسُ لَا تُرَاحُ وَلَا تَرُودُ
يَزُحْنَ مَعاً بِطَاءَ الْمَشْيِ بُدَاً	عَلَيْهِنَّ الْمَجَاسِدُ وَالْبُرُودُ
سَكَنَ بِلَدَةٍ وَسَكَنْتُ أُخْرَى	وَقُطِّعَتِ الْمَوَانِقُ وَالْعُهُودُ
فَمَا بَالِي أَفِي وَيُخَانُ عَهْدِي	وَمَا بَالِي أَصَادُ وَلَا أَصِيدُ (١)

ثم يقف فجأة ، ويقفل إلى الماضي ، لعله يجد في استعادة الذكرى بديلاً لما هو عليه اليوم بعد أن فقد شبابه وحبيبته . وهو أسلوب استطرادي جعل منه الشاعر الجاهلي منفذاً لا اعتداده بنفسه ، ولرد اعتبار ذاته المنهزمة أمام الزمن إذ يقول :

وَرُبَّ أَسِيلَةِ الْخَدَّيْنِ بَكْرٍ	مُنْعَمَةٍ لَهَا فَرْعٌ وَجِيدٌ
وَذُو أَشْرِ شَتِيتِ النَّبْتِ عَذْبٌ	نَقِيُّ اللَّوْنِ بَرَّاقٌ بَرُودٌ
لَهَوْتُ بِهَا زَمَاناً مِنْ شَبَابِي	وَزَارَتَهَا النَّجَائِبُ وَالْقَصِيدُ
أَنَاسٌ كُلَّمَا أَخْلَقْتُ وَصَلاً	عَنَانِي مِنْهُمْ وَصَلٌ جَدِيدُ (٢)

وعلى الرغم من كون الغزل العذري قد عبر عن الجمال الجسدي للمرأة وتخللته بعض الأبيات التي يشوبها التعبير الحسي إلا أن ذلك لا يشكل ملمحاً مهماً من ملامحه ، لهذا جاء أكثر الغزل العذري تعبيراً عن الوجدان الصادق المخلص والمشارع الملتهبة (٣) .

وعلى الرغم من قلة شعر المتيمين بالنسبة لنظرائهم الأمويين ، إلا أنه يدل على أنه حب مخلص وعواطف صادقة ومشارع ملتهبة .

(١) ديوان المرقشين : ٥١ - ٥٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٥٢ .

(٣) ينظر : الغزل في عصر صدر الإسلام : ٤٨ .

وتظهر في غزلهم مرارة الحرمان والألم والشكوى ، لكن شعرهم لم يخلُ من بدوات حسية لا تتخطى اللمس والتقبيل أو تمنيهما ، وهي ناحية التفتت إليها عدد من الدارسين المحدثين كالدكتور " يوسف خليف " الذي يردّها إلى الطبيعة الإنسانية التي يمكن أن تصل إلى أعلى مراتب الكمال المثالية إذ قال : (فهو حب روي عفيف طاهر لا سلطان لشهوات الجسد أو نوازع الغريزة عليه ، تسيطر عليه عاطفة تتسامى على الغرائز والشهوات ولا تجعل لها سبيلاً إليها . وليس معنى هذا أنه حب يلغي الجسد إلغاء تاماً ، فإن هذا لا يتفق مع طبيعة الحياة ، ولا يستقيم مع واقع الصلة بين العواطف والغرائز في الطبيعة البشرية . والأمر الذي لا شك فيه هو أن حب الجسد دافع من الدوافع إلى هذا الحب ، كما أنه هدف من أهدافه ، لأنه بدون هذا الدافع ، ومن غير هذا الهدف ، لا يمكن لعاطفة الحب بين رجل وامرأة أن تقوم) (١) . وإلى هذا المعنى أشار الدكتور " أحمد محمد الحوفي " بقوله : (وهذا الغزل روي لا أثر فيه لوصف الجسم ومطالب الجسد ، أو فيه أثر ضئيل ... وإنما هو نجوى وشكوى وتنفيس عما يعتلج بالقلب من أشواق ، وما يختلج بالصدر من حنين ولهفة ...) (٢) . وكذلك أشارت إلى هذه الظاهرة الدكتورة " نضال إبراهيم ياسين " حيث تقول : (إن الحسية لا تتناقض مع العفة ، وهي عند العذريين حسية دافعها الوجد والحرمان وأساسها المعاناة ، بعكس الحسية التي دافعها التسلية واللهو وأساسها الفحش واللذة الجسدية العابرة ، إن اللمحات الحسية في الغزل العذري ليس فيها ما يناقض عذريته) (٣) . ثم إننا لو نظرنا إلى أبرز خصائص الغزل العذري لوجدنا (أن عنصر الشهوة لا يكاد يبين ، والاحتفال بالجسد ضئيل لا يكاد يذكر) (٤) .

فهو غزل يعمد إلى وصف العواطف المتأججة التي تؤرق صاحبها وتقلقه ، بحيث لا تسمح له بالتفكير في أي لذة مادية ، وإنما اللذة الوحيدة التي تملك عليه شعوره ، وتستأثر بعواطفه هي لذة الألم بأنه يحب . وهذا هو الذي جعله - في كثير من الأحيان - يسمو بعواطفه فوق نوازع الجسد .

(١) الحب المثالي عند العرب : ٤٣ .

(٢) الغزل في العصر الجاهلي : ٢١٤ .

(٣) العفة في الغزل العذري بين الحقيقة والوهم ، (بحث) : ١١ - ١٢ .

(٤) الحب العذري نشأته وتطوره : ١٠١ .

ولعل الغزل الجاهلي (١) يكشف لنا عن نماذج ليست قليلة تتمثل فيها كثير من خصائص الغزل العذري الذي كثر شعراؤه في العصرين الإسلامي والأموي .

ومن هذه النماذج التي تفيض رقة وعذوبة ، وتُعبّر عما يجري في نفس صاحبها من آلام وأحزان ، قصيدة لمضرس بن قرظ الحارث المزني . كلها غزل روحي يصور أشواق المحب يقول فيها :

تَحْمِلُ مِنَّا مِثْلَهُ فَتَذوقُ	تُعَذِّبُنِي بِالوَدِّ سَعْدَى فَلَيْتَهُ
وَرَبَّ الْهَدَايَا الْمَشْعِرَاتِ صَدوقُ	وَلَوْ تَعْلَمِينَ الْعِلْمَ أَقْنَنْتِ أَنْنِي
إِلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ طَرِيقُ	أَذُودُ سِوَامِ الطَّرْفِ عَنْكَ وَمَالُهُ
عَلَيْكَ مِنَ النَّفْسِ الشَّعَاعِ فَرِيقُ	أَهْمَ بَصَرِ الْحَبْلِ ثُمَّ يَرْدُنِي
مَرَرْنَ عَلَيْنَا وَالزَّمَانَ وَرِيقُ	تَهَيَّجَنِي لِلْوَصْلِ أَيَّامَنَا الْأَلَى
وَأَنْتَ خَلِيلٌ لَا يَلَامُ صَدِيقُ	لِيَالِي لَا تَهْوِينَ أَنْ تَشْحَطَ اللَّوَى
بَعِيدٌ كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ سَحِيقُ	وَوَعْدُكَ إِيَّانَا وَقَدْ قَلْتَ عَاجِلُ
وَلَا أَنَا لِلْهَجْرَانِ مِنْكَ مَطِيقُ (٢)	فَأَصْبَحْتَ لَا تَجْزِينَنِي بِمُودَتِي

فالشاعر في قصيدته متحير في أمره كلما أراد أن يهجر حبيبته تشده إلى وصلها تلك الليالي الجميلة التي كانت تجمع بين قلوبهما ، ليالي كانت تخشى على حبها من الفراق . ولكن هذه الحيرة لا تطول ، إذ يخبرنا الشاعر ، بأنه ليست به طاقة على هجرها ، فيقول :

وَتَزْعَمُ لِي يَا قَلْبُ أَنَّكَ صَابِرٌ	عَلَى الْهَجْرِ مِنْ سَعْدَى فَسَوْفَ تَذوقُ
فَمُتْ كَمَدًّا أَوْ عَشْ سَقِيمًا فَإِنَّمَا	تَكْلِفُنِي مَا لَا أَرَاكَ تَطِيقُ (٣)

(١) يرى الدكتور داود سلوم أن الشعر الجاهلي يخلو من القصيدة الغزلية التي تقوم بنفسها لهذا الغرض ، وتستقل به عن الأغراض الأخرى ، ولم يرد الغزل الجاهلي إلا في أوائل القصائد التي ألقت لأغراض أبعد ما تكون عن الغزل ، كالمدح والهجاء والثناء . ينظر : الشاعر الإسلامي تحت نظام سلطة الخلافة ، مطبعة نمم ، الشياح ، بيروت ، ١٩٧٨ م ، ص ٢٦ . والباحث بدوره لا يتفق والدكتور داود سلوم فيما ذهب إليه . ففي الشعر الجاهلي قصائد غزلية كاملة سنذكر بعضها كأمثلة ، ونشير إلى بعضها .

(٢) الامالي ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦ هـ) ، دار الجيل ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، ج ٢ / ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٢ / ٢٥٧ - ٢٥٨ .

وهذه هي معاناة الحب الصادق العفيف ، التي نراها تتجلى بوضوح عند شعراء الغزل العذري . وقصيدة أخرى للمنخل بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكري ، تتخللها سبعة أبيات فخرية (١) . وكذلك قصيدة غزلية كاملة لطرفة بن العبد ، يتغزل فيها بامرأة تدعى سلمى ، فيستهل القصيدة بالوقوف على الأطلال ، ثم يتابع الشاعر متحدثاً عن وجدته الذي لا ينفد ، فحبه لسلمى كحب المرقش الأكبر لأسماء عميق وشديد ، فالمرقش مات وجداً وألماً ، ويبلغ الأمر بالشاعر منتهى العشق القاتل ، فهو يرى أن موتاً لا عقوبة بعده أشفى من هوى مقيم :

وقد ذهب سلمى بعقلك كله فهل غيرُ صيدٍ أحرزته حباله
كما أحرزت أسماء قلب مُرقشٍ بحُبِّ كلمع البرق لاحت مخايله
وأنكح أسماء المُرادي يبتغي بذلك عوفاً أن تُصاب مقاتله
فلما رأى أن لا قرار يُقره وأن هوى أسماء لا بُدَّ قاتله
ترحل من أرض العراق مُرقش على طربٍ تهوي سراعاً رواحله
فوجدي بسلمى مثل وجد مُرقش بأسماء إذ لا تستفيق عواذله
قضى نحبهُ وجداً عليها مُرقش وعُلقْتُ من سلمى خبالاً أماطله (٢)

ولسوار بن المضرب قصيدة غزلية مستقلة طويلة ، ذكرها الأصمعي (٣) . وغير هذه الأسماء كثير ممن كتبوا في الغزل قصائد أو مقطوعات (٤) .

نستنتج مما تقدم أن هناك قصائد استقلت بموضوع الغزل دون أن يمهد أصحابها بها لأغراض شعرية أخرى (٥) . وهذا ما أثبتته الدكتور " حسن جبار

-
- (١) ينظر : الأغاني : ٢١ / ٦ - ٧ . والأصمعيات : ٣٣ - ٣٤ . (الأصمعية رقم : ١٤) .
(٢) ديوان طرفة بن العبد ، شرحه وقدم له : مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، ص ٦٤ - ٦٥ .
(٣) ينظر : الأصمعيات : ١٣٠ - ١٣٢ . (الأصمعية رقم : ٩١) .
(٤) ينظر : الغزل في العصر الجاهلي : ١١٣ ، وما بعدها .
(٥) ينظر :
١- الأغاني : (٦ / ٣٧٨ - ٣٨٤) و (٢٢ / ٤٣١) .
٢- المفضليات : ٢١٥ (المفضلية رقم : ٤٥) . و ٢٤٢ - ٢٤٣ (المفضلية رقم : ٥٦) . و ٢٤٥ - ٢٤٧ (المفضلية رقم : ٥٧) .
٣- تزيين الأسواق : (١ / ١٤١) و (١ / ٢٠٠) .
٤- الشعر والشعراء : ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٦ .

محمد الشمسي " في كتابه (الغزل في عصر صدر الإسلام ، ص ٤١) . والذي ذكرناه في ما مضى من البحث .

وإذا كانت أشواق الروح في هذا الغزل أغلب من رغبات الجسد ، فليس معنى هذا أنه روعي خالص الروحانية بل كانت تشوبه بدوات حسية ، لأن حب الرجل للمرأة لا يخلو من شوائب جسدية ، أعجاباً بجمالها ، واشتياقاً إلى لمسها أو تقبيلها ... وهكذا كان الغزل العذري في الجاهلية ، فيه لفات إلى الجمال الجسدي ، وشوق إلى متعة ضئيلة مما لا يخرج بهذا الضرب من الحب والغزل عن نوعه إلى الغزل الحسي ^(١) ، ومن الأمثلة على تلك البدوات الحسية قول عبد الله بن العجلان :

خـودُ رداحٍ طفلةً ما الفُحشُ من أخلاقها
ولقد ألدُّ حديثها وأسرُّ عند عناقها ^(٢)

فالحب العذري لا يخرج عن أن يكون (صراعاً بين الجسد والروح يتحول في نفس العاشق - لأسباب شخصية أو اجتماعية أو اقتصادية - إلى رغبات مكبوتة ، وهي رغبات كان العشاق العذريون يتسامون بها فوق مستوى الغرائز ، ويرفعون بها فوق مستوى الشهوات ، ويستعلون بها فوق رغبات الجسد) ^(٣) .

(١) ينظر : الغزل في العصر الجاهلي : ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٢) ديوان عبد الله بن العجلان النهدي : ٣٩ .

(٣) الحب المثالي عند العرب : ٤٤ .

ولمثل هذا ذهب مجموعة من الدارسين منهم على سبيل المثال لا الحصر والاستقصاء :

١- الدكتور أحمد عبد الستار الجواري في (الحب العذري نشأته وتطوره ... ص ٢٦ - ٥٠ - ٥١) .

٢- الدكتور أحمد محمد الحوفي في (الغزل في العصر الجاهلي ... ص ٢٢١ - ٢٢٢) .

٣- عمر فروخ في (تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية : ٨٢ / ١ - ٣٦٨) .

٤- الدكتور عبد المنعم الزبيدي في (مظاهر الخصب والإشراق والحنين في الغزل العذري وأصولها الجاهلية ، مسئل من مجلة المرید التي تصدر عن كلية الآداب بجامعة البصرة ، دار الطباعة الحديثة ، بصرة - عشار ، العدد ٢ - ٣ ، ١٩٦٩ م ، ص ٢) . وهذا العنوان بحد ذاته دليل على أصول الغزل العذري .

٥- الدكتور شوقي ضيف في (الحب العذري عند العرب ، توزيع الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م ، ص ٢٤ - ٢٥) .

٦- حسان أبو رحاب في (الغزل عند العرب ... ص ١٦٨) .

وبعد كل ما ذكره الباحث من خصائص هذا الغزل من خلال النماذج السالفة الذكر نستنتج أن هذا الغزل يصور عمق المشاعر الوجدانية ، وقوة العواطف فيه ، وانفعالات النفس الإنسانية ، وإذا كان جوهر الإبداع هو الانفعال ، وما دام الانفعال هزة عاطفية في النفس كما يقول " برجسون " ^(١) ، فإن الغزل العذري هو نمط الشعر الزاخر بضروب الانفعال الإنساني وهو وسيلة يستطيع الشعر من خلالها التغلب على العذاب والضعف ، فكأن الغزل العذري هو النموذج الأمثل المنحوت من الوهم الذي يُرضي الشاعر فيه تطلعه إلى تحقيق حاجته النفسية الملحة ، فكان التعبير عن تجربة العشق وبحديث الحب المتسامي انعكاساً واضحاً للقلق الروحي ، ذلك لأن الشعر من أعماق التجارب التصاقاً بالروح الإنسانية ، ومن هنا جاء الشعر العذري تعبيراً إنسانياً طرح المعاني الإنسانية الخالدة .

وقد وظف الشاعر الجاهلي الغزل ... وذلك لأسباب فنية ونفسية أسهب القدماء ، والمحدثون في تحليلها ، والوقوف عندها ، والحديث عنها ^(٢) .

والسمات الروحية التي رسمها شعراء الجاهلية للمرأة تكاد تكون بمثابة الحجر الأساس الذي أرسى عليه شعراء الغزل العذري قواعد مذهبهم ، (وما تم للعذريين هذا المذهب الواضح للحب ، إلا نتيجة هذه البدايات عند متمي العصر الجاهلي) ^(٣) .

(١) ينظر : الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، الدكتور . مصطفى سويف ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥١ م ، ص ٢٠٩ .

(٢) ينظر :

١- تراثنا القديم في أضواء حديثه ، (بحث) سهير القلماوي ، مجلة الكتاب ، القاهرة ، العدد الثاني ، ١٩٦١ م ، ص ٣٢ - ٣٦ .

٢- الرمزية في مقدمة القصيدة من العصر الجاهلي حتى العصر الحاضر ، الدكتور أحمد الربيعي ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ، ص ١١ - ١٠٩ - ١١٧ .

٣- الطبعة في الشعر الجاهلي ، الدكتور نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ م ، ص ٢٥٧ .

٤- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، الدكتور . حسين عطوان ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ م ، ص ٢٣٦ .

(٣) نشأة التصوف الإسلامي ، إبراهيم بسيوني ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ م . ص ٥٧ .

وينظر : تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، نجيب محمد البهيتي ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦١ م ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

ومن الخصائص التي تميز بها الغزل العذري عند الجاهليين أيضاً ، أنه أضفى على حبيباتهم صفات الإجلال ، والتأثير الغلاب ، حتى لتذوب عزيمة أحدهم بسحر محبوبته وفتنتها كما يذوب الملح في الماء ^(١) . قال النابغة الذبياني :

لولا حبالُ من نُعمٍ علقتُ بها لأقصرَ القلبُ عنها أيَّ إقصارِ
فإن أفاق لقد طالَت عمايئُهُ والمرءُ يُخلقُ طوراً بعد أطوارِ ^(٢)

وكذلك في شعر الجاهليين إذعان لحبهم وخضوع له ورضا به ، على أنه قضاء من الله وقدر ، لا حيلة لهم فيه ولا اختيار . قال النابغة الذبياني :

رأيتُ نُعماً وأصحابي على عجلٍ والعيشُ للبينِ قد شُدَّتْ بأكوارِ
فريعَ قلبي وكانت نظرةٌ عرضت حيناً وتوفيقُ أقدارٍ لأقدارِ ^(٣)

وكثيراً ما شكّا هؤلاء المتيمون من تمنع الحبيبات وبخلهن ، استجابة لعفتهن وتعالينهن ^(٤) .

فهذا قيس بن الحُدادية يقول :

وإن الذي أملتُ من أمِّ مالِك أشابَ قَذالِي واستهامَ فؤادِي ^(٥)

وإذا كان أكثر الغزل تقليدياً وكان مقتصرأً على التشبيب بمحاسن المرأة فإن من شعراء الجاهلية مَنْ تفجرت شاعريته من ألم الحب وتغزل غزلاً صادقاً صور فيه لوعة العاشق وحرقة المتيم ، هو عنتر بن شداد .

ومعظم غزليات عنتره قالها في ابنة عمه عبلة ، لأنه تعلق بها وحدها ولم يشغل قلبه بسواها ، وهذه من أهم خصائص الغزل العذري ، أن يتعلق قلب المحب بحبيبة واحدة . وحب عنتره العفيف لعبلة ، هو الوجه الآخر له ، والمرادف لفروسيته .

(١) ينظر : الغزل في العصر الجاهلي : ٢٢٦ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ، قدم له وبوبه وشرحه : الدكتور . علي بو ملحم ، منشورات مكتبة الهلال ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ م ، ص ٢٠٦ .

(٣) ديوان النابغة الذبياني : ٢٠٧ .

(٤) ينظر : الغزل في العصر الجاهلي : ٢٢٨ .

(٥) الأغاني : ١٤ / ٣٥٨ .

ولنأخذ هذه الأبيات التي يعبر بها الشاعر عن شوقه لحبيبته عبل ، فهي لا تبارح خياله أبداً :

أشاقك من عبل الخيال المبهج	فقلبك منه لا عج يتوهج
فقدت التي بانَتْ فبتٌ معذباً	وتلك احتوتها عنك للبين هودج
كأن فؤادي يومَ قمتُ مودعاً	عبيلة مني هاربٌ يتمعج
خيلِي ما أنساكما بل فداكما	أبي وأبوها أين أين المعرج
عبيلة هذا درُ نظمٍ نظمته	وأنت له سلكٌ وحسنٌ ومبهج ^(١)

تلك هي العاطفة المشبوبة المتوقدة الصادقة ، يرحل قلب عنترة مع حبيبته ، ويذوب لحظة فراقها ، ويتمنى لو يمر صاحباه على ديارها ، فقد رحلت عنه وتركته في عذابٍ مقيم ، يبتها فيه أروع أشجانه ، وأزكى عواطفه وأسمى أشعاره ، أبيات در جميل هي سلكه وجماله الفتان ، فالصدق والعفوية والانسحاب الجميل والتضحية الهائلة في سبيل المحبوب عناصر لم يخرج عليها عنترة تقريباً في معظم قصائده .

والعبلات صداح قلب وروح وأهازيج أمل وفرح وعنفوان ، وألم نابع من الخوف على المحبوب . والعبلات تطرز القصائد بلونٍ سامٍ مرهف . وغزل عنترة من نوع مميز ، يعف عن الإسفاف والتهور والانحراف ، ليس فيه فحش وبذاءة ، غزل يليق بالفرسان والأباة ، ودائماً عبلّة في صميم حبيبها ، وها هو يبتها حنينه وأشواقه العطرة فيقول :

قسماً يا عبل يا أخت المها	بثناياك العذبات قبل
وبعينيك وما قد ضمنت	من دواهي سحرها والكحل
إنني لولا خيال طارق	منك ما ذقتُ هجوع المقل
أترى تُنبئك أرواح الصبا	باشتياقي نحو ذاك المنزل
فسقى الله لياليك التلي	سلفت صوب السحاب الهطل ^(٢)

(١) شرح ديوان عنترة بن شداد : ٢٧ - ٣٠ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٢ .

ما أقرب هذه القصيدة للقلب وما أعلقها بالوجدان ، وهي دون شك من ألوان الغناء الجميل ، الرقراق البعيد عن الإسفاف والانحدار. ولننظر في هذين البيتين بخل المحبوبة على محبوبها، وهذه خصيصة مهمة من خصائص الغزل العذري، يقول :

فهل تسمح الأيام يا ابنة مالكِ بوصلٍ يداوي القلبَ من ألم الصِّدِّ
وحقَّك أشجاني التباعد بعدكم فهل أنتم أشجاكم البعدُ — من بعدي (١)

إنه الغزل العفيف المترفع عن الدنيا والابتذال والانحراف . غزل الحب الصادق المتجلي في كل قصيدة عنترية ، والشاعر كما رأينا يجمع المحاسن كلها في حبيبته .

وعبليات عنترية كثيرة ، وجميعها من النوع الغنائي الجميل ، الصادق الصافي ، المنبعث من نفسٍ شامخة ، الواضح البعيد عن الغرابة والتكلف .

ومهما يكن من أمر فعل الشيخ " نصيف اليازجي " كان منصفاً عندما دفعه حماسه إلى شعر عنترية إلى أن يقول :

إن لم يكن أفرس الفرسان عن ثقةٍ فإنه دون شكٍ أشعر الشعرا (٢)

والغزل العذري أمر طبيعي عند عنترية ينسجم مع توجهه الخلقي الذي أشرنا إليه . والذي يطالع الديوان يجد أنه يكاد يخلو من وصف الجمال الجسدي إلا في أبيات معدودة ، وإذا وردت بعض الأوصاف فإنها تكون بعيدة عن الفحش ومحاطة بسياج من الحشمة :

وألثم أرضاً أنت فيها مقيمةً لعلَّ لهيبي من ثرى الأرض يبرُدُ (٣)

وهو حين يصف حبيبته فإنه يراها من خلال نفسه الشفافة :

عربيةً يهتزُّ لينُ قوامها — فيخاله العشاقُ رماً أسمراً (٤)

(١) شرح ديوان عنترية بن شداد : ٤٣ - ٤٤ .

(٢) موسوعة أمراء الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي ، الدكتور . حسن جعفر نور الدين ، شركة رشاد برنس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٩ م ، ص ١٣٤ .

(٣) شرح ديوان عنترية بن شداد : ٣٨ .

(٤) المصدر نفسه : ٦٩ . وينظر : شرح المعلقات السبع ، للحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني (ت ٤٨٦ هـ) ، اعتنى به : محمد مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، ص ٢٤٤ .

أما ما يخص المعلقة ، فكانت العرب تسميها المذهبة لحسنها (١) وفيها من ذكر الشوق والفراق ما فيها .

ومما تقدم فإن غزل عنتره يعدّ من الغزل العفيف وللأسباب التي أشرنا إليها - سلفاً - فهو القاعدة الأساسية التي يستند إليها الغزل العذري في كل العصور ، وغزله الشفاف السهل العذب هو أساس هذا النوع من الغزل ، ومجمل خصائص الغزل العذري كامنة فيه ، فما بالك بغزل باقي الشعراء المتيمين الذين عاشوا تجارب الحب في العصر الجاهلي !!؟

وهناك أيضاً طائفة من الشعراء لم تصرف همها إلى وصف محاسن المرأة وأعضائها ، ولم تتغنّ بفضائلها وأخلاقها ، ولكن راحت تصور ما يلقاه العاشق المحب من شوق ووجد وهيام ، وما يعانيه من ألم الفراق ولوعة البعاد ، وكيف يسهر الليل ويرقب النجوم ، يتغنّى بخيالها ويمني النفس بزيارة من طيفها ، وهو سهر متأمل في طول الليل وثبات النجوم ، أرقّ مضطرباً لما يلقاه من حبٍ عفيف يكاد يذهب بالعقل .

ولقد يصور هؤلاء المحبون عواطفهم وعواطف حبيباتهم في أسلوب حوارى ، يحللون فيه مشاعرهم ، ولا يعرضون فيها للجسد أو ما يتصل به ، كقول " قيس بن الحُدّادية " يصف مشاعره ومشاعر نُعم ، وقد مضت مع أخيها إلى مصر والشام راحلين لما أصابهم من جذب ، فيعبر عن ألمه لرحلتها ، وعن بخلها بالوصل ، ثم يقص حديثاً دار بينهما فيقول :

وقلتُ لها في السرِّ بيني وبينها على عجلٍ أيّانَ مَنْ سار راجعُ ؟
فقلت : لقاءً بعد حَوْلٍ وحِجَّةٍ وشَحْطُ النوى إلا لذي العهدِ قاطعُ
وقد يلتقي بعد الشّتاتِ أُولو النّوى ويسترجع الحيّ السحابُ اللوامعُ (٢)
ويصور أذاها من الوشاة بقوله :

سعى بينهم واشٍ بأفلاقِ برِمةٍ لتفجّع بالأطعان مَنْ هو جازعُ
بكت من حديثِ بَثِّه وأشاعه ورصّفه واشٍ من القومِ راصعُ

(١) ينظر : شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، للشيخ أحمد الأمين الشنقيطي ، حققه وأتم شرحه : فاتن محمد خليل اللبون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ص ١٣٦ .

(٢) الأغاني : ١٤ / ٣٥٥ - ٣٥٦ . وتزيين الأسواق : ١ / ١٨٤ - ١٨٥ .

بكت عينٌ من أبكاكِ لا يعرف البكا ولا تتخالجكِ الأمور النـوازغُ
فلا يسمعن سرِّي وسرِّكَ ثالثٌ ألا كلُّ سرٍّ جاوز أثنين شائغُ
وكيف يشيع السرُّ منِّي ودُونَه حجابٌ ومن دون الحجاب الأضالعُ (١)

ويصف حاله وحالها وقد نادى منادٍ بالرحيل ، فيقول أنه جاء إلى منزلها
كمستضيف أو سائل ، يتوسل بذلك لأن يلقاها ويحدثها ، فردته ، فاختمت تحت الستر
حتى بلله العرق من الحر ، فدهشت من فعله وعضت أصبعها :

وما راعني إلا المنادي ألا اظعنوا وإلا الرواغي غدوةً والقعاقـعُ
فجئتُ كأني مستضيفٌ وسائلٌ لأخبرها كلَّ الذي أنا صانـعُ
فقلت : تزحزح ما بنا كُبرُ حاجةٍ إليك ولا منّا لفكر راقـعُ
فما زلتُ تحت الستر حتى كأني من الحر ذو طمرين في البحر كارعُ
فهزّت إليّ الرأس مني تعجباً وعُضّض مما قد فعلتُ الأصابعُ (٢)

وقد حدد الباحثون (٣) الخصائص أو الملامح العامة لهذا اللون من الشعر
بنقاط نستطيع أن نجل أهمها بالآتي :

١ - بساطة المعاني ومباشرتها وعدم الغموض والتعمق فيها ، وذلك لأن
الشاعر لا يهتم بالمعاني بقدر اهتمامه وتركيزه على التعبير عن العاطفة التي تجيش
بها نفسه .

٢ - غلبة روح الصدق على الشاعر العذري ، فهو يُقنع مستمعيه بحرارة
عاطفته وأمانة وصفه لما يعبر عنه من شعورٍ نحو محبوبته .

(١) الأغاني : ٣٥٥ / ١٤ - ٣٥٦ . وتزيين الأسواق : ١ / ١٨٤ - ١٨٥ .

(٢) الأغاني : ٣٥٦ / ١٤ .

(٣) ينظر :

١ - الغزل في العصر الجاهلي : ٢١٣ وما بعدها .

٢ - الحب العذري نشأته وتطوره : ١٠١ .

٣ - التزام الشاعر العذري بمحبوبة واحدة لا يتجاوزها إلى غيرها ، ولا يتحول حبه عنها ، وبسبب ذلك ، ارتبط اسم كل شاعر بحبيبته ، وصارا متلازمين .

٤ - سهولة الأسلوب ومباشرته حيث يتجه فيه إلى الغرض الأصلي دون المرور بالمقدمات أو الأغراض الأخرى التي يهتم بها الشعراء غير الغزليين .

٥ - طغيان الحرمان واليأس على الوصل والأمل ، ولذلك غالباً ما يصف الشاعر محبوبته بأنها مُعرضة متمنعة قلما تستجيب له أو تسمع منه .

لذلك فإن الغزل العذري في العصر الأموي هو امتداد لنموذج جاهلي معروف هو غزل المتيمين ، لا يكاد يتميز عنه إلا في بعض السمات التي فرضتها طبيعة الحضارة الإسلامية ، وأن البيئة البدوية بما فيها من خصائص ، هي العامل الرئيس الذي أنتج هذا اللون من الغزل العفيف ، وأن ثبات الخصائص البدوية ورسوخها في المجتمع وفي الأفراد ، هو الذي أدى إلى استمرار هذا اللون من الشعر عبر عصرين مختلفين (١) .

(١) من بحث أعده طالب الدراسات العليا " الماجستير " سلام عبد الواحد جبارة بعنوان " العفة في الغزل العذري بين المفهوم الإسلامي والقيم البدوية " (مخطوط لم ينشر بعد) جامعة البصرة - كلية التربية ، ٢٠١١ م ، ص ١٣ .

الفصل الثاني

البواعث الموضوعية للغزل العذري :

- المبحث الأول : الباعث الديني .
- المبحث الثاني : الباعث الاجتماعي .
- المبحث الثالث : الباعث السياسي .
- المبحث الرابع : الباعث الحضاري .

الفصل الثاني

البواعث الموضوعية للغزل العذري

إن من أكثر القضايا أهمية وحيوية في دراسة الغزل العذري هي قضية " بواعث الظاهرة العذرية " فقد ذهب النقاد فيها كل مذهب ، ونظروا إليها من زوايا مختلفة ، فمنهم مَنْ اكتفى بالإشارة إليها ، ومنهم مَنْ فصل القول فيها ، وهناك مَنْ قصر الظاهرة العذرية على باعث واحد وهناك مَنْ جمع بين عدد من البواعث ، وقد جمعنا هذه البواعث في الاتجاهات الرئيسة الآتية :

- ١- الباعث الديني .
- ٢- الباعث الاجتماعي .
- ٣- الباعث السياسي .
- ٤- الباعث الحضاري .

وتجدر الإشارة إلى أن هناك تداخلاً نسبياً بين هذه البواعث ، لذلك جعلنا ما يرتبط بالبيئة ضمن الباعث الاجتماعي ، لأن أثر البيئة تجسّد في العلاقات الاجتماعية والسلوك الاجتماعي ، وكذلك نجد أن الباعث الاجتماعي قد أثر على بقية البواعث الأخرى بصورة مباشرة وغير مباشرة ، وكذلك الباعث الحضاري فقد ارتبط بالباعث السياسي ، لأن الأثر السياسي المباشر وغير المباشر يدخل ضمن حركة العصر والتطور الحضاري الذي وصلت إليه الأمة ، وبما أن ظاهرة الغزل العذري كانت انعكاساً مباشراً إلى حد بعيد لظاهرة العشق العذري التي ازدهرت في بوادي الحجاز ونجد في العصر الأموي ، فإننا ومن خلال هذه البواعث التي ذكرناها نبحت عن أصول هذه الظاهرة التي ازدهرت في العصر الأموي محاولين رسم خطوط عريضة أولية لها .

المبحث الأول

الباعث الديني

الباعث الديني :

يذهب كثير من الباحثين إلى أن السبب الرئيس في وجود الظاهرة العذرية هو الدين الإسلامي وتمكنه من النفوس وأثره في تهذيبها ، وقد ذهبوا إلى ربط نشأة الغزل العذري ربطاً وثيقاً بالإسلام .

ولعل أول من أشار إلى ذلك الدكتور " طه حسين " في قوله : (وكان أهل البادية ... قد تأثروا بالإسلام ، وبالقرآن خاصة ، فنشأ في نفوسهم شيء من التقوى ليس بالحضري الخالص وليس بالبدوي الخالص ، ولكن فيه سذاجة بدوية وفيه رقة إسلامية ... فانكبوا عليها واستخلصوا منها نغمة لا تخلو من حزن ... أنهم انصرفوا إلى شيء من المثل الأعلى في الحياة الخلقية) ^(١) . وقال : (... إن حياة البدوي قد تأثرت بالقرآن الكريم وما فيه من دين وخلق وأدب وحكمة ونظام) ^(٢) . وتبدو الصلة قوية جداً بين هذا اللون من الغزل والإسلام في قوله : (إن الغزل الإسلامي العذري أضاف إلى المادة شيئاً آخر جعله قوام الشعر ، نريد به الحب نفسه وما يترك في القلب من أثر ، وما يبعث في النفس من عاطفة ، وما يسبغ على المحب من كآبة ، وما يحيي فيه من أمل ورجاء ...) ^(٣) . وفي قوله : (إن موضوع الغزل في الجاهلية كان جسم المرأة ، فأصبح في الإسلام نفس العاشق ، من هنا كان العذريون المسلمون يصفون المرأة ... كما ينبغي أن يصفها إنسان يشعر ويحس ويمتاز بشيء من الشعور والحس لا يخلو من رقة ورقية معاً ، لم تكن المرأة عند هؤلاء الشعراء حاجة تطلب أو شيئاً يُطمع فيه ، وإنما كانت شطراً من النفس لا تطيب للنفس حياة إلا به ... وهذا رقي عظيم ، وعلى أن العقل العربي والشعور العربي عندما بلغا هذا الطور من تصور المرأة والحكم عليها والميل إليها ؛ كانا قد جاوزا طور الوحشية التي كان يعيش فيها الجاهليون وليس غريباً أن يعظم الفرق بين هذين الطورين فقد كان بينهما القرآن ، وأثر القرآن في نفوس المسلمين عظيم) ^(٤) .

فالدكتور " طه حسين " يرى أن الغزل العذري أموي النشأة ، لم يألّفه الجاهليون ، أو في الأقل لم يحسنوا فهمه ، ولا العناية به ^(٥) .

(١) حديث الأربعاء : ١ / ١٩٠ .

(٢) المصدر نفسه : ١ / ٢٢١ .

(٣) المصدر نفسه : ١ / ٢٢٥ .

(٤) المصدر نفسه : ١ / ٢٢٦ .

(٥) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٣٨ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

وبهذا خلع الباحث " الإسلامية " على الغزل الذي أحدثه عدد من شعراء الأعراب في بادية نجد و بادية الحجاز في القرن الأول الهجري ، أو في العصر الأموي ، بأسباب مرجعيتها الإسلام الذي طهر النفوس ، ورقق القلوب ، بعد أن عمرها بالعقيدة ، وأشبع فيها الإيمان ، والتعلق بالدار الآخرة ، فربى جيلاً تربية صارمة ، أتخذ العفاف والزهد ومجاهدة النفس في الحب مجازاً للثواب في الآخرة ، فسعى الشاعر بذلك في تصويره للمرأة ، وتصويره لنفسه ولها ، نحو مراقي الإنسانية ، حين جعل منها مثلاً ذا علو يرتقي إليه بنفسه . وبدا كل ذلك أفكاراً دينية في معاني الشعر ، وألفاظاً ومصطلحات إسلامية في معجمه اللغوي .

وكذلك فعل الدكتور " شكري فيصل " فقد ذهب إلى أبعد من ذلك فهو يرى أنه لم يكن من الممكن أن يظهر هذا الغزل بقدسيته وطهارته قبل عصر بني أمية (١) .

يستند في ذلك إلى أن الغزل العذري كان ثمرة للقيم الأخلاقية والروحية التي بعث بها الإسلام في البادية العربية ، والتي صفت نفوس الشعراء العذريين وجعلت عشقهم يميل إلى البراءة والطهر والعفة (٢) .

ولكي يؤكد الدكتور " شكري فيصل " نظريته التي ذهب إليها قال : (فالغزل العذري تعبير عن وضع طائفة من المسلمين كانت تتحرج وتذهب مذهب التقى ، وتؤثر السلامة والعافية على المقامرة والمخاطرة ، وترى أن النفس أمارة بالسوء ((إن النفس لأمارة بالسوء)) (٣) ، وأن النار قد حفت بالشهوات على حد تعبير الحديث الشريف ، وأنه من الخير لها أن تصبر)) .. مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع مَنْ أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ...)) (٤) ، وأن تلتزم ما أمر الله به أن يلتزم ((وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يُغنيهم الله من فضله)) (٥) . ولذلك آثرت هذه الطائفة أن تعدل عن شهواتها ، فكانت مثلاً واضحاً

(١) ينظر : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٣٨ .

(٣) سورة يوسف : الآية : ٥٣ .

(٤) سورة الكهف : الآية : ٢٨ .

(٥) سورة النور : الآية : ٣٣ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

واضحاً للتربية الإسلامية في سموها وتعاليتها ... ومن العفة التي كان يواكبها الدين ومن الحب الذي كانت تواكبه الغريزة من هذا كله كان الحب العذري ... (١) .

وبعد فإن الآية القرآنية التي استشهد بها الدكتور " شكري فيصل " :
((وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً ..)) (٢) لكي يربط بين الغزل العذري والإسلام ، إنما هي في حقيقتها تأمر باستعفاف الفقراء الذين لا يستطيعون الزواج من الحرائر ، لأنهم لا يملكون المهر المطلوب ، أو لسبب مادي آخر .

يقول صاحب تفسير الميزان : (الاستعفاف والتعفف قريباً المعنى ، والمراد بعدم وجدان النكاح عدم القدرة على المهر والنفقة ، ومعنى الآية الأمر بالتعفف لمن لا يقدر على النكاح والتحرز عن الوقوع في الزنا حتى يغنيه الله من فضله) (٣) .

فالأمر بالاستعفاف الموجه إلى الفقراء من المسلمين ، يعني نهيمهم عن النكاح غير المشروع ، والتحلي بالصبر إلى أن يرزقهم الله من فضله ، فهي آية تشريعية ، تنص على أحكام في الزواج تراعي أوضاع المسلمين المادية والاجتماعية (٤) .

إذن ليست هناك أية إشارة في هذه الآية للحب أو العفة ، وليس فيها ما يفيد من قريب أو بعيد أن على المسلمين أن يكونوا أعفاء في حبهم ، ومع ذلك فقد تفرد الدكتور " شكري فيصل " بالاستشهاد بها من بين جميع الدارسين الذين عالجوا الغزل العذري . فالربط بين هذه الآية والغزل العذري بعيد كل البعد عن الحقيقة العلمية ، كما أننا لا نجد في القرآن الكريم إطلاقاً ألفاظاً مثل : العفة ، والعفاف ، والعفيف ، والأعفاء ، والأعفة ، وأن كل ما نجد فيه من مادة " عف " هو صيغة " يستعفف " وقد وردت في آيتين فقط من القرآن الكريم تتعلقان بموضوع الزواج . الأولى قوله تعالى : ((والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم)) (٥) . والثانية قوله تعالى : ((وليستعفف الذين

(١) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : ٢٤٨ - ٢٥٣ .

(٢) سورة النور : الآية : ٣٣ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن ، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة المجتبى للطبوعات ، إيران - قم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، ج ١٥ / ص ١١٣ .

(٤) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٣٩ .

(٥) سورة النور : الآية : ٦٠ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ...))^(١) . و" التعفف " وقد وردت في آية واحدة وهي قوله تعالى : ((للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تُنفقوا من خيرٍ فإن الله به عليم))^(٢) .

وبعد أن ينتهي الدكتور " شكري فيصل " من الشواهد القرآنية التي أراد أن يدعم بها نظريته في ارتباط الغزل العذري بالروح الإسلامية التجأ إلى الحديث النبوي الشريف . فأورد حديثاً موضوعاً على لسان الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " يقول : ((من عشق فعف فمات فهو شهيد)) ولعل الدكتور " شكري فيصل " قد تنبه إلى ذلك فجاء بما يشبه التحفظ في حاشية يقول فيها : (أنظر في درجة الحديث وتعديل روايته وتخريجهم ما ذكره ابن القيم في روضة المحبين " ص ١٩٤ - ١٩٥ " وما نقله محقق الكتاب في هامش ١٢٩)^(٣) .

لقد رفض الأئمة وعلماء الحديث هذا الكلام فلم يخرجوه ، والحجة على أن هذا الحديث موضوع هي ليست في عدم وجوده في كتب الحديث الصحيحة ، وإنما في صياغة متن الحديث ، الذي جاء في اثنتي عشرة صيغة مختلفة ، ولا نستبعد أن يكون لهذا الحديث أكثر من واضع حسن ما قاله الواضع الأول وأضاف إليه ما جادت قدرته على الاختلاق^(٤) .

جاء في " مصارع العشاق " في رواية عن سويد بن سعيد قال : حدثنا علي بن مُسهر عن أبي يحيى الققات عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " :

١- ((من عشق ، فظفر ، فعف ، فمات ، مات شهيداً))^(٥) .

وبالإسناد نفسه عن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " أنه قال :

(١) سورة النور : الآية : ٣٣ .

(٢) سورة البقرة : الآية : ٢٧٣ .

(٣) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : ١٩٣ .

(٤) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٤٠ .

(٥) مصارع العشاق : ١ / ١٦ . وينظر : تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، د . ت ، ج ٥ / ص ٢٦٢ ، ج ١١ / ص ٢٩٧ .

- ٢ - ((من عشق وكنتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة)) ^(١) .
- وفي رواية عن أبي سعد البقال عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " أنه قال :
- ٣ - ((من عشق فعف فمات دخل الجنة)) ^(٢) .
- وجاء في " ذم الهوى " عن أبي نُجيع ، عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " قال :
- ٤ - ((من عشق ، فعف فمات ، فهو شهيد)) ^(٣) .
- وقد ورد هذا الحديث بروايات أخرى منها : ^(٤)
- ٥ - ((من عشق فمات فهو شهيد)) .
- ٦ - ((من عشق وكنتم وعف فمات فهو شهيد)) .
- ٧ - ((من عشق وكنتم وعف ثم مات مات شهيداً)) .
- ٨ - ((من عشق فعف وكنتم ثم مات فهو شهيد)) .
- ٩ - ((من عشق فعف وكنتم فهو شهيد)) .
- ١٠ - ((من عشق فكتمه وعف فمات فهو شهيد)) .
-
- (١) مصارع العشاق : ١ / ١٤ - ١٥ . وينظر : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، السيد محمد بن محمد الحسين الزبيدي ، مطبعة دار الفكر ، د . ت ، ج ٧ / ص ٤٤٠ .
- (٢) مصارع العشاق : ١ / ١٠٩ .
- (٣) ذم الهوى ، الشيخ الإمام العالم الأوحى شيخ الإسلام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧ هـ) ، صححه وضبطه : أحمد عبد السلام عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، ص ٢٥٦ .
- وينظر :
- ١- اعتلال القلوب في أخبار العشاق والمحبين ، أبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي (ت ٣٢٧ هـ) ، تحقيق : غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ، ج ٢ / ص ٧٩ .
- ٢- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين : ٧ / ٤٤٠ .
- ٣- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي .
- البرهان فوزي (ت ٩٧٥ هـ) ، طبعه وفسر غريبه : الشيخ بكري حياتي ، صححه : الشيخ صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، ج ٤ / ص ٤١٦ .
- (٤) ذم الهوى : ٢٥٦ - ٢٥٨ . وينظر : تاريخ بغداد أو مدينة السلام : ٦ / ٥١ .

١١ - ((من عشق فعف ثم مات مات شهيداً)) .

وفي روضة المحبين :

١٢ - ((من عشق فكتم وعف وصبر فمات فهو شهيد)) ^(١) .

وبهذا الحديث يستشهد الدكتور " شكري فيصل " فيقول : (ومن هنا كان إخفاق الحب في الحياة الإسلامية استشهاده ، والحديث المروي في ذلك)) من عشق . . .)) يعني أن الإسلام يبيّئ المحب العفيف منزلة الشهيد ^(٢) .

ونحن بعد هذا نتساءل فنقول : أيمن أن يكون هذا الحديث صحيحاً وقد روي بـ " اثني عشر " متناً فيها هذا التباين والتعداد ، لاسيما إذا روي بصيغتين مختلفتين عن السند نفسه ، كما نجد في الروايتين الأولى والثانية ؟ ثم ماذا يمكننا أن نقول في كلام يجمع بين العشق والكتمان والعفة والصبر ومغفرة الله ودخول الجنة ، وبين العشق والظفر والعفة والموت والشهادة ، وبين العشق والعفة والموت والشهادة ؟ ثم كيف يكتّم العاشق حبه عن معشوقه ، وعن سائر البشر ، فيموت ولا يعلم بحبه أحد ؟ إن عاشقاً كهذا لا يرد ذكره في التاريخ . وكيف يرد ذكره ولا أحد يعلم بقصة حبه ؟

لقد تشبّث الدارسون بهذا الحديث الموضوع بعد أن عجزوا عن العثور على نص إسلامي يدعم نظريتهم في أن الباعث الديني هو السبب الرئيس في نشأة الغزل العذري ^(٣) .

وهذا الأمر بعيد كل البعد عن نظرياتهم وفرضياتهم بالأدلة التي أشرنا إليها سلفاً ، لأن الحقيقة دائماً تظهر ولا يحجبها الظلام في أن المهد الأول ، والجذر الأول ، والأصل الأول ، للغزل العذري هو العصر الجاهلي ، وأما العصر الإسلامي والعصر الأموي فكلاهما الامتداد الطبيعي لهذا الغزل بجانبه الموضوعي والفني . وإن كان الجانب الفني أكثر وضوحاً في العصر الأموي منه في العصر الجاهلي ، وهذه حقيقة لا بد أن نعترف بها . لا لقصور في فنية الشاعر الجاهلي ، ولكنها سنة التطور التي لا بد منها .

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ، تحقيق : سيد عمران ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ١٩٤ .

(٢) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : ١٩٣ .

(٣) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٤١ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

ولم يخرج الدكتور " شوقي ضيف " عن نظرية الدكتور " طه حسين " ، فيقول : (ولم تقف موجة الغزل العذري لهذا العصر عند عُذرة وحدها ، فقد شاع في بوادي نجد والحجاز ، وخاصة بين بني عامر ، حتى ليصبح ظاهرة عامة تحتاج إلى تفسير ، ولا شك في أن تفسيرها يرجع إلى الإسلام الذي طهر النفوس ، وبرأها من كل إثم ... وهي من أجل ذلك لم تعرف الحب الحضري المترف ولا الحب الذي تدفع إليه الغرائز ، فقد كانت تعصمها بداوتها وتدينها بالإسلام الحنيف ومثاليته السامية من هذين اللونين من الحب ، إنما تعرف الحب العفيف السامي الذي يصلي المحب بناره ويستقر في أحشائه ، حتى ليصبح كأنه محنة أو داء لا يستطيع التخلص منه ولا الانصراف عنه) (١) . وقد اعتمد الدكتور " شوقي ضيف " فيما قاله على الرواية التي ترونها أكثر كتب التراجم التي تقول : (إن سائلاً سأل رجلاً من بني عُذرة ممن أنت ؟ قال : من قوم إذا عشقوا ماتوا ، فقالت جارية سمعته : هذا عذري ورب الكعبة) (٢) . ويُروى أيضاً (أن سائلاً سأل عروة بن الزبير ، صحيح ما يُروى عنكم من أنكم أرق الناس قلوباً ؟ فأجابه : نعم والله لقد تركتُ ثلاثين شاباً قد خامرهم الموت وما لهم داء إلا الحب) (٣) .

وهكذا استفحلت إصابة الحب فتحوّلت إلى مرض عضال ، وهذا عنصر جديد يضيفه الدكتور " شوقي ضيف " في دراسته للحب العذري ، ثم أضاف عنصراً جديداً آخر هو الحرمان وذلك في قوله : (إن الإسلام قد رقق نفوس أهل البادية وصفّاها ، فكان طبيعياً أن لا يكون غزلهم إباحياً صريحاً ، بل يكون غزلاً متسامياً ، فيه نبل وحرمان وطهارة) (٤) .

وإلى مثل ذلك ذهب الدكتور " أحمد عبد الستار الجواري " فقال : (فالحب العذري ظاهرة اجتماعية جديدة نتجت عن التطور الذي أحدثه الإسلام في نفوس العرب ، وهي نقطة البدء في تاريخ العواطف في المجتمع الإسلامي) (٥) .

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) : ٣٥٩ .

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) ، تحقيق الدكتور . إحسان عباس ، مطبعة الغريب ، بيروت ، دار صادر ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٩ - ١٩٧٠ م ، ج ١ / ص ٢٠٣ . وينظر : تزيين الأسواق : ١ / ١٩ .

(٣) مصارع العشاق : ١ / ٤٣ .

(٤) التطور والتجديد في الشعر الأموي ، الدكتور . شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٣ م ، ص ١٠٦ .

(٥) الحب العذري نشأته وتطوره : ٧٢ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

فهو ينكر أن تكون لهذه الظاهرة جذور جاهلية إذ يقول : (إن الحب العذري ظاهرة اجتماعية إسلامية لم نعرف لها أصلاً في العصر الجاهلي ... على أي ، مع ترددي في أن أقطع برأي في هذا الأمر ، أكاد أقتنع بأن هذا الحب العذري ظاهرة إسلامية كان للدين الجديد والنظام الاجتماعي ، الذي جاء به ، الأثر الأول في خلقها وفي إخراجها على هذه الصورة) (١) .

وكذلك ذهب هذا المذهب الدكتور " سامي مكي العاني " حيث ربط الغزل العذري بالإسلام (٢) .

ويقدر الدكتور " محمد غنيمي هلال " أثر الإسلام في نشأة هذا اللون من الغزل فيقول : (وكان الإسلام أقوى العوامل في ظهور هذا النوع من الغزل ، إذ خلق إدراكاً جديداً للعاطفة ، فيما دعا إليه من جهاد النفس ، ومقاومة الهوى ، وفيما هياً لروح الزهد بتهوينه من شأن الدنيا وتهويله لعذاب الآخرة ، وكانت مقاومة النفس للهوى أكبر ظاهرة تجلى فيها زهد هؤلاء الغزليين في المتاع الحسي ، حتى كان بعضهم من الزهاد والأتقياء) (٣) .

وتقول الدكتورة " نضال إبراهيم ياسين " : إن الدكتور " محمد غنيمي هلال " ربط عفة العذريين بالزهد الإسلامي (٤) ، فهو يرى (أن لاتجاه الزهد في العصر الأموي صدى لدى الغزليين من العذريين ، إذ عَفَّوا عن الملذات الحسية ، وأدركوا الحب على نحو جديد يتمثل فيه الزهد ... وكان هذا الإدراك وليد عصرهم ، والدعوة الدينية إلى الزهد فيه) (٥) .

وإلى هذا المعنى يشير باحث آخر فيقول : (إن تأثير الإسلام كان كبيراً على العرب وهو الذي نوع عشقهم وقسمه إلى العشق العفيف ، والعشق الإلهي رغم أن العذرية كما أسلفنا كانت منذ الجاهلية .. إذن فالحب العذري استمرار للروح العربية بعد قيام الإسلام ومظهر من مظاهر الأصالة العربية في الانقلابات

(١) الحب العذري نشأته وتطوره : ٧٤ .

(٢) ينظر : الإسلام والشعر ، الدكتور . سامي مكي العاني ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٤٢٣ هـ - ١٩٩٠ م ، ص ٩٧ - ١٠١ .

(٣) النقد الأدبي الحديث : ١٨٨ . وينظر : الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ، دار نهضة مصر ، القاهرة - الطبعة الثانية ، ١٩٧٦ م ، ص ١٨ .

(٤) ينظر : العفة في الغزل العذري بين الحقيقة والوهم (بحث) : ٣ .

(٥) ليلى والمجنون في الأدبين العربي والفارسي : ٢٤ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

الفكرية والاجتماعية والسياسية ، والاقتصادية التي أحدثها الإسلام في حياة العرب (١) .

ولم يجد الدكتور " عبد القادر القط " في الدين العامل الوحيد في نشأة الغزل العذري وإنما يرى أن هناك عوامل أخرى يجب أن نشركها معه لكي نقدم صورة أكثر اكتمالاً وشمولاً لنشأته ، إذ يقول : (إن العفة قد تصلح تفسيراً لبعض الظواهر النفسية المألوفة في شعر هؤلاء الشعراء من الزهادة البالغة والرضا ممن يحبون بأقل من القليل ، ولكنها لا تكفي وحدها لنعلل بها نشأة هذا الشعر بمقوماته العامة وظهور هذه الطائفة من الشعراء الذين يدورون جميعاً في فلك التجربة العاطفية وحدها . ولعلنا ، لو التمسنا بعض الأسباب الأخرى ، إلى جانب هذا السبب الديني ، نستطيع أن نقدم صورة أكثر اكتمالاً وشمولاً لتلك النشأة ، فإن علة واحدة لا تكفي وحدها لنشأة ظاهرة كبيرة شاملة كظاهرة الشعر العذري (٢) . وتأسيساً على ذلك نجده يذكر عوامل أخرى وهي : الاجتماعي ، والسياسي ، والحضاري – والتي سوف نفصل فيها القول فيما بعد – غير أنه مع ذلك أعطى الأولوية للعامل الديني في نشأة الغزل العذري .

أما " يوسف اليوسف " فيقول : (.. فالعذرية ، بهذا ، تتوافق مع التربية الإسلامية التي كانت تسعى نحو الارتقاء بالهوية إلى مراقي الإنسانية) (٣) .

وقد تحدث الدكتور " محمد حسن عبد الله " حديثاً مسهباً ومفصلاً عن آراء القدامى والمستشرقين والعرب المعاصرين في نشأة الحب العذري (٤) .

ويمكن أن ننسب العامل الديني إلى طائفة من الشعراء عرفوا في سلوكهم العام بالورع والتقوى ، ولكنهم في حقيقة الأمر بعيدون كل البعد عن الورع والتقوى ، ومن ذلك ما يروى عن عبد الرحمن بن أبي عمار الجُشمي الملقب " بالقس " لعبادته وشدة ورعه وتقواه ؛ فقد رويت عنه وعن محبوبته سلامة أمور لا تمت إلى التقوى بصلة ، ولا ترتبط بالورع بأي نسب !! . من ذلك ما رواه صاحب الأغاني ، إذ قال :

(١) جميل بثينة والحب العذري ، حميد مختار ، مكتبة الشروق ، بغداد ، ١٩٨٣ م ، ص ٣٣ – ٣٤ .

(٢) في الشعر الإسلامي والأموي : ٨١ .

(٣) الغزل العذري دراسة في الحب المقمّوع ، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، آيار ، ١٩٨٢ م ، ص ١٩٥ .

(٤) ينظر : الحب في التراث العربي ، دار المعارف ، ١٩٩٤ م .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

(حدثني خَلاَّد الأرقط قال سمعتُ من شيوخنا أهل مكة يقولون : كان القس من أعبد أهل مكة وكان يُشبهه بعباء بن أبي رباح ، وأنه سمع غناء سلامة القس على غير تعمد منه لذلك . فبلغ غناؤها منه كل مبلغ ؛ فراه مولاها فقال له : هل لك أن أخرجها إليك أو تدخل فتسمع ! فأبى . فقال مولاها : أنا أقعدها في موضع تسمع غناءها ولا تراها فأبى ؛ فلم يزل به حتى دخل فأسمعه غناءها فأعجبه . فقال له : هل لك في أن أخرجها إليك ؟ فأبى . فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها بين يديه ، فتعنت فشغف بها وشغفت به ، وعرف ذلك أهل مكة . فقالت له يوماً : أنا والله أحبك . قال : وأنا والله أحبك . قالت : وأحب أن أضع فمي على فمك . قال : وأنا والله أحب ذلك . قالت : فما يمنعك ! فوالله إن الموضع لخالٍ . قال : إني سمعتُ الله عز وجل يقول : ((الأخلاءُ يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين)) (١) ، وأنا أكره أن تكون خُلةً ما بيني وبينكِ تؤول إلى عداوة . ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النسك ؛) (٢) وقال من فوره فيها :

إنَّ التي طَرَقَتْكَ بين ركائبٍ	تَمْشي بِمَزْهَرِها وأنتَ حَرَامُ
لتَصِيدَ قَلْبَكَ أو جزاءَ مـودَّةٍ	إنَّ الرفيقَ له عليكِ ذِمَامُ
باتت تَعْلَلُنا وتحسبُ أننـا	في ذاك أيقاظُ ونحن نيامُ
حتى إذا سطَعَ الضياءُ لناظِرٍ	فإذا وذلك بيننا أحلامُ
قد كنتُ أَعْدِلُ في السَّفاهةِ أهلها	فاعجَبَ لِمَا تأتي به الأيـامُ
فاليومَ أعذِرُهم وأعلمُ أنمـا	سُبُلُ الضَّلالةِ والهُدَى أقسامُ (٣)

ويقول عندما عرف أهل مكة بعشقه إياها :

سَلَامُ هل لي منكم ناصـرُ	أم هل لقلبي عنكم زاجـرُ
قد سمع الناسُ بوجدي بكم	فمنهم اللَّائِمُ والعـاذرُ (٤)

وقوله فيها :

(١) سورة الزخرف : الآية : ٦٧ .
 (٢) الأغاني : ٨ / ٤٥٥ .
 (٣) المصدر نفسه .
 (٤) المصدر نفسه : ٨ / ٤٥٦ . وينظر : ألوان ، الدكتور . طه حسين ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٨ م ، ص ١٠٠ .

سَلَامٌ وَيَحْكُ هل تُحْيِين مَنْ مَاتَا أو تَرْجِعِينَ عَلَى المحزون ما فاتا (١)

فأي نسك هذا ؟ وأية تقوى هذه ؟ وقد خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً : فهو من جهة لم يلب رغبته محبوبته ومن جهة أخرى خلا بها في موضع لم يرهما فيه أحد ؛ ولكونه يحدثها عن الحب والقبلة وتحدثه عنهما وهو أجنبي عنها ، وهي أجنبية عنه !! فمن أبسط مقتضيات الورع أن يغض المسلم نظره عن المرأة الأجنبية امتثالاً لقوله تبارك وتعالى : ((قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبيرٌ بما تصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ...)) (٢) ، ومن أظهر مستلزمات التقوى ألا يخلو الرجل بامرأة لا تحل له (٣) .

فهؤلاء العذريون إذن هم بعيدون كل البعد عن حقيقة التقوى التي يأمر بها الإسلام ، ولو كانوا متحققين بالتقوى فعلاً لالتزموا منهج الإسلام في العفة ، ولطبّقوا الشريعة في التسامي .. ومنهج الإسلام في العفة – كما هو معلوم – هو غض البصر عن المحرمات ، هو عدم الخلوة بالمرأة الأجنبية ، هو البعد عن الغزل والتشبيب بامرأة معينة .. ومبادئ الشريعة في التسامي هو التحرر من فتنة النساء ، هو الانصراف إلى الخالق سبحانه دون المخلوق ، هو عدم الانسياق وراء غانية تأخذ الأبواب وتسلب العقول !! .

فهؤلاء العذريون لم يتحققوا بشيء من هذا ، فقد افتتنوا بالنساء فعلاً ، وانصرفوا بكليتهم إلى المخلوق دون الخالق ، وانساقوا وراء الغواني والحسنات وقد أخذن عليهم عقولهم وألبابهم ، وتغزلوا بالعشيقات دون حياء ولا خجل واختلوا بالنساء الأجنيات دون رادع من دين ، وزاجر من تقوى .. نعم قد يوجد في هؤلاء العذريين مَنْ انصرف عن الفاحشة بدافع الإيمان ، وابتعد عن الحرام بزاجر التقوى .. ولكن هؤلاء كغيرهم من المؤمنين الصادقين المخلصين الذين يراقبون الله عز وجل في السر والعلن ، ويخشونه في المتقلب والمثوى ..

وإذا كانوا كغيرهم فلماذا ننعثهم بألقاب الطهر ونطلق عليهم أسماء كبيرة تميزهم عن عامة المؤمنين المتقين ، وترفعهم إلى مقام الأبرار القديسين ؟ المسلم الحقيقي هو مَنْ التزم هدى الله قولاً وعملاً ، وَمَنْ أخذ بتعاليم الإسلام جملة وتفصيلاً ، ومن سار على مقتضى الشريعة منهجاً وأحكاماً .. سواء أكان هذا المسلم

(١) الأغاني : ٤٥٥ / ٨ .

(٢) سورة النور : الآيتان : ٣٠ – ٣١ .

(٣) ينظر : الإسلام والحب (بحث) : ٣٥ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

عاملاً أم موظفاً ، أديباً أم عالماً ، حاكماً أم محكوماً ، جاهلاً أم مثقفاً فهؤلاء جميعاً يكونون أتقياء ما داموا على الهدى والصراط المستقيم !! .

ونحن لا ننكر ما للإسلام من أثر في نفوس هؤلاء الشعراء ، غير أن الأحاديث الكثيرة التي تروى في كتب الأدب من أنهم كانوا كثيراً ما يحتالون ليدخلوا بيوتاً غير بيوتهم ، فيقضوا فيها شطراً كبيراً من الليل أو طرفاً من النهار يبيتون ما في نفوسهم من وجد وهيام إلى حبيباتهم في بيوت أزواجهن ، قد يخرجهم من أن يكونوا أعفة تقاة بالمعنى الدقيق . والعفة في الإسلام تعني دخول البيوت من أبوابها ، قال تعالى : ((.. وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون)) (١) ، وهؤلاء يأتون البيوت من ظهورها ولا يتقون الله .

ولعل الدكتور " طه حسين " قد أشار إلى ذلك من قبل حيث يرى أن جميلاً قد غدر بصاحبته مرةً ، وأن الغدر لا يمكن أن يصدر عن حبيب عذري كما نفهمه ، فيقول : (زعموا أن أهل بئينة أذاعوا في الناس أن جميلاً لا ينسب بابنتهم ، وإنما ينسب بأمه لهم ، فغضب جميل لهذه القالة وأراد أن يكذبها ، فواعد بئينة والتقى ذات ليلة فتحدثا ، ثم عرض عليها جميل أن تضجع ، فمانعت ثم قبلت ، فأضجعت وأخذها النوم ، فلما استوثق جميل من ذلك نهض إلى راحلته فمضى ، وأصبح الناس فرأوا بئينة نائمة في غير بيتها ، فلم يشكوا في أنها كانت مع جميل . وقال جميل في ذلك شعراً . أتظن أن مثل هذا الخبر يمكن أن يكون حقاً ، وأن رجلاً كجميل كان يحب بئينة حباً كالذي نجده في شعره يستطيع أن يعرضها لمثل هذه الفضيحة !) (٢) .

وللدكتور " طه حسين " أيضاً التفاتة رائعة وهي أن (شعراء الغزل الحسي كلهم أو أكثرهم من أبناء المهاجرين والأنصار أو المتصلين اتصالاً قوياً بأبناء المهاجرين والأنصار ... أما العذريون فهم من قبائل إعرابية ليس لها شأن عظيم في الإسلام وإنما هي محتفظة احتفاظاً شديداً ببدائنها القديمة وعاداتها الجاهلية الموروثة) (٣) . إن المؤرخين يؤكدون أن العرب في شبه الجزيرة العربية انطلقوا

(١) سورة البقرة : الآية : ١٨٩ .

(٢) حديث الأربعاء : ١ / ٢٠١ .

(٣) المصدر نفسه : ١٧ / ٢ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

على سجيّتهم كما كانوا يفعلون قبل الإسلام ، وأن أكثر الشباب من بني أمية وبعض بني هاشم كانوا في حياتهم إلى الجاهلية أقرب منها إلى الإسلام (١) .

ويرى الدكتور " محمد حسن عبد الله " أن (بني عُذرة ... كانوا بدواً ، يأخذون الدين مأخذاً سهلاً ، وقلماً يبلغ من عقولهم ونفوسهم مبلغاً قوياً يتأثرون به ، ويكيفون حياتهم وفق مثله) (٢) .

ومن هذين الرأيين نستطيع القول إن الإسلام لم يكن ذا أثرٍ عظيم في نشوء هذا النوع من الغزل ؛ بل أن تلاقي كثير من سمات الغزل العذري مع مبادئ الإسلام ، وظهوره في ظل انتشار الإسلام جعل كثيراً من الباحثين والنقاد يميلون إلى أن الإسلام ذو أثرٍ رئيس في ازدهاره . وهذا الربط بين العذرية ودعوة الإسلام إلى العفة والنقاء والطهارة والسمو في الإحساس والقول والفعل ، جدير بالتنويه بحسن الإدراك للمتغير الجديد في تشكيل عناصر الوجود ؛ الإنسان والحياة والكون ، التي حرص الإسلام على بنائها بأساس مكين من القواعد والأفكار والمفاهيم ، غير أنه إدراكٌ قاصرٌ عن رعاية فقه المسائل الشرعية ، المخصوص بالعلم الحاصل بجملة الأحكام الشرعية الفرعية بالنظر والاستدلال ، والصادر عن الكتاب والسنة واجتهاد الصحابة " رضي الله عنهم " في مُقايَسة ما لا نص فيه على ما فيه نص ، باعتبار أن جلب المصلحة ودرء المفسدة هي علة الأحكام الشرعية ، وجعل المصالح المعتبرة هي المصالح التي دل عليها الشرع . حقاً لقد حاول بعض الباحثين ألا يجري في مضمار القول العام المردود في إيجاد الصلة بين الإسلام والعذرية في الشعر ، فتناول الأمر من جهة إسلامية الشاعر وإسلامية الشعر (٣) .

وكان الدكتور " محمد عبد العزيز الكفراوي " رائداً في ذلك ، إذ لم يرَ مسوغاً لهذه الدعوى ؛ لأن شعراء هذا الفن لم يكونوا زهاداً ولا أنصاف زهاد ، لا في حياتهم الخاصة ولا في غزلهم ، بل إن الغزل الحسي والغزل العذري يتفقان في الاتجاه ثم يختلفان في الوسائل والنتائج ، فهما يتفقان في اتجاه النفس في كل منهما إلى الاتصال بمن تحب ، ثم تختلف وسائل كل منهما تبعاً لاختلاف الشخصيات ، فيصيب أصحاب الاتجاه الحسي غايتهم في الوصول إلى من يحبون ، بينما يتعثر أصحاب المذهب الآخر ، لأنهم تتقصهم الجرأة والخبرة وما إلى ذلك من وسائل .

(١) ينظر : الحب في صدر الإسلام : ٧ .

(٢) الحب في التراث العربي : ٢٢٤ .

(٣) ينظر : الغزل ضوابط النظرية وظواهر العدول ، الدكتور . مصطفى عليان ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ، ص ١٣٣ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

إن أثر الإسلام في شعر العذريين لا يخرج عن أمرين ، أحدهما : إن الحرمان الذي زادته قوانين الإسلام الصارمة في تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة ، كان السبب الأول في تطور هذا الحب ، وثانيهما : ظهور بعض الصور والأفكار الجزئية المنقولة من الدين والقرآن ، بما يدل على تأثر الغزل بوصفه فناً ، وليس على عاطفة الحب بالدين والقرآن (١) .

وقد نفى الدكتور " صادق جلال العظم " العفة والطهر والحياء عن هؤلاء الشعراء إذ يرى : (أن العشاق العذريين يتذرعون بالعفة والطهر والحياء ليحققوا غايتهم في استمرار الانفصال علماً بأن سلوكهم في ساعات البعد والفراق لا يقيم وزناً لا للحياء ، ولا للعفة ولا لأي من هذه القيم المثالية التي يدعون التمسك بها حين يرون فائدة منها في رفع حرارة وجدهم) (٢) . يتذرع قيس بن ذريح بالحياء فيقول :

تَنُوقُ إِلَيْكَ النَّفْسُ ثُمَّ أَرُدُّهَا حَيَاءً وَمِثْلِي بِالْحَيَاءِ حَقِيقُ (٣)

ثم أن النساء العشيقات أنفسهن كن (لا يقنعن ولا يصدقن عشق عاشق لهن حتى يشتهر ويكشف حبه ويجاهر ويعلن وينوه بذكرهن ، ولا أدري ما معنى هذا ، على أن يُذكر عنهن العفاف ، وأي عفافٍ مع امرأة أقصى مناها وسرورها الشهرة في هذا المعنى !!) (٤) .

وتسأل الدكتور " صلاح غريب " قائلاً : (هل الانشغال بالمرأة أياً كانت عن كل أمور الحياة ، والفراغ للغزل فيها ، نموذج طيب للشخصية التي تنسب إلى الإسلام ؟ لا يستطيع أحد أن ينكر ما تحدثه الصدمة العاطفية في نفس الإنسان من آلام مبرحة ، ولكن ثمة فرقاً بين إنسان فارغة حياته من العمل والحياة وشؤونها ومتطلباتها ، وبين إنسان مشغول في حياته بما يجعل المرأة جزءاً من الحياة ، وليست كل الحياة محور الاهتمام الوحيد) (٥) .

(١) ينظر : الشعر العربي بين الجمود والتطور ، مكتبة نهضة مصر ، الفجالة - القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٨ م ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) في الحب والحب العذري : ٧٧ .

(٣) ديوان قيس بن ذريح : ١٠١ .

(٤) طوق الحمامة : ٥٤ .

(٥) الغزل العذري - حقيقة الظاهرة وخصائص الفن ، مطبعة مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٣ م ، ص ٣٢ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

ويقول أيضاً : (فكيف تنسب إلى الإسلام هذه الشخصيات المتهالكة في الحب تهالكاً لا يليق أبداً بمبادئ الإسلام وتمجيده للعقل والتفكير السديد ، وعدم الانسياق وراء الهوى) (١) .

وذهب الدكتور " مخيمر صالح " المذهب نفسه ، حين عالج أمر العذرية من زاويتين ، الأولى : شخصية الشعراء العذريين ومدى تدينهم ، فالتقط من شعر جميل والمجنون ما يدل على عدم التدين في مفاهيم الإسلام ، ببيع الدين بالدنيا ، ومدح خطوات الشيطان ، والثانية : مُباينة شعر العذريين للعفة ، إذ إن مفهومهم للمرأة لا يختلف عن مفهوم شعراء الغزل الصريح والماجن (٢) .

وهي الفكرة التي قال بها " العقاد " وغيره : (أن الهوى بين جميل وبثينة لم يكن خلواً من نزعات الجسد ، ولم يكن خلواً كذلك من الشك والريبة وتهمة الخيانة من الجانبين ...) (٣) .

وهذا الاتجاه من البحث ، من الممكن أن يصيب غاية أبعد فيما يقصد الباحث إليه من مغايرة الرأي العام في إسلامية الغزل العذري ، بعد التدقيق في مفهوم الشخصية الإسلامية .

يتبين لنا مما تقدم أن الغزل العذري لم يكن أثراً من آثار الإسلام . إذ أن اللقاءات الكثيرة التي حصلت بين العشاق وعشيقاتهم بعد زواجهن ، تتنافى وعقيدة الإسلام وسنته في الحب والزواج .

إن هذا اللون من الغزل لم يكن وليد العصر الإسلامي لكي يقال إنه ظهر بتأثير من المبادئ الإسلامية في الأخلاق والعفة والطهر ، بل هو جزء لا يتجزأ من شعر الغزل العربي منذ ظهوره في العصر الجاهلي ، وقصائد عنتره بن شداد ، والمرقس الأكبر ، والمرقس الأصغر ، وعبد الله بن العجلان ، وعمرو بن كعب بن المنذر بن ماء السماء ، وعدي بن زيد العبادي ، ومسافر بن أبي عمرو بن أمية ، وقيس بن الحداية ، والمخبل القيسي ، وغيرهم ، تشهد بذلك ، فكل السمات التي يتميز بها الغزل العذري في العصر الأموي من صدق العاطفة والتعبير ، إلى

(١) الغزل العذري - حقيقة الظاهرة وخصائص الفن : ٣٥ .

(٢) ينظر : شعر الغزل في ضوء نظرية الأدب الإسلامي ، (بحث) منشور في مجلة الدراسات الإسلامية ، العدد الثالث ، المجلد الثامن والعشرون ، محرم ، ربيع الأول ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ، إسلام آباد ، باكستان ، ص ٣٥ - ٤٣ .

(٣) جميل بثينة ، لعباس محمود العقاد ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، ص ٥٦ . وينظر : الغزل في عصر بني أمية ، الدكتور . إحسان النص ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٦ م ، ص ٣٨ - ٣٩ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

الالتزام بمعشوقة واحدة ، إلى بساطة المعاني والأساليب ، إلى العفة ، إلى طغيان الحرمان واليأس ، كل هذه السمات حاضرة في شعر هؤلاء الجاهليين حضورها في شعر العذريين ، حتى أن رواة الأدب العربي أطلقوا على هؤلاء الشعراء العشاق اسم " المتيمين " تمييزاً لهم عن العشاق الماديين ^(١) ، وعليه فإنه ليس من المنطق العلمي بشيء أن نعزو هذه الظاهرة الأدبية إلى الإسلام وهي أقدم منه وجوداً .

إن " العفة " التي نقرأها في أشعار هؤلاء العذريين وفي القصص التي تروى عنهم لا تمت بصلة إلى العفة بالمفهوم الإسلامي . ولا تقوم وحدها دليلاً على تقواهم ، وزهدهم في حبهم ، مع ما في شعرهم من صور حسية كثيرة تتنافى مع الالتزام الذي يعرف به المتقون . يجعلنا هذا نقرر أن الغزل العذري يمثل ظاهرة من ظواهر النشور عن الإسلام في العصر الأموي ، وليست أثراً من آثاره ^(٢) . ذلك لأن الغزل العذري في أساسه غزل متحفظ يتحرك ضمن القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع ، ولا فرق في ذلك بين أن يكون المجتمع جاهلياً أو إسلامياً أو نصرانياً .

ويرى الباحث أن العفة في الغزل العذري ليست عفة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، على الأقل ليس وفق المفهوم الإسلامي لها ، فالشاعر العذري في علاقته مع محبوبته ، وضمن ما ينطق به النص ، يتجاوز كثيراً من حدود العفة الإسلامية ، التي تتمحور حول الشرع والمروءة ، وإنما نستطيع أن نصف الغزل العذري بالعفة إذا ما قورن بالغزل الحسي الإباحي الذي عرف به الشعراء الحضريون .

وكذلك فإن العفة العذرية ليست وليدة تأثير الدين الإسلامي في نفوس العذريين ، وإن كان لأخلاقيات الإسلام بعض الحضور في شعرهم ، وليس الإسلام هو العامل الأكبر في ظهور هذه العفة ، بل إن البيئة البدوية هي العامل الأكبر ، والمؤثر الرئيس في وجودها .

(١) ينظر : الأدب العربي بين البادية والحضر ، الدكتور . إبراهيم عوضين ، مطبعة السعادة ، ١٩٨٣ م ، ص ١٥٢ .

(٢) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٤٧ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

فالعفة عند العذريين تكاد تكون أمراً مفجعاً (وقد يكون سبب العفة أن هؤلاء الشعراء يدركون جيداً أن لذات الإنسان في الشوق لا في الوصال . فلذا يتعلقون بامرأة الفراق لأنها تمثل السعادة التي يفقدونها إذا ما واصلوها) (١) .

إذن مما تقدم يمكن للباحث القول إنّ الغزل العذري أو العفيف لون من ألوان الغزل أرجع عدد من الباحثين نشأته إلى تأثير الإسلام ثم جاءوا ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية للتدليل على نظريتهم .

وقد بحثنا في أدلتهم فلم نجد نصاً قرآنياً واحداً يشير إلى العفة في الحب . ثم أن شعراءه - الغزل العذري - لم يكونوا أعفة تقاة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وأن العفة في شعرهم لا تقوم لوحدها دليلاً على تقواهم وزهدهم في حبهم مع ما في شعرهم من صور حسية كثيرة تتنافى مع الالتزام الذي يعرف به المتقون . ثم تبين لنا أن الغزل العذري لا يمثل في كليته ، ما يتسق مع تعاليم الدين مما يشجع على عدّه أثراً من أثاره .

هذه هي حقيقة الغزل العذري من وجهة نظر الإسلام حسب نظرة الباحث المتواضعة ، ومن ثمّ يمكن للباحث أن يقول : إن نشأة هذا اللون المتميز من الغزل بعيدة كل البعد عن الإسلام ، وهذا يخولنا أن نقول بنشأته في العصر الجاهلي ، وأن أصوله وجذوره الأولى نبتت في هذا العصر الذي أرواها بحرقه ووجد وأشواق المتيمين الذين كانوا اللبنة الأولى في نشأة الغزل العذري .

(١) الغزل العذري ليس عذرياً ، بحث للدكتور . حسن جبار محمد الشمسي ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، ص ٢ .

المبحث الثاني

الباعث الاجتماعي

الباعث الاجتماعي :

من يتتبع حياة المجتمع الجاهلي يجده مجتمعاً قَبلياً ، يقوم على أساس من وحدة القبيلة ، سواء في البادية أو في المدن . ولم تكن حياة القبيلة في هذا المجتمع حياة معقدة ، وإنما كانت حياة بسيطة قليلة الأعباء والتكاليف ، والمجتمع الجاهلي مجتمع صحراوي ، غلبت فيه البداوة على الاستقرار . وكيف يكون الاستقرار في أرضٍ قاحلة لا نبت فيها إلا في مواقع الغيث التي سريعاً ما تستحيل بفعل الرعاة لانتجاعهم الدائب هذه المواطن .

وحقاً كانت هناك مدن أو قرى شهدت نوعاً من الاستقرار حول الآبار ، ولكنها قليلة متناثرة ، يبقى بعدها محيط هائل من الصحارى الخالية التي لا ينقذ أهلها من الهلاك إلا سقوط المطر ، ومن هنا سموه غيثاً وحياة ، فهو الذي يغنيهم من الموت وهو الذي يهب لهم الحياة . ولذا كان الناس يتسابقون إلى مواقع السحاب ، كُلُّ يحاول أن يختص نفسه بها . وفي مجتمع كهذا لا تحكمه إلا شريعة القوة : كان القوي يستأثر بهذه المواقع ، فارضاً عليها حمايته ، ولذا سميت بالحمى .

وإذا تحدثنا عن المجتمع البدوي الجاهلي ، فإن له من العادات والتقاليد ما يجعله مختلفاً عن المجتمع المتحضر إذ لا يمكن فصل المجتمع عن بيئته ، ومن أهم تقاليد المجتمع البدوي الغيرة والعزة والشرف والعفة ^(١) . لذا أعطيت المرأة مكانة ومنعة فوصفوها بـ " بيضة الخدر " ^(٢) وهي كناية عن عزتها وكرامتها ، كما الطائر يحتضن بيضته فهي المرأة الكريمة ، وتمثل شرف الرجل الذي لا يذنس ، وعزته التي يدافع عنها ، فكان المجتمع البدوي ينطبع بطابع العفة والطهر والنقاء والإخلاص فكان شعره متسماً بهذه السمات البدوية ^(٣) ؛ والمرأة تمثل كل شيء نفيس وجميل بالنسبة للبدوي ، فهي أعز ما يوجد في الطبيعة البدوية الجذبة

(١) ينظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، الطبعة الثالثة ، الكويت ، ١٩٨٩ م ، ج ٣ / ص ٣١٠ .

(٢) كقول امرئ القيس في معلقته :

وبيضة خدر لا يرامُ خباؤها تمتعت من لهو بها غير مُعجل

ديوان امرئ القيس ، شرح وتعليق : الدكتور . محمد الاسكندراني ونهاد رزق ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م ، ص ٢٤ .

(٣) ينظر : تاريخ الأدب العربي (العصر الأموي) : ١٨٣ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

القاحلة ، وهي أكمل المخلوقات وأجملها وأكثرها عطاء بالنسبة للبدوي ^(١) ، فهي تسقيه وتروي ظمأه في بيئته الصحراوية ، ونرى ذلك في قول عنتره بن شداد :

ثُرَيْكٌ مِنْ ثَغْرِهَا إِذَا ابْتَسَمْتَ كَأْسَ مُدَامٍ قَدْ حَفَّ بِالْدُرَرِ ^(٢)

ويقول في موضع آخر يشكو هوى عبلة ، فيعلل النفس باللقاء ، ونيل رضاها ، فهي مدار حياته وموضع فخره ومكان شرفه وحمى وطنه ، وهي بعيدة المنال صعبة الوصول :

أَتَانِي طَيْفٌ عَبْلَةٌ فِي الْمَنَامِ فَقَبَّلَنِي ثَلَاثًا فَنَسِيَ اللَّثَامِ
وَوَدَّعَنِي فَأَوْدَعَنِي لَهَيْبًا أَسْتَرَّهُ وَيَشْعَلُ فِي عِظَامِي
وَلَوْلَا أَنَّنِي أَخْلُو بِنَفْسِي وَأَطْفِي بِالْدَّمِوعِ جَوَى غَرَامِي
لَمْتُ أَسَى وَكَمْ أَشْكُو لِأَنَّنِي أَعَارُ عَلَيْكَ يَا بَدْرَ التَّمَامِ ^(٣)

أما عن أخلاق الجاهلي ، فأبرز ما نلاحظه : الأنفة وعدم الاستكانة . فالعربي الجاهلي معتد بشخصه ، واثق من نفسه يأبى الذل ويرفضه ، يقاوم القهر ويستتهن في مقاومته بالموت ، سواء كان مصدر هذا القهر خارج القبيلة أو داخل الأسرة ، فكلاهما مرفوض .

ويبدو للنظرة السريعة في الأحوال الاجتماعية للجاهليين لون من الأخلاق : فهم يقدسون المرأة تقديساً جعلهم يُفردون مقدمات قصائدهم للتحديث عنها وعن حبهم لها ، وتعلقهم بديارها وكل ما يذكرهم بها ، حتى ليُخيل إلى الباحث في الأدب الجاهلي أن رمال الصحراء التي كانت تصهرها حرارة الشمس لم يكن بها سوى المرأة ظلاً يستظل به العربي ، ترويحاً عما يحمل على كاهله من أعباء حياته القاسية ، وأنه بدون المرأة تستحيل الصحراء إلى لهيب ، والحياة إلى جحيم .

ويظهر لنا في غزل العرب نموذج لصورة المرأة مطابق لواقع الحياة الاجتماعية ومغاير له ولكنه دال على التزام تام بقيم الأخلاق العربية لأن المرأة تأتي في إطاره مصانة ومحترمة ومخدومة ومعطرة . وهي صورة تفلح في جعل التعبير المجرد - كما يبدو في ظاهره - تعبيراً ذا دلالة رمزية تنهض على احتواء

(١) ينظر : سوسيولوجيا الغزل العربي - الغزل العذري نموذجاً - ، الدكتور . الطاهر لبيب ، ترجمة : مصطفى السناوي ، دار الطليعة ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٨ م ، ص ١٠٦ .

(٢) شرح ديوان عنتره بن شداد : ٦٧ .

(٣) المصدر نفسه : ١٢٤ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

قيم المجتمع العربي ومقوماته الأخلاقية الأصيلة وهي في حقيقة الأمر أخلاق تعتر بها القبيلة العربية ، وتقوي من مكانتها بين قبائل العرب .

فقد كانت المرأة البدوية ترعى الإبل والشيء وتمخض اللبن وتغزل الصوف وتصنع الخيام وتربي الأولاد وتخدم الزوج إلى غير ذلك من شؤون الحياة الأسرية والقبلية فهي مشغولة في كل هذا . أما إذا وصفت بأنها مخدمة منعمة لا يشغلها غير زينتها وعطرها وزيتها . فهذا مناهض لواقع الحياة الاجتماعية ولكنه ينطوي على معان ودلالات أخلاقية واجتماعية يثيرها طموح الأفراد أو الجماعة إلى خلق حالة خاصة من النعمة والترف يتمنون العيش في إطارها (١) .

يقول زهير بن أبي سلمى :

خودٌ ، مُنَعَّمَةٌ ، أُنِيقُ عَيْشُهَا فيها ، لِعَيْنِكَ ، مَكْلًا وَبَهَاءً (٢)

وقول بشر بن أبي خازم :

هضيم الكشح ما غُذِيتِ ببؤسٍ ولا مدّت بناحية الربّاق (٣)

أي أن هذه المرأة مرفهة منعمة لا يكلفها أهلها أن تعلف الإبل في مرابطها ، بل هناك من يقوم بهذا الواجب بدلاً عنها .

وقول النابغة الذبياني :

ليست من السّود أعقاباً إذا انصرفت ولا تبيعُ بجنبي نخلة البرّما (٤)

في كل هذه النصوص تبدو النساء ناعمات مخدمات ، لا يقمن بخدمة الأسرة بل هناك من يتكفل بخدمتهن وقضاء مطالبهن ، فهن مترفات منعمات لا يكفن أنفسهن القيام بأي عمل ، وصورتهن في واقع الحال - غير مطابقة لواقع الحياة البدوية التي تتطلب عملاً شاقاً ومتواصلاً ولكن محاولة الشعراء في نقل المرأة الحبيبة من واقع البؤس والعوز والعيش الضنك إلى واقع أكثر نعمة

(١) المرأة ذلك الغزل ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ م ، ص ١٨٢ .

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرحه وقدم له : الأستاذ . علي فاغور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، ص ٢٢ .

(٣) ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق : الدكتورة . عزة حسن ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٦٠ م ، ص ١٦٢ .

(٤) ديوان النابغة الذبياني : ١٤٧ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

وترفاً ، أحال المرأة إلى هذه الصورة المغيرة لحالها المعاشي والاجتماعي ، ليتراجعوا بنص الغزل الطموح المرتجى في العيش الرغيد المترف الذي تعيشه المرأة ، ولاسيما أنها فرد من جماعة أو من قبيلة ينتسب الشاعر إليها في أغلب الأحيان . والأمثلة على ذلك كثيرة في دواوين الشعراء الجاهليين (١) .

إن قسوة المجتمع وصرامته وكثرة العذال والوشاة والرقباء ولّد حرماناً وكان سبباً في اشتداد العشق وتأجج نارُ الأسى ، وفي الشعر الجاهلي نجد الشعراء يتحدثون عن هؤلاء الوشاة ودورهم في الوقوع بينهم وبين مَنْ يحبون ، وهذا هو أحد ملامح الغزل العذري ، فمن ذلك قول المرقش الأكبر :

أُلحى امرؤ في حبٍّ أسماء قد نأى بَعَمَزٍ من الواشين وازورَّ جانبُهُ
وأسماءُ همُّ النفس إن كنتَ عالماً وبادي أحاديثِ الفؤادِ وغائبُهُ
إذا ذكرتها النفسُ ظَلْتُ كأنني يُزعزعي قفقالِ وِرْدٍ وصالْبُهُ (٢)
وقول قيس بن الخدّادية :

سعى بينهم واش بأفلاق برمةٍ ليفجع بالأظغان مَنْ هو جازعُ
بكت من حديث بَثَّةٍ وأشاعه ورصّفه واشٍ من القوم راصعُ
بكت عينُ من أبكائك لا يعرف البكا ولا تتخالجك الأمور النـوازعُ
فلا يسمعن سرّي وسرّك ثالثُ ألا كلُّ سرٍّ جاوز أثنين شائعُ
وكيف يشيع السرُّ منّي ودُونَه حجاب ومن دون الحجاب الأضالعُ (٣)

ويمكن أن نلمس هذه الملامح العذرية في غزل عبد الله بن العجلان وهو يبكي زوجه هند بنت كعب بن عمرو في ألم وحسرة بعد أن طلقها . وقد ظل على حاله هذا حتى مات كمداً . وهذا بعض وقار العذريين لمحوباتهم . وهو يحدثنا عن أخلاقها ، فيقول : أنها كانت عفيفة لا تعرف الفحش (٤) .

(١) ينظر : ملامح الرمز في الغزل العربي القديم ، الدكتور . حسن جبار محمد الشمسي ، دار السياب (لندن) ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨ م ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٢) ديوان المرقشين : ٤٣ .

(٣) الأغاني : ٣٥٦ / ١٤ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٢٢ / ٤٣١ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

إن العذريين الأمويين كغيرهم من أصحاب الغزل المكشوف ينسجون على منوال الجاهليين ويحتذون مثلهم . لأن في شعرهم مقطوعات لا تقل في نغمتها العفة الصابرة المحتسبة عن غزل المتيمين . بل أننا لنجد أحدهم ترك لنا صورة المرأة المثالية عنده ، فإذا بها تفوق في الدلالة على عفته وعفتها من ذلك ما رسمه لنا جميل بثينة زعيم مدرسة الغزل العفيف في العصر الأموي حين قال :

أَلَمْ تَعَلِّمِي يَا أُمُّ ذِي الْوَدْعِ أَنَّنِي أَضَاحِكُ ذِكْرًاكُمْ وَأَنْتِ صَلُودُ^(١)

وكقول الشنفرى :

ألا أمُّ عمرو أجمعتُ فاستقلَّتِ	وما ودَّعتُ جيرانها إذ تولَّتِ
وقد سبقتنا أمُّ عمرو بأمرِها	وكانتُ بأعناقِ المطيِّ أظَلَّتِ
بعينيَّ ما أمستُ فباتتُ فأصبحتُ	فَقَضَّتْ أُمُوراً فاستقلَّتْ فولَّتِ
فواكبدا على أُميمةَ بعدمــــا	طمعتُ فهبَّها نعمة العيش زَلَّتِ
فيا جارتِي وأنتِ غيرِ مُليمةٍ	إذا ذُكرْتُ ولا بذاتٍ تقلَّتِ
لقد أعجبنتني لا سقُوطاً قِناعُها	إذا ما مشتُ ولا بذاتٍ تَلُفَّتِ
تبيتُ بُعيدَ النِّومِ تُهدي غُبوقَها	لجارتِها إذا الهدْيَةُ قَالَّتِ
تحلُّ بمنجاةٍ من اللُّومِ بَيْتَها	إذا ما بَيوتُ بالمذمَّةِ حُلَّتِ
كأنَّ لها في الأرضِ نسيّاً تُفْصُّه	على أمِّها وإن تُكلمَكَ تَبَلَّتِ
أُميمةُ لا يُخزي نثاها حَلِيلُها	إذا ذُكرَ النَّسوانُ عَفَّتْ وجَلَّتِ
إذا هُوَ أَمسى أبَ قُرَّةَ عَيْنِـــه	مَآبَ السَّعِيدِ لم يسلُ أينَ ظَلَّتِ ^(٢)

إن هذه الأبيات وغيرها تكشف لنا عن الملامح المشتركة لهذا الغزل في العصر الجاهلي وصدر الإسلام والعصر الأموي .

(١) ديوان جميل بثينة : ٤٢ .

(٢) ديوان الشنفرى : ٣١ - ٣٣ . قال الأصمعي : " هذه الأبيات أحسن ما قيل في خفر النساء وعفتن " . ينظر : المفضليات : ٩٨ (المفضلية رقم : ٢٠) .

فشعر عروة بن حزام الذي يحكي قصة حبه لابنة عمه عفراء ^(١) يشتمل على أكثر ملامح الباعث الاجتماعي في شعر العذريين ، كما أن قصة عشقه تعكس الإطار العام الذي صيغت فيه قصص الشعراء العذريين . ويطالعنا عروة بن حزام بصورة مبتكرة لم نألّفها في الشعر العربي القديم ، وهو يصور نحول جسمه ، فيقول مخاطباً واشيين ما يزالان يتعقبانه في كل مكان :

ويتحقق جمال هذه الصورة وجِدَّتِها في أن الشاعر لم يتحدث فيها مباشرة عن هزاله وكأنه حقيقة يدركها الناس بأعينهم ، بل أنه يعقد مقارنة بين ما يظنه الناس فيه من صحة وعافية ، وهو يرتدي قميصه الجديد ، وما ينطوي عليه من ضنى تجاوز الجسد إلى صميم الوجدان .

وفي العصر الأموي نجد الشعراء العذريين يكثرّون من وصف نحول أجسامهم ، وسبب هذا كله التقاليد والعادات الاجتماعية الصارمة التي تفرض على الشاعر أن يكون ملتزماً بها وإلا خرج عن هذه الأعراف الاجتماعية ، وهو حين يخرج عنها يكون خارج نطاق القبيلة ، فيضطر الشاعر المحب أن يكتّم حبه ويخفيه حتى يكون سبباً في مرضه ونحول جسده ، وهذا ما نجده عند قيس بن ذريح وهو يحدثنا عن جسمه المنهوك ، الضعيف ، الهزيل ، الذي يشبه جسماً خاوياً مصاباً بالسل ، فيقول :

٥- الامالى للقالى : ٣ / ١٥٨ .

أصبحتُ من حُبِّ لُبْنَى بَلْ تَذْكُرْهَا فِي كُرْبَةٍ فُقُودِي الْيَوْمَ مَشْغُولُ
وَالْجِسْمُ مِنِّي مِنْهُوْكَ لِفَرْقَتِهَا يَبْرِيهِ طُولُ سَقَامٍ فَهُوَ مَنْحُولُ^(١)

والأمثلة على هذه الظاهرة في الشعر الأموي كثيرة لا نريد أن نخوض فيها لأن مرادنا هو العصر الجاهلي وليس غيره .

وفي العصر الجاهلي ظل العشاق المتيمون يعانون من كيد الوشاة الذين يقطعون عليهم لذة اللقيا ونعيمها ، لذلك فقد ذمهم الشعراء وتكلموا عنهم كثيراً ، فهذا عروة بن حزام يلعنهم على وشايتهم عليه فيقول :

أَلَا لَعَنَ اللَّهُ الْوَشَاةَ وَقَوْلَهُمْ	فَلَانَةً أُمَسْتَ خَلَةً لَفُلَانٍ
إِذَا مَا جَلَسْنَا مَجْلِسًا نَسْتَلِـذُّهُ	تَوَاشَوْا بِنَا حَتَّى أَمَلَّ مَكَانِي
تَكْنَفُنِي الْوَاشُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ	وَلَوْ كَانَ وَاشٌ وَاحِدٌ لَكَفَانِي
وَلَوْ كَانَ وَاشٌ بِالْإِمَامَةِ أَرْضَهُ	أَحَازَرَهُ مِنْ شَوْمِهِ لِأَتَانِي
فِيَا وَاشِي عَفْرَاءَ وَيَحْكُمَا بَمَنْ	وَمَا وَالِي مِنْ جَنَّتَمَا تَشِيَانِ
فِيَا وَاشِي عَفْرَاءَ دَعَانِي وَنَظْرَةَ	تَقْرُبَهَا عَيْنَايَ ثُمَّ زَمَانِي
أَلَا أَيُّهَا الْوَاشِي بَعْفَرَاءَ عِنْدَنَا	عَدَمْتُكَ مِنْ وَاشٍ أَلَسْتَ تَرَانِي
أَلَسْتَ تَرَى لِلْحُبِّ كَيْفَ تَخَلَّلَتْ	عَنَاجِيْجُهُ جَسْمِي وَكَيْفَ بَرَانِي ^(٢)

وإن بخل الحبيبة ، وتمنعها ، وعدم استجابتها لحبيبها ، دليل على عفتها ، وهذه العفة متأثرة من العادات والتقاليد الاجتماعية التي تعودت عليها المرأة البدوية الجاهلية في مجتمعها ، والخروج عليها يعني الموت لهذه المرأة الحبيبة ، لأنها بذلك تكون عاراً على قبيلتها ، فالأفضل لها أن تكون محتشمة متمنعة صعبة المنال ، وهذا كثير ما شكاه منه الشعراء العشاق في العصر الجاهلي .

فقد كان قيس بن الخُدادية يتأمل أن ينال من حبيبته وهو شاب غير أنه لم ينل منها شيئاً :

(١) ديوان قيس بن ذريح (قيس لبنى) : ١٠٦ .
(٢) شعر عروة بن حزام ، تحقيق : الدكتور . إبراهيم السامرائي و أحمد مطلوب ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الرابع ، حزيران ، ١٩٦١ م ، ص ١٧ - ١٨ . وتزيين الأسواق : ١ / ١٣٦ - ١٣٧ .

وإن الذي أملت من أم مالك أشاب قذالي واستهام فؤاديا (١)

وقال كعب بن الرواغ :

ويخالها المرح السفيه تحبه ونوالها غير الحديث بعيد (٢)

وقال سويد بن أبي كاهل اليشكري :

تسمعُ الحُدَّاتِ قولاً حسنأ لو أرادوا غيره لم يُستَمعُ (٣)

وقد تابع شعراء الغزل العذري في صدر الإسلام والعصر الأموي الشعراء الجاهليين في شكواهم من بخل الحبيبة ، الذي يزيدهم تمسكاً بها .

وفي العصر الجاهلي وفي غمرة الحياة الاجتماعية قضى بعض الشعراء الغزليين حياتهم كلها ، وقلوبهم تخفق لحبيبة واحدة لا يحيدون عنها إلى غيرها . تحملوا من أجلها الآلام ، والأحزان ، والأهوال ، التي أسقمتهم ، وأضنتهم ، وأذهلتهم ، وقتلتهم ، وهذه هي سمات الحب العذري في الجاهلية والإسلام .

فمثلاً أذهل الحب الشعراء المتيمين الجاهليين والمخضرمين على حدٍ سواء حتى أنه أوصلهم إلى الموت ، وهكذا نجد أن أغلب خصائص الغزل العذري هي شركة بين شعراء الغزل الجاهليين ، وشعراء الغزل في العصرين الإسلامي والأموي . فقد وجدنا في شعريهما غزلاً مقتصرأ على حبيبة واحدة ، تسود المشاعر والعواطف الصادقة التي تبحث عن الحب الروحي بعيداً عن النزعات النفسية إلى الجسد ، وهذا ما جعلهم يذهبون ضحية في سبيل حبهم ، وقد أشرنا إلى ذلك سلفاً خلال البحث .

ولكن الشيء الذي تجدر الإشارة إليه هنا ، هو أن شعراء الغزل في صدر الإسلام والعصر الأموي أنضج تجربة ، وأرق أسلوباً في غزلهم من شعراء الغزل في العصر الجاهلي ، فضلاً عما تميزوا به من معانٍ ، وألفاظ إسلامية جديدة ، ليس للشعراء الجاهليين عهد بها .

(١) الأغاني : ٣٥٨ / ١٤ .

(٢) المؤلف والمختلف ، لأبي القاسم الحسن بن بشير بن يحيى الامدي (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م ، ص ١٨٤ - ١٨٦ .

(٣) ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري ، جمع وتحقيق : شاكر العاشور ، مراجعة : محمد جبار المعبيد ، دار الحرية الحديثة ، البصرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ م ، ص ٢٥ . وينظر : المفضليات : ١٨٧ . (المفضلية رقم : ٤٠) .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

وإذا أراد الباحث أن يناقش هذه المسألة من جانب علمي أكاديمي يقول : لم تكن المميزات التي تميز بها الغزل في العصرين الإسلامي والأموي هي مميزات تعطيها الأولوية على غزل العصر الجاهلي ، والسبب في ذلك بسيط جداً وهو التطور الذي حصل في المفردات ، مما جعل غزل العصرين الإسلامي والأموي ينفردان بسلسلة الألفاظ ورقتها بعد تأثرهما بالدين ومفرداته المهدبة المؤدبة ، وكذلك التخلص من المفردات الصعبة التي لا يفهمها إلا من كان له في الشعر باع .

فالرقابة التي كانت تفرضها القيم الاجتماعية ، يراها " يوسف اليوسف " أساساً مركزياً ، يقف وراء الظاهرة العذرية (فالرقابة الكابحة ، إذن ، هي العامل المشوه لأرواح الشعراء العذريين الذين صدقوا واقعهم وأرواحهم ، وقلمنا نجد الشاعر العذري عاجزاً عن إدراك سر المكابدة التي يعيشها)^(١) . فالقهر الذي يمارسه المجتمع على الأفراد بواسطة القيم الاجتماعية المفروضة ، سواء أكانت ذات مصدر خلقي أم من صنع العادات والتقاليد ، تجعل الأفراد قسراً أو طواعية يقبلون المنزلة التي يفرضها عليهم الوضع الاجتماعي ، كما لو كانت طبيعة فيهم ويؤدون الأدوار المفروضة عليهم معتقدين أنهم يتصرفون بحرية .

مثل هذا التصور يذهب إلى أن الرقابة كانت تثقل كاهل الشعراء العذريين اجتماعياً ، مبرراً آثارها في نفسية الشعراء الذين كانوا يتأوهون من جبروتها وسلطتها القهرية في المجتمع العربي ، فالرقابة بوصفها قيمة اجتماعية تطرح فكرة الصراع الاجتماعي والنفسي الذي هو ظاهرة (تصادم أو تعارض بين قوى متكافئة إلى حد ما ، فتوافق هذه القوى و تمنعها يؤديان في وقت ما إلى أن الأثر الذي يحدثانه في الوضعية أو في الجماعة ، أو في الأفراد هو أثر يعيشه الأفراد كما لو كان حالة توتر)^(٢) .

وهذا التوتر ذو المنبع الاجتماعي - في جانبه النفسي - هو أحد العوامل الأساسية في تشكيل مظهر الاحتجاج^(*) في شعر العذريين .

(١) الغزل العذري دراسة في الحب المقموع : ٦٧ .

(٢) مبادئ في علم النفس الاجتماعي ، باساغانا ، ترجمة : بو عبد الله غلام الله ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٣ م ، ص ١٣٠ .

(*) الاحتجاج : هو حس التمرد على الواقع ، والذي يهدف إلى العمل من أجل تغيير الواقع ، ونقد معطياته ومفاهيمه . ينظر : الشعر العذري في ضوء النقد العربي الحديث ، محمد بلوحي ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، ٢٠٠٠ م ، ص ١١٦ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

وهذا ما حدا بـ " يوسف اليوسف " إلى القول : (العذرية ، إذن ، هي الوجد المأزوم ، أو التوتر الداخلي الكثيف الناجم عن حظر العشق ، ولذا فأنها تنطوي على الاحتجاج ولو اضمارياً ، وكل احتجاج يحمل بعداً سياسياً قبل كل شيء) (١) .

وإذا ما أمعنا النظر في القراءة الاجتماعية للظاهرة العذرية فإننا نجدها ترجع العذرية إلى الرقابة الخارجية فقط ، والمتمثلة في القيم والأعراف الاجتماعية ، مهمة البعد الخارجي الروحي للرقابة الداخلية في تشكيل الظاهرة العذرية ، وبذلك تفسرها تفسيراً مادياً مُقصيةً البُعد الديني والروحي ، وهذا ما وقف عنده مطولاً الدكتور " محمد غنيمي هلال " عاداً (أن شعراء البادية اتجهوا اتجاهاً آخر في غزلهم العفيف ، دفعهم إليه الانصراف عن الحياة السياسية ، واليأس من حياة مترفة لاهية ، إذ كانت تعوزهم أسباب تلك الحياة ، لبعدهم عن المدن ، ثم لتمكن التقاليد العربية منهم ، وقوة سلطان الخلق الإسلامي فيهم) (٢) . فبقدر ما كان للرقابة الخارجية دور في تشكيل الظاهرة العذرية ، كان للرقابة الداخلية في بعدها الروحي والإسلامي دور كذلك في تشكيل الخط العفيف الذي اتخذته منحى لها .

أما الدكتور " عبد القادر القط " فإنه يركز على الرقابة الاجتماعية ، فيجعلها من بين العوامل الأخرى التي تضاف إلى العوامل الدينية والخلقية التي أسهمت في بناء الكون العذري ، بناءً تجسد في تلك اللغة الشعرية الشفافة وفي فضاءها الواسع الذي اختلط بقصصهم وأخبارهم الشعرية : إن (من يتتبع قصص هؤلاء الشعراء وأحوالهم يدرك أن فشلهم لا يعود إلى أسباب دينية وخلقية بقدر ما يرجع إلى عوامل ترتبط بتقاليد المجتمع العربي وقيمه حينذاك فيما يتصل بعلاقة الرجل والمرأة) (٣) .

فعلاقة الرجل بالمرأة التي تطوقها القيم العربية السائدة بالحظر والرقابة كانت سنداً قوياً لرؤية العذرية بكل أبعادها ، وما تحمله من روح استسلاميه أمام المحافظة الشديدة التي تحكم المجتمع العربي . (فنحن إذن أمام مجتمع شديد " المحافظة " تحتجب فيه المرأة عن الرجل وتلقي على وجهها برقعاً إذا لقيت رجلاً من غير

(١) الغزل العذري دراسة في الحب المقموع : ٣٣ .

(٢) ليلي والمجنون في الأدبين العربي والفارسي : ٢٢ .

(٣) في الشعر الإسلامي والأموي : ٨٢ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

أهلها .. ويضطر فيه المحبون إلى أن يظهروا غير ما يبطنون ويبدوا البغضاء لمن يحبون حتى يجنبوا أنفسهم عداة الأهل والناس (^١) .

لذلك كانت الوشاية والوشاة من أهم الصور التي تجلت في فضاء النص العذري . فالشاعر العذري في صراع دائم مع الوشاة الذين كانوا يتسقطون أخباره ، ويتصيدون هفواته ، ويتربصون به ، لأن العذريين كانوا (أعفة يسعى الرقباء والوشاة إليهم يتبعونهم في كل مكان) (^٢) . وقد تحول الصراع بينهم إلى أن أصبح مصدر قلق للعذريين ، فضلاً عن عنائهم وعذابهم من المجتمع المغلق .

إن الدكتور " عبد القادر القط " يطرح الوشاية على أنها مظهر من مظاهر الرقابة الاجتماعية للمجتمع على العذرية ، فالعذري ذات مقموعة أمام سلطة القيم الاجتماعية العربية ، وما النزعة الاستسلامية التي كان يتصف بها العذري إلا عنوان للرضوخ الإجباري الذي فرض عليه فرضاً قسرياً ، لم يكن له فيه حيله (^٣) .

فالوشاية معادل موضوعي في الشعر العذري للسلطة الاجتماعية بكل قيمها ، ومدى تسلطها وتأثيرها في العذري . واستسلام هذا الأخير لها استسلاماً لا مرد له . وبذلك تنازل العذري عن ذاته أمام الرقابة الاجتماعية فعبّر عن الخط (الرضوخي المعبر عن القبول الانصياعي " في المجتمع العربي الذي كان " نتاج تعمق حس القهر الذي يثمر الحظر الاجتماعي المفروض على الروح ، سواء أكان طوعياً أم قسرياً) (^٤) . وفي كلتا الحالتين كان مصدراً لشقائه ومعاناته .

إن الرؤية الاجتماعية المبنية على التفسير المادي للفن ، هي التي فرضت على الدكتور " عبد القادر القط " القول بأن العذرية في جانبها الاجتماعي هي إفراز لقهر المجتمع ورقابته ، على تلك العلاقة التي كانت تقوم بين الرجل والمرأة ، وأن المحافظة الشديدة التي فرضتها قيم المجتمع العربي من هذه الناحية هي التي أفرزت العذرية كمعادل موضوعي للتعبير عن قهر المجتمع العربي وقمعه لتطلعات الشاعر العذري . وهي قراءة بقدر ما تقف على رافد من أهم روافد العذرية ، إلا أنها تهمل روافد أخرى ، خاصة ما تعلق بطواعية تخلي العذري عن النظرة الشبقية بمفهومها

(١) في الشعر الإسلامي والأموي : ٨٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٨٥ .

(٣) ينظر : الشعر العذري في ضوء النقد العربي الحديث : ١٠٧ .

(٤) الغزل العذري دراسة في الحب المقموع : ٦٣ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

المادي للمرأة ، وتعويضها بنظرة روحية ^(١) . (ويبلغ ضيق الشعراء بوطأة المجتمع وتطلعهم إلى الفرار من رقابته ، أن يتمنوا أمانى هي - على قسوة بعضها وشذوذه - هروب بالوهم من واقع أقسى لا يمكن احتمالها) ^(٢) . والشواهد على ذلك كثيرة في شعر شعراء الغزل العذري ممن ضاقوا بهذا المجتمع ذرعاً . فهذا عروة بن حزام ، يقول :

فيا ليت كل اثنين بينهما هوى من الناس والأنعام يلتقيان
فيا ليت محيانا جميعاً وليتنا إذا نحن متنا ضمنا كفنان ^(٣)

إن التعامل مع فكرة الرقابة الاجتماعية من هذا المنظور تنطلق من بيان أهمية المجتمع في عملية الإبداع عادة الإبداع ضرب من ضروب الإنتاج الاجتماعي ، وليس إنتاجاً فردياً . وأنه يتأثر بالأوضاع الاجتماعية والتاريخية ، ويخضع لظروفه . وبذلك تصبح جماليته شيئاً تاريخياً محلياً .

فالعذرية - إذن - من وجهة نظر الباعث الاجتماعي تعبير عن لا شعور جمعي ، بوصفه حصيلة نهائية للوعي الاجتماعي ، وأنه (ينحدر من السابق إلى اللاحق ، ويكون متحداً لدى الأفراد جميعاً بمعنى أنه يُورث ويكون محملاً بخلفية اجتماعية وتاريخية تمتد في التراجع إلى البدايات الأولى للإنسان) ^(٤) . ومن ثم فالإبداع مطبوع بطابع سوسيولوجي تاريخي .

ومما تقدم نستشف أن هذه الظاهرة - الظاهرة العذرية - تعبير عن ذاتية أصيلة تعيش العشق بمفهوم خاص نابع من رؤية متميزة للحب ، وهي تجسيد لتجربة نوعية ، قبل أن تكون تجسيدا لهم اجتماعي ، وإن كنا لا ننفي الدور الاجتماعي والبعد التاريخي في بلورتها وتشكيلها .

وقد خضع الغزل العذري لتفسيرات نقدية كثيرة ، تتعلق بأسباب نشأته وبواعثه ، والمرامي التي يحتويها النص ويوحى بها . وهذا ما ذكرناه في الصفحات السابقة من هذا البحث ، وذكرنا أهم الآراء التي قيلت فيه ، والمصادر التي ذكرت هذه الآراء من المحدثين وحتى القدامى .

(١) ينظر : الشعر العذري في ضوء النقد العربي الحديث : ١٠٧ .

(٢) في الشعر الإسلامي والأموي : ٩٤ .

(٣) شعر عروة بن حزام : ١ ، وأنظر : ص ١٢ . وينظر : تزيين الأسواق : ١ / ١٣٥ .

(٤) فلسفة الفن (رؤية جديدة) ، علي عبد المعطي محمد ، دار النهضة العربية ، لبنان ، ١٩٨١ م ، ص ١٤٩ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

والغزل العذري كما يرى البحث هو رد فعل نفسي عنيف ضد التحضر ، وتعلق نفسي قوي بواقع البداوة وحياة الصحراء ، فضلاً عن الدلالات السياسية والدينية والاجتماعية ، وكلها ترتبط ارتباطاً واضحاً بالتراجع النفسي الطاعي على سلوك العذريين بين حياة الحاضرة والبداوة^(١) .

ويمكن أن يعد نشوء الغزل العذري في بيئة بدوية تعزيزاً لارتباط الشعراء بهذا العالم الأول ، وهذا الارتباط ظهر في عصر صدر الإسلام حين أحس الناس تحولاً جديداً برز في المجتمع فتحوّلت بموجبه منظومة القيم الاجتماعية والسياسية والدينية ، وظهر في نفوس المسلمين تراجع واضح بين سلطة القبيلة وسلطة الدولة ، والإحساس بهذا التراجع لم يختص بالعذريين وحدهم ، بل هو رؤية عربية شمل الإحساس بها شعراء كثيرين^(٢) .

وتروي الأخبار عن ابن مقبل ، أنه كان يحن إلى أيام الجاهلية ، ويرى أن الزمان قد تغير وأن الأرض قد تبدلت ... فصار يرى نفسه غريباً في مجتمع غريب عنه له مثل وقيم تختلف عن مثل وقيم الجاهلية ، فصار يحن إلى تلك الأيام ، أيام ما قبل الإسلام ، فقيل أتبكي أهل الجاهلية وأنت مسلم ؟ فقال :

ومالي لا أبكي الديار وأهلها وقد رادها رواد عكّ وجميرا
وجاء قطا الأحباب من كلّ جانب فوقع في أعطافنا ثم طيّرا^(٣)
فكنى عما أحدثه الإسلام ومثل كما ترى .

ونحن إذ نسوق هذه الروايات ، إنما نبين هذا التعلق الروحي العميق بعالم البداوة ، ليتضح لدينا أن كثيراً من نصوص الغزل العذري تُلوّح إلى هذا الارتباط بعالم الصحراء ، وهذه الروايات إنما تعرب عن إحساس عربي عام بالانتماء إلى العالم البدوي وما يبيحه من حرية في القول والسلوك .

إن ربط الظاهرة العذرية بعامل القمع والقهر هو الذي حدا " بيوسف اليوسف " إلى عدّها ظاهرة تعبر عن " التدجين الاجتماعي " الذي وجدت فيه النفس العذرية نفسها في المجتمع ، فوطأة المجتمع بكل قيمه على روح الفرد ، هي التي فرضت

(١) ينظر : ملامح الرمز في الغزل العربي القديم : ٣٠٨ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٣) العمدة : ٣٠٨ / ١ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

عليه الاستسلام والرضوخ للمجتمع كقوة منظمة لنزوات النفس ومتطلباتها الغريزية .

فالتدجين الاجتماعي الذي هيمن على الظاهرة العذرية ، انطلق من فكرة أن الإبداع بما فيه النص العذري نتاج (لشدة الصراع بين مبدأ اللذة وبين مبدأ الواقع ، بين إرواء الدافع " حتى وإن كان عذرياً ، أي مصعداً " وبين إخماده قسراً)^(١) .

فقد تطرق " يوسف اليوسف " إلى ظاهرة التدجين ولكن بمفهوم يختلف عن المفهوم الذي نحن بصدد حيث تطرق لموضوع القبائل البدوية المنتشرة في سورية والعراق ، فقال : (فقد كان تدجين مثل هذه القبائل المنتشرة على طرق القوافل وعلى تخوم الحضارة ضرورة ملحة من أجل رواج وازدهار التجارة)^(٢) ، والواضح من هذه الفقرة أنها تعالج الجانب الحضاري وتعتبر عن الوضع الاجتماعي في المجتمع الجاهلي من حيث التجارة وازدهارها .

إن رضوخ الفرد لرؤية المجتمع وآلياته هو الهدف الأول الذي يعمل المجتمع من أجل تحقيقه ، لأن المجتمع يرى في الفرد الأساس الأول لبناء الحضارة التي لا تتحقق شروطها إلا إذا انصاع الفرد لخدمة أهدافها الكبرى ، لذلك يعتمد المجتمع من أجل توجيه طاقة الفرد إلى الخارج ، إلى صنع حركة التاريخ ، التاريخ الذي لا يتحقق على الصعيد الحضاري ، إلا إذا تنازل الفرد عن غرائزه ، لذلك عملت الحضارات على إنشاء مبدأ التحريم ، كمبدأ اجتماعي يسعى إلى الوقوف أمام غرائز الفرد لتنظيمها والحد من هيمنتها على حساب نفس الفرد وروحه . وهذا ما جعل " يوسف اليوسف " يقتنع (قناعة تامة بأن من بين الأسباب التي دفعت بالحضارات كافة إلى ترذيل الحب وشجبه هو كون الحب " عطالة عن التمييز " وعوداً عن النشاط والفاعلية)^(٣) . التي يعمل كل مجتمع من أجل المحافظة عليها لدى الفرد حتى يكون عنصراً بناء داخل المجتمع .

(١) الغزل العذري دراسة في الحب المقموع : ٧٤ .

(٢) مقالات في الشعر الجاهلي ، دار الحقائق ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠ م ، والثالثة ،

١٩٨٣ م ، والرابعة ، ١٩٨٥ م ، ص ١٤ .

(٣) الحب العذري دراسة في الحب المقموع : ٦ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

فالعذرية عند " يوسف اليوسف " ظاهرة تجسّد من خلالها عمق الشرخ الذي أحدثته الرقابة والقهر الاجتماعيان ، وتعبير عن التدجين الذي وصلت إليه النفس في أعماقها (١) .

وهكذا أضحى التدجين جوهر انصياع طوعي لحركة التاريخ وللقيم الاجتماعية ، فأصبح العذري لا يعبر عن أعماق نفسه وإنما يعبر عن لسان اللاشعور الجمعي الذي غرسه فيه القيم الاجتماعية فشوهت روحه وجعلته يعبر عن الذات الجماعية بدل التعبير عن الذات الفردية (٢) .

والذي يذهب الباحث إليه ، ولعلّ قراءة " يوسف اليوسف " لم تدركه : أنّ الحاجة عندما تشتد تخلق حالة من التوتر و الهيجان لدى الفرد ، ولا بد للمجتمع من أن يعمل من أجل خفض هذا التوتر بواسطة غرس المبادئ والقيم الخلقية في نفسية الفرد ، وبذلك نجد أن الحاجة الملحة للإشباع سوف تصطدم بالواقع ، مما يؤدي إلى قيام صراع بين مبدأ اللذة ومبدأ الواقع في داخل الفرد . ويتمثل الواقع المادي في مقاومة العالم الخارجي لرغبات الفرد وغرائزه . أما الواقع المعنوي ، فيتمثل في القيم التي يفرضها المجتمع ، والتي تشكل جملة النواهي والأوامر الاجتماعية . فالمجتمع لا يهدف إلى قمع الفرد وتدجينه وإنما يهدف إلى دمج داخل الإطار الاجتماعي حتى يكون فرداً سوياً نافعاً (٣) .

إن كل ما ذكره الباحث وأشار إليه في هذا المبحث من عناصر لتفسير الواقع الاجتماعي الجاهلي ، جعلت الغزل العذري غزلاً بدوياً متحفظاً يتحرك ضمن القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع ، ولا فرق في ذلك بين أن يكون المجتمع جاهلياً أو إسلامياً أو نصرانياً ، لذلك تشابه الغزل العذري البدوي في خصائصه القيمية مهما تباينت البيئات الدينية أو الاجتماعية أو السياسية أو الحضارية التي ينتمي إليها .

(١) ينظر : الحب العذري دراسة في الحب المقموع : ٣٧ .

(٢) ينظر : الشعر العذري في ضوء النقد العربي الحديث : ١١٣ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١١٥ .

المبحث الثالث

الباعث السياسي

الباعث السياسي :

لا يمكن إغفال السياسة وأحداث التاريخ في نشوء ظاهرة كبرى في مجتمع ما ، لذا كانت السياسة وآثارها من العوامل التي طرحها الباحثون والنقاد في تفسير ظاهرة الغزل العذري .

والى جانب التفسيرين الديني والاجتماعي سألني الذكر يقف التفسير السياسي الذي أشار إليه الدكتور " طه حسين " قديماً والذي يُعد من أوائل الدارسين المحدثين الذين اهتموا بالبحث في نشأة الظاهرة العذرية ، إذ يرجع ظهورها في بادية الحجاز إلى السياسة الأموية اتجاه الحجاز ^(١) . مما جعل حواضر الحجاز وبواديها تنصرف عن الحياة السياسية إلى الحياة الخاصة .

فظهر في حواضرها اللهو والمجون لما كان فيها من ثراء ورضاء ، أما البوادي فكانت مهداً للظاهرة العذرية لما كان فيها من فقر ويأس وحرمان . فهو نوع من التجديد سماه " طه حسين " تجديد الفقراء واليائسين ، وهو هذا الشعر الذي شاع في البلاد العربية في الحجاز ونجد ، والذي إن صور شيئاً فإنما يصور الطموح إلى ما ليس له سبيل ، والنزوع إلى ما لا أمل في الوصول إليه . وهو ما تعودنا أن نسميه الغزل العذري ^(٢) .

فالحب العذري (لا يصور حباً يائساً بالفعل ، وإنما يصور اليأس العام ، اليأس من الوصول إلى ما كان الأغنياء والمترفون يصلون إليه مُصبحين ومُمسين ... فهذا النوع من التجديد تجديد المترفين من ناحية وتجديد الفقراء واليائسين من ناحية أخرى) ^(٣) .

فالتجديد الذي لحق بالغزل العربي ، واستقل في قصائد كاملة بعدما كان متعلقاً بالمقدمات الطللية ، لم يكن تجديداً اعتباطياً ، وإنما كان بتشكيل الوعي الاجتماعي نتيجة التحول الذي حصل في المجتمع العربي ، إذ انفرد الأغنياء بالقصيدة الإباحية ليصوروا فيها ترفهم ولهوهم ، أما الفقراء فقد تشكل وعيهم على وفق حالتهم البائسة ، ووضعهم المزري ، فعبروا عن يأسهم وحرمانهم من خلال القصيدة العذرية .

(١) ينظر : حديث الأربعة : ١ / ١٨٩ .

(٢) ينظر : تقليد وتجديد : ٣٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٠ - ٣١ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

والقارئ لهذه السطور يظن لأول وهلة أن البحث يتحدث عن الباعث الاجتماعي ، بينما العنوان الرئيس هو الباعث السياسي ، والسبب في ذلك هو أن الدكتور " طه حسين " انزلق من القراءة الاجتماعية إلى القراءة السياسية . وأن وعيه بقراءة الظاهرة العذرية سياسياً أوفر حظاً من قراءته الاجتماعية ، لذلك قدمت بهذه السطور البسيطة لكي أوضح الالتباس الذي وقع فيه الدكتور " طه حسين " .

إن الشعر العذري في تصور الدكتور " طه حسين " وليد ظروف سياسية تميزت بها الفترة الأموية ؛ حيث (نستطيع أن نستنبط أن بلاد العرب - بعد أن تم الفتح للمسلمين ، وبعد أن جاهدت في الاحتفاظ بالسلطان السياسي ، وأخفقت في الجهاد إخفاقاً شنيعاً ، وانتقل مركز الحكم منها إلى الشام ، كما انتقل مركز المعارضة منها إلى العراق - انصرفت أو كادت تنصرف عن الاشتراك في الحياة العامة ، وفرغت للحياة الخاصة ، فانكبت على نفسها ، وأحست شيئاً من اليأس والحزن غير قليل ، فهي كانت مهد الإسلام ومصدر قوته ، ومنها انبعثت الجيوش الفاتحة التي أخضعت الأرض وأزالت الدول ، وفيها نشأت الخلافة ومنها امتد سلطان الخلافة على الأرض ، ثم هي ترى نفسها جردت من كل شيء ، فانتقلت عاصمة الخلافة إلى الشام ، وانتقل جهاد الأحزاب السياسية إلى العراق ، وأساء خلفاء الشام ظنهم ببلاد العرب ، فعاملوها معاملة شديدة قاسية ، وأخذوها بألوان من الحكم لا تخلو من العنف) (١) .

فاليأس استشرى في المجتمع الأموي الذي شعر بأنه قد بدأ يفقد امتيازاته التي كانت تمنحها إياه الدولة الإسلامية الأولى .

يستمد الدكتور " طه حسين " من التاريخ الأموي ومعاملته للمجتمع الحجازي مادة لقراءته السياسية . وعليها ارتكز في تفسير الظاهرة العذرية تفسيراً سياسياً وتاريخياً .

ويضيف إلى قراءته السياسية قراءة ذات بعد ديني ، حيث يرى فيها دعماً للقراءة السياسية ، ذلك لأن العذرية بقدر ما هي إفراز للسياسة الأموية تجاه المجتمع الحجازي ، هي إفراز كذلك وراءه تأثير العامل الديني في نفوس الحجازيين ، وهو عامل روحي له الدور الأساس في تشكيل الفضاء الفني للعذرية . ثم يشير إلى ما كان يستمتع به أهل مكة والمدينة من ثراء دفعهم - هو وما استبد بهم من يأس -

(١) حديث الأربعاء : ١ / ١٨٨ - ١٨٩ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

إلى كثير من اللهو والغناء ، يعلل به نشأة الغزل الحسي . ثم يعود فيذكر أن البداية كانت تجمع بين اليأس والفقر ومنها نشأت الحركة العذرية (١) .

إن قراءة الدكتور " طه حسين " في تركيزها على البعدين الاجتماعي والسياسي وقعت في النظرة التجزئية للظاهرة العذرية ، محاولة التعامل مع جوانبها الخاصة ومهملة في الوقت نفسه النص الإبداعي ، فاعتمدت فقط على السياقات التاريخية دون الخصائص الفنية لهذا الشعر ، وهذا ما جعلها تتجنب الإحاطة بالبعد الشمولي للظاهرة العذرية ، بوصفها ذات أبعاد متعددة ومتكاملة في إطار شمولي إذ لا يمكن الانطلاق من الجزء لإدراك الكل . وإذا ما تمكنا من قراءة الشعر العذري قراءة بنيوية تكوينية لأمكننا أن نحتكم إلى مبدأ الكلية ، والشمولية ، بين المسألة الفنية والمسألة الاجتماعية ، وهذا لا يكون إلا بشرط ألا وهو الابتعاد عن القراءة التاريخية ، وهذا لا يمكن بوصف أن الدراسة التي بصدها الباحث هي دراسة تاريخية في جانب كبير منها .

وبعد كل هذه الآراء والتعليقات التي أوردناها سلفاً للدكتور " طه حسين " كان لزاماً علينا مناقشة هذه الآراء مناقشة علمية تستند إلى المنهج العلمي الأكاديمي ، وسنفصل القول في هذه الآراء على شكل نقاط آملين أن نستوفي جميع الجوانب من خلال مناقشتها :

أولاً : ليس من الطبيعي أن ينسى الفقير اليأس نفسه وهمومه وحاجاته الضرورية والفوارق التي بينه وبين الأغنياء القادرين على تحقيق رغباتهم ، ثم يتجه إلى التفكير في مثل أعلى ينتج الحب ، وجسمه في حاجة إلى الطعام والشراب والكساء أشد من حاجة نفسه إلى مثل أعلى . وما من شك في أن الحب عاطفة ، وفي أن القوت أو حب البقاء غريزة ، والغريزة أقوى من العاطفة ، وأشد إخضاعاً للنفس ، وأعظم تأثيراً في توجيه العزيمة . لذلك كان الجاحظ على حق في قوله : إن الفقير المدقع مشغول عن الحب (٢) ...

ثانياً : ثم أن أهل البادية الحجازية لم يكونوا كما صورهم الدكتور " طه حسين " ، فقراء يائسين ، فمن الذي حال بينهم وبين اللهو ؟ ومن الذي حرّمهم الغنى والطموح ؟ لم تكن سياسة الأمويين سبباً في حرمان أهل البادية ، ولم يكن الإسلام سبباً في انصرافهم إلى أنفسهم يستخلصون منها نغمة حزينة زاهدة ،

(١) ينظر : حديث الأربعاء : ١ / ١٨٩ - ١٩٠ .

(٢) ينظر : رسائل الجاحظ (رسالة العشق والنساء) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ م ، ج ٣ / ص ١٥٥ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

ويرسمون لأنفسهم مثلاً أعلى يتمثل في الزهد تارة ، وفي الحب العفيف والغزل العفيف تارة أخرى ، فإن الإسلام قد أكسبهم خيراً لم يكن لهم في الجاهلية ، أكسبهم مالا ، وأكسبهم سمواً في العقيدة ، وكفل لهم أمناً وعدالة . فأبي حرمان هذا الذي جعلهم يوقعون على أوتار حزينة ، ويفرون من الحقائق الواقعة إلى مثل عالية متخيلة ؟ .

ثالثاً : وهل كان الزهاد في البادية أكثر عدداً من زهاد الحواضر ؟ لا ، لم يكن الأمر كذلك ، فإن الحواضر التي سمرت لياليتها بالمجان واللاهين كانت تتجاوب فيها صلوات المصلين ، وضراعات العابدين ، وتوسلات الزاهدين ، ودروس الفقهاء والمفسرين والمحدثين ...

رابعاً : إنَّ الحب عاطفة اضطرارية لا اختيار فيها . فكيف يحاول البائس أن يتسلى عن بؤسه بحب يبحث عنه ؟ وهل الحب مسلاة يجتلبها الشخص اجتلاباً لينفس بها عن بؤسه ؟

خامساً : لم يكن اللهو في الحجاز عاماً ليشغل الناس عن المشاركة في الصراع السياسي ، ولم يكن اليأس شديد الوطأة ، ليصرف الناس عن هذا الصراع . وإن من التعسف أن نحكم على بيئة الحجاز بأنها كانت كلها منصرفة عن السياسة ، في وقت ناصرت هذه البيئة الأمام علي بن أبي طالب " عليه السلام " ، ثم ناصرت عبد الله بن الزبير ، وناصبت البيت الأموي العداء إلى زمن بعيد في العصر الأموي ، وهذا كله يوضح عدم انصرافها عن السياسة .

سادساً : في تحليل الدكتور " طه حسين " تناقض واضح هو أنه علل نشأة الغزل الحسي والغزل العذري بأنه ثمرة لحياة الترف والغنى والثروة ويُسر الحياة ووفرة اللذات ، مع أنه علل بهذه الأسباب في إحدى فقراته لنشأة الغزل الحسي وحده في مدن الحجاز ، وعلل لنشأة الغزل العذري بالحرمان واليأس ، والطموح إلى مثل أعلى . إذ يقول :

(نشأ عند العرب في عصر بني أمية نوعان من الشعر ، لم يكن قد ألفهما الجاهليون ، أو على أقل تقدير لم يكن هؤلاء الجاهليون قد أحسنوا فهمهما والعناية بهما . الأول (*) نشأ عن حياة الترف والغنى والثروة . وهو الغزل ... هو الفن الذي يعنى به شاعر قد فرغ من كل شيء ، فحياته المادية ميسرة ولذاته موفرة عليه ، فكل ما يعنيه أن ينعم بهذه اللذات ، وأن يغنيها في شعره لا أكثر ولا أقل ...

(*) والثاني هو الشعر السياسي .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

وفي الحق أن هذا الفن الجديد كان مختلفاً متنوعاً في هذا العصر باختلاف الشعراء واختلاف ظروف الحياة التي يحيونها فكان هناك شعراء يتخذون الغزل صناعة يصفون به لذاتهم ، وزعيم هؤلاء " عمر بن أبي ربيعة " ... وكان هناك شعراء آخرون لا يتعدون إلى وصف اللذات وما تستتبعه ، وإنما يقصدون إلى وصف العواطف الحارة الصادقة التي تعذب صاحبها وتعفيه دون أن تتيح له لذة مادية ما ، وإنما اللذة الوحيدة التي يجدها والتي هو بها كلف وعليها حريص هي لذة الألم بأنه يحب ، ويحب من لا سبيل إلى وصله أو التقرب إليه ، وزعيم هؤلاء الشعراء " جميل " ... كان " عمر بن أبي ربيعة " زعيم المتغزلين الإباحيين ، وكان " جميل " زعيم المتغزلين العذريين ... ونلاحظ أن الذين ذهبوا مذهب اللذة في هذا الفن كانوا المترفين من أهل الحجاز وأبناء المهاجرين والأنصار الذين ورثوا الثروة الطائلة الضخمة عن آبائهم ، وحيل بينهم وبين العمل السياسي لأمر ما . والذين ذهبوا مذهب العفة وأسرفوا في هذا المذهب كانوا من أهل البادية ... وكانت عشيقاتهم من نساء البادية أيضاً . ولقد يكون من العسير تعليل هذا ، فنحن نعلم من أخلاق العرب البادين أنهم إلى المادة والإباحية أقرب منهم إلى الحياة العذرية (١) .

فكيف يصدر الغزل العذري عن مصدرين متناقضين : تارة عن ثروة ولين وسهولة عيش ، وتارة عن فقر شديد ، ويأس مر ، وطموح إلى مثل أعلى يُعزّي عن الحرمان ؟ ويظهر أن الدكتور " طه حسين " نسي ما علل به ، أو ذكره وهو يكتب مقالاً آخر فلم يطمئن إليه ، لأنه عجب من نشأة الغزل العذري في البادية ، مع أن رجالها ونساءها - في رأيه - أقرب إلى الحياة المادية ، وأميل إلى الإباحية منهم إلى العفة والعذرية والتصون .

والبحث لا يوافق في وصف رجال البادية ونسائها بذلك ، ولا يوافق على وصفه لهم بأنهم أجراً على الإباحية من رجال الحواضر ونسائها ، لأن حياة الحضر في كل عصر هي الأقرب إلى المادية والإباحية ؛ ولأن البدو أحرص على التقاليد ، وأرعى للعرف ، وأشد نفرة من قالة السوء ، وأعظم حفاظاً على أعراضهم ونسائهم .

وقد ذكر ابن خلدون أن أهل البادية أقرب إلى الخير من أهل الحاضرة ... وهذه فقرات مما قال ابن خلدون : (أهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والإقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها ، قد تلوثت أنفسهم

(١) حديث الأربعاء : ١٥ / ٢ - ١٨ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

بكثير من مذمومات الخلق والشر ، وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك ، حتى لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة في أحوالهم ، فتجد الكثير منهم يقذعون في أقوال الفحشاء في مجالسهم وبين كبرائهم وأهل محارمهم ، لا يصددهم عنه وازع الحشمة . لما أخذتهم به عوائد السوء في التظاهر بالفواحش قولاً وعملاً ... وأهل البدو وإن كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم إلا أنه في المقدار الضروري ، لا في الترف ولا في شيء من أسباب الشهوات واللذات ودواعيها . فعوائدهم في معاملتهم على نسبتها ، وما يحصل فيهم من مذاهب ومذمومات الخلق بالنسبة إلى أهل الحضر أقل بكثير ... وقد يتوضح فيما بعد أن الحضارة نهاية العمران ، وخروجه إلى الفساد ، ونهاية الشر ؛ والبعد عن الخير (١) .

سابعاً : وأما رأيه بأنهم لم يعرفوا هذا الفن ، ولم يتذوقوه ، لعدم معرفته شاعراً قصر شعره على الغزل ، وحياته على الحب والغرام ... فهو رأي مردود ، لأننا تعرفنا فيما مضى من البحث على شعراء جاهليين قصرُوا حياتهم على الحب ، وقصروا شعرهم على الغزل ، ووجدنا فيهم من لم يتخذ الغزل وسيلة إلى غيره من فنون الشعر .

ولنفرض أن هذا غير صحيح ، فإننا لا نوافق الدكتور " طه حسين " على هذا الأساس الذي وضعه ، لأن من التعسف ألا نقضي بنشأة الغزل بنوعيه إلا إذا قيل في قصائد مستقلة ، وإلا إذا قصر الشعراء شعرهم على قوله . ففي العصر الأموي نفسه لم يقصر من الغزليين شعرهم على الغزل إلا " عمر بن أبي ربيعة " ، أما الآخرون فلم يحبسوا شعرهم على الغزل ، فـ " جميل بن معمر " قال في غير الغزل فأفترخ ، وهجا ، ومدح (٢) . وكثير عزة ، وكان غالباً في التشيع يذهب مذهب الكيسانية ، ومدح بني أمية (٣) . وابن قيس الرقيات ناصر الزبيريين بشعره السياسي ، ومدح بني أمية وغيرهم (٤) .

(١) مقدمة ابن خلدون (وهي الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ...) ، تأليف : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، بتحقيق : المستشرق الفرنسي أ . م . كاترمير ، عن طبعة باريس سنة ١٨٥٨ ، مكتبة لبنان - بيروت ، ١٩٩٢ م ، ج ١ / ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، وينظر الصفحات : ١٥٩ - ١٦١ ، ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٢) ينظر : الأغاني : ٣١٦ / ٨ وما بعدها .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٦ / ٩ وما بعدها .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٥٣ / ٥ وما بعدها .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

وإذا كنا لا نقضي بنشأة الغزل إلا إذا قصر بعض الشعراء شعرهم عليه ، وإلا إذا قالوه في قصائد مستقلة ، فإن القياس يقتضي أن نطبق هذا على أبواب الشعر الأخرى من مديح وفخر وحماسة وهجاء ووصف وحكمة .

وسنخرج من هذا القياس بأن أي نوع من هذه الأنواع لم يكن قد نشأ لا في الجاهلية ولا في العصر الأموي ولا في العصر العباسي ، لأننا لا نعرف شاعراً حبس لسانه أو قلمه على واحد من هذه الأنواع ، ولأننا نجد في قصائد المدح والهجاء وغيرهما غزلاً ووصفاً كثيراً ، ونجد القصيدة الواحدة كثيراً ما تجمع ألواناً من الأغراض .

نحن إذن أمام اثنين لا ثالث لهما : إما أن نتجاوز عن هذا الشرط الذي اشترطه الدكتور " طه حسين " ، وإما أن نطبقه على أغراض الشعر كلها ، فننتهي إلى أنها لم تكن في العصر الأموي ولا في العصر العباسي ، وإنما هي وليدة العصر الجاهلي بكل ما للكلمة من معنى .

إنّ التفسير الطبقي للظاهرة العذرية لم يكن وفقاً على الدكتور " طه حسين " فقط ، وإنما وقف عنده " يوسف اليوسف " كذلك ، فاليأس والحرمان والنزعة التدميرية التي تميزت بها العذرية في خضم التحولات الحضارية ، كانت نتيجة إحساس العذري بالضياع إذ (أصبح الفرد يناضل كي يبني دولة أو امبراطورية لا يستفيد منها إلا السراة . وطالما أن الامبراطورية أخذت تعزز التراتب الطبقي وتمارس التغريب على روح الفرد ... فقد باتت الامبراطورية شيئاً لا يعنيه ، لأنها لم تعد ملكه ، بل ملك جلاديه ومستغليه . ولهذا كان لا بد من أن ينكص إلى طبيعته الأصلية التي أصبح لها الحق في المطالبة بحاجاتها الأزلية) (١) .

فالعذرية عند " يوسف اليوسف " ارتداد داخلي للفرد داخل المجتمع ، بعد أن أحس بالتهميش وضياع حقوقه الاجتماعية والسياسية ، وبذلك فإن هذا الطرح يمزج بين القراءة الاجتماعية والقراءة النفسية للظاهرة العذرية ، ومن هنا كان يصعب علينا تصنيف تلك القراءات التي درست الشعر العذري ، فمن غير اليسير أن نضع قراءة " يوسف اليوسف " في خانة التحليل الاجتماعي الخالص ، وهو لا يخلو من التركيز على البعد النفسي ضمن رؤية اجتماعية نفسية .

فالعوامل الاجتماعية والسياسية كان لها الدور الرائد في تشكيل الفضاء الشعري للنص العذري ، الذي كان تعبيراً عن إحساس الطبقات البائسة بالاحتباس

(١) الغزل العذري دراسة في الحب المقموع : ١٣ - ١٤ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

العشقي المادي ، هذا الاحتباس الذي كان مقبولاً عندما كان الفرد يقبله طواعية من أجل إنشاء المشروع الحضاري في صدر الإسلام ، والذي كان يرى فيه جزءاً منه ، يضحى من أجله ، لأنه يرى أنه المثل الذي يتبناه جميع الأفراد ، مشكلاً بذلك ائتلافاً اجتماعياً وسياسياً بين الفرد والمجتمع ، لأن التنازل عن الحاجات الطبيعية يعود بالفائدة النفسية على جميع أعضاء المجتمع .

أما وقد انتقل مشروع المجتمع من مشروع يتبناه المجتمع إلى مشروع يكرس الطبقة في جميع مجالاته الاجتماعية والسياسية والمالية ، فلم يبقَ للفرد إلا النكوص والانطواء واليأس والحرمان تعبيراً عن الغبن المادي والمحتوى الذي أفرزه الواقع الطبقي عليه في وقتها ، والذي أصبح مجالاً من المجالات التي تستفيد منه طبقة دون الطبقات الأخرى .

إن قراءة " يوسف اليوسف " كما يبدو تنطلق من الطبقة السياسية لا من الطبقة المادية ، التي أفرزها الواقع السياسي ، والتي كان لها التأثير الكبير في المجال الاجتماعي . ومن ثمّ فهي بخلاف قراءة الدكتور " طه حسين " التي تذهب إلى الأصول الطبقة المادية المبنية على الفقر والبؤس الذي كانت تعانيه البادية الحجازية .

إن الأساس الطبقي للظاهرة العذرية الذي انطلقت منه القراءتان ، ليس له ما يسوغه على الصعيد المادي المعيشي ، المرتبط بالفقر والبؤس والحرمان ، أما العامل السياسي المبني على الحيف والظلم والتهميش والحرمان السياسي الذي تعرضت له بلاد الحجاز ، فله ما يسوغه في التاريخ على ما ذكرنا من الصفات . لذلك كان العامل السياسي أوفر حظاً من العوامل الأخرى التي قدمتها القراءتان في تفسيرهما لنشأة الظاهرة العذرية . فالفرد كما يذهب إلى ذلك " يوسف اليوسف " أحس بالتهميش والإقصاء عن صنع مصيره التاريخي والسياسي والحضاري الذي كان يوفره له المجتمع الإسلامي في عهد الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " .

إن الأصول الطبقة للظاهرة العذرية تنطلق من أنّ الأدب مرآة للحياة وأنّ (الأدب يصور حياة الناس ، فلا يكون أدباً حتى يصور حياة الناس ، وليس في الأرض أدب إلا وهو يصور حياة أصحابه) (١) .

(١) خصام ونقد ، الدكتور . طه حسين ، دار العلم للملايين ، لبنان ، الطبعة العاشرة ، ١٩٨٠ م ، ص ٤٤ .

أما الدكتور " عبد القادر القط " فإنه يقول : (وقد كان الفقد عند الشاعر الجاهلي يتمثل في الأطلال وذكرياتها ، وكان يثير عند الشاعر من الحنين أكثر مما يثير من الحزن لأنه صورة متجددة في كل موسم ترتبط بالحياة والحركة وإن انتهت إلى الفرقة . فالطلل رمز لوقت سعيد وصحبة جميلة نَعَم الشاعر بهما في ذلك المكان ، كانت له بلا شك دلالة على فقد أعمّ من تلك التجربة الفردية ، لكن الشاعر كان يحس أن الارتحال المستمر نمط طبيعي لحياته في الصحراء ، فلا بأس من أن يخلف وراءه ربوعاً تستحيل إلى أطلال ما دام سيقبل على ربوع جديدة عامرة بالحياة والناس ، ولا بأس من أن يعود إلى هذا الطلل يوماً – إذا ساقته إليه المصادفة – فيعثره من الشجى ما يعثره النفوس الحساسة الشاعرة . أما عند الشاعر العذري فالطلل " طلل نفسي " إن صح هذا التعبير ، وشعور دائم بالقهر المفروض والفقد الدائم في وجدان الشاعر نفسه ، ولا أمل للشاعر في أن يخلفه وراءه متطلعاً إلى حياة أهلة ، لكي يعود إليه يوماً فيبكيه على سبيل الوفاء والذكرى ، كما كان يفعل الشاعر الجاهلي (١) .

وتعقيباً على هذا يرى البحث أن الشاعر العذري الجاهلي كان أكثر تمسكاً وارتباطاً بالطلل من أي شاعر آخر ، لأن هذا الطلل يمثل له صورة حية حاضرة في ذهنه كان قد عاشها فيه ، فلا نستطيع أن نتصور أن هذا الشاعر العذري قد يتخلى عن هذا الطلل في يوم من الأيام .

أما الاحتمال الذي ساقه الدكتور " محمد غنيمي هلال " وهو (يحتمل أن يكون الغزل العذري في البادية في بعض مظاهره رد فعل طبيعي للغزل اللاهني في المدن) (٢) . فهو احتمال لا نتفق وإياه عليه ، لأنه مجرد شعرهم من أسمى خصائصه وهي العواطف والمشاعر والأحاسيس الصادقة المعبرة عن معاناتهم في عشقهم ، ويجعله شعراً جافاً لا عذوبة فيه .

أما " إبراهيم عبد الرحمن محمد " فيذهب إلى أن كثيراً من النصوص العذرية (تسجيل للحرمان واليأس والتسامي بالعاطفة واستعذاب الألم في سبيلها والاستغراق فيها ...) (٣) .

ويمكننا أن نجمع بين العوامل السياسية والاجتماعية لتربطهما الوثيق ، فيعتقد أحد الباحثين أن الغزل العذري كان رد فعل عنيف إزاء هذا القمع الذي

(١) في الشعر الإسلامي والأموي : ١٠٣ .

(٢) ليلي والمجنون في الأدبين العربي والفارسي : ٢٢ .

(٣) النظرية والتطبيق في الأدب المقارن ، دار العودة ، لبنان ، د . ط ، ١٩٨٢ م ، ص ١٥٨ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

مارسه التاريخ ممثلاً بالدولة ، وتوتراً إزاء الثقافة القمعية ، وأن شباب عذرة كانوا يموتون لا بسبب العشق ولكن بسبب حظر الحب الذي تبنته الدولة ^(١) . فهذا الرأي يبدو قريباً من رأي الدكتور طه حسين ويوسف اليوسف لكن بتغير الصيغة ، إذ يرى الدكتور " طه حسين " أن التهميش السياسي هو الدافع وراء انتشار هذه الظاهرة ، ويرى " يوسف اليوسف " الرفض للسياسة وللدولة هو السبب وراء انتشار هذه الظاهرة ، فكلاهما فسر الظاهرة بأنها رفض للدولة وسياستها .

إن الربط بين الظواهر الإبداعية الكبرى والوسط الذي نشأت فيه يؤكد لنا العلاقة المنسجمة بين الأدب والمعتقدات السياسية السائدة فيه ، إيماناً منا أن الأدب انعكاس لذلك الوسط الذي نشأت فيه تلك الظواهر الإبداعية بكل أبعادها وخلفياتها الفكرية والسياسية .

ولعل المؤثر السياسي من أهم المؤثرات التي كان لها دور أساس في بلورة الرؤية المعرفية التي تكون القاعدة الأساسية لتشكيل الظواهر الإبداعية الكبرى ، والقهر والقمع كانا من أبرز العوامل السياسية التي أسهمت في تشكيل الرؤية المعرفية للأعمال الإبداعية الكبرى عبر الحضارات الإنسانية ، لأن الحس المأساوي من المصادر الأساسية للإبداع الأدبي ، وأن هذا الحس في غالبية أشكاله من أشكال التعبير عن القهر والقمع السياسيين ، في تاريخ الحضارات الإنسانية .

إن معيار القهر والقمع كان الأساس لقراءة " يوسف اليوسف " حيث (غدا المثل الأخلاقي ... أداة في خدمة الاستبداد الملكي الخالع للأفراد والساحق لهم تحت وطأة آلة الدولة . ولهذا راح الأفراد يلتزمون بالمثل ويطالبون بحقوقهم العشقية في آن معاً . فكانت العذرية ، أي النقاء العشقي والانقهار أمام الحظر . ومن هنا كان القهر هو العنصر الأول الذي تتأسس عليه عظمة الشعر العذري ومزاياه الوجدانية ، وبالتالي فإن القهر هو المعيار الأول لنقد ذلك الشعر ، وربما لنقد التراث الشعري كله) ^(٢) .

فالاستبداد الملكي في نظر " يوسف اليوسف " الساحق للفرد هو الدافع الأساس للحس التفجعي الذي اتسم به الخطاب العذري .

(١) ينظر : نقد الغزل العذري في العصر الأموي قديماً وحديثاً دراسة تقويمية ، عبده صالح ثابت الدباني ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ٢٠٠٣ م ، ص ٩١ .

(٢) الغزل العذري دراسة في الحب المقموع : ٢٩ - ٣٠ .

إن القهر والقمع السياسيين للظاهرة العذرية عند " يوسف اليوسف " لا يحصرها في البعد السياسي فقط ، وإنما يعيدها إلى أبعاد اجتماعية تتمثل في القيم والتقاليد والأعراف التي تشكل في مجملها البناء الاجتماعي للعصر ، وكأن المجتمع بكل منظومته الاجتماعية والسياسية وقف ضد المحبين وحال دون اتصالهما . (ولا نكاد نجد ظلاً للحياة والمجتمع في شعر هؤلاء الشعراء إلا بمقدار ما يوحي بالخصومة العامة الدائمة بينهم وبين تقاليد ذلك المجتمع) ^(١) . وبذلك يكون الغزل العذري حاملاً لأسباب رفض المجتمع ، بل هو بتعبير آخر نمط شعري يعبر عن حالة رفض الواقع واللاتكيف الاجتماعي ، حتى لو كان هذا الرفض سلبياً انعزالياً ، فلم يكن رفض الشعراء يشكل خصومة ضد بنية المجتمع ، وإنما ضد ما يمارس من ظلم في الكيان الاجتماعي ، حتى تحول هذا الاستنكار إلى نوع من أنواع الرمز الذي عبر به شعراء هذا العصر ضد ما يشعرون به من استبداد قاس من قبل الدولة . واللجوء إلى الرمز في هذه الحقبة من الزمن العربي قد نشأ في (عهود قوة الدولة وبطش الحكام) ^(٢) . فكان السبيل مناسباً لتوظيف أسلوب التعمية والترميز .

وعلى هذا فإن (هؤلاء الشعراء يمثلون نوعاً من " المواجهة " بين الحب وتقاليد المجتمع ومفهوم ذلك المجتمع عن الحب ... ولعلنا نستطيع أن نضيف أن هذا الرفض يمكن أن يتجاوز الحب إلى وضع الفرد في المجتمع بوجه عام بعد أن أصبح مجتمعاً يخضع لقوانين وشرائع واضحة تقوم على تنفيذها حكومة منظمة وتتطلب من الفرد أن " يتنازل " عن كثير من حريته الفردية السابقة) ^(٣) .

فالقهر الذي يمارسه المجتمع على الأفراد بواسطة القيم الاجتماعية المفروضة ، سواء أكانت ذات مصدر خلقي أم من صنع العادات والتقاليد تجعل الأفراد قسراً أو طواعية يقبلون المنزلة التي يفرضها عليهم الوضع الاجتماعي ، كما لو كانت طبيعة فيهم ويؤدون الأدوار المفروضة عليهم معتقدين أنهم يتصرفون بحرية . مثل هذا التصور يذهب إلى أن الرقابة الاجتماعية والسياسية كانت تثقل كاهل الشعراء العذريين .

إن الشعور بالقهر والرقابة بكل ما تحمله من أبعاد سياسية واجتماعية في الشعر العذري هي التي دفعت الإحساس بالحرمان لدى العذري لأن يطغى على

(١) في الشعر الإسلامي والأموي : ١٣٤ .

(٢) الغزل العذري واضطراب الواقع : ١٨٥ .

(٣) في الشعر الإسلامي والأموي : ٩٥ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

وجدانه ورؤيته المعرفية ؛ وهذا ما حدا بـ " علي البطل " إلى عد العذرية تعبيراً عن الإحساس بالحرمان السياسي على وجه الخصوص ، وأنه الدافع الرئيس لنشأة العذرية (وأما أبناء البوادي فقد اختلف حالهم ، إذ كانت حياتهم تميل إلى الشظف والخشونة ، لذلك فقد اختلفت الصورة في الشعر بين البادية والحاضرة ، وتركز هذا الاختلاف في تعبير كل منهما عن حظه من الحياة من خلال صورة المرأة ... ففي شعرهم نجد الهدف الأساسي [كذا] هو التعبير عن هذه العاطفة ، وعن الحرمان الملازم لها ، لا التعبير عن المرأة التي هي هدف العاطفة ، ومجالها ، فشعرهم يهتم بالروح أكثر مما يهتم بالصورة الجسدية) (١) .

وبذلك يطرح " علي البطل " العذرية طرحاً مغايراً لطرح " يوسف اليوسف " ، فالمرأة عند علي البطل معادل موضوعي لصورة الحرمان الذي كان يعيشه العذري في باديته التي افتقرت إلى أدنى الشروط التي يجب أن تتوفر لإنسان يعيش في مجتمع يهدف إلى بناء حضارة بكافة مستوياتها الروحية والمادية . وهو طرح يأخذ أصوله من طرح الدكتور " طه حسين " الذي سبق أن أشرنا إليه فيما مضى من البحث .

فالعذرية تعبير عن الإحساس بالحرمان الذي أخذ طابعاً مأساوياً ، والمرأة ما هي إلا صورة أو رمز للمنهوب سياسياً واجتماعياً ، وبذلك يعطي " علي البطل " تفسيراً حضارياً للعذرية ، انطلاقاً من أن صورة المرأة في الشعر العذري لم يُقصد منها الجسد فقط ، وإنما الماهية كذلك ، وهي قراءة تجاوزت المحدودية التي تميزت بها القراءات الاجتماعية السابقة للعذرية . لتعطيها بعداً شمولياً . فالعذرية لم يكن هدفها تصوير جسد المرأة ، وإنما ماهيتها . فالحرمان لم يكن حرماناً شبقياً كما ذهب إلى ذلك " يوسف اليوسف " وإنما هو حرمان حضاري يتعدى محدودية النظر الشبقية إلى النظرة الشمولية ، وتلك الميزة الأساسية التي أهلت العذرية لأن تكون ظاهرة إبداعية ذات مدلول إنساني ، يعبر عن الحرمان بهذا المفهوم تعبيراً شاملاً .

والعذرية بهذا المفهوم تجسيد للصراع داخل المجتمع من خلال صورة الحرمان التي انعكست بصورة عامة في صورة امرأة . لذلك (يرى عدد من علماء النظرية السوسيولوجية أن الصراع بمفهومه الواسع يجب أن يكون سبباً للتعبير الاجتماعي ، وتنطلق هذه النظرة من منطلق أنه لو كان هناك إجماع أو اتفاق في

(١) الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار الأندلس ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ م ، ص ١٠٦ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

المجتمع ، ولو أن القطاعات المختلفة له كانت متكاملة فإن الحاجة بالتالي إلى التغيير تكاد تكون ضئيلة ، ومن ثم فإنه لا بد من وجود صراع بين مختلف قطاعات المجتمع أو طبقاته أو بين مختلف الأجزاء المتنوعة المكونة للأنساق الثقافية والاجتماعية ، لا بد من وجود ذلك الصراع حتى يحدث التغيير (^١) . فالتعبير عن الحرمان قد جسد ذلك الصراع المحتدم الذي كان يصطرخ داخل المجتمع ، فبقدر ما كان هذا الصراع عامل بناء إلا أنه بدأ يتجلى سلبياً من خلال عدم تحويل هذا الصراع لما يخدم المجتمع ذاته ، إلا أننا لا ينبغي أن ننظر نظرة سلبية إلى هذا الصراع . فلولاها لما تقدمت المجتمعات ، وهو ما كان يطمح المجتمع العربي إلى تحقيقه .

وهذا ما لم يدركه " يوسف اليوسف " الذي عدّ العذرية استسلاماً وتنازلاً عن الذات والهوية (^٢) . وهي قراءة تركز على الجانب الاستسلامي في العذرية ، ولا تدرك ذلك الطموح الذي تجسد في الصراع الداخلي والخارجي ، وكله من أجل بناء المجتمع بناءً عادلاً . فالإقصاء النابع عن القهر والقمع هو العامل الرئيس عند " يوسف اليوسف " في إفراز الخط العذري . فالإقصاء السياسي والاجتماعي هو الذي يكرس فكرة التعويض ، بوصفها دافعاً أساسياً في تشكيل الفضاء الشعري للعذرية .

إن قراءة " يوسف اليوسف " تقف على إحدى السمات الأساسية للإبداعات الكبرى ، فالمسحة المأساوية حقيقة فنية ملازمة للشعر العربي بعامه والظاهرة العذرية بخاصة ، وترجع في أصولها إلى أن (المأساة الإنسانية هي صراع غير متكافئ بين الإنسان والطبيعة ، وبين الإنسان والمجتمع ، ولما كان هذا الصراع هو السمة الأساسية لتاريخ البشر ، فإن الحس المأساوي هو اللون الغالب على بقية أحاسيسهم ، ولقد ظل هذا الفن منذ أول العصور محاولة الإنسان البدائية لتجاوز المأساة ، بالتعبير عنها ذاتياً ، يحيط بجملة الظروف الصانعة لها . لذلك كانت المأساة : هي فن الإنسان الأول) (^٣) .

(١) علم الاجتماع المفهوم والموضوع والمنهج ، صلاح الفوال ، دار الفكر العربي ، د . ط ، ١٩٨٢ م ، ص ١١٠ .

(٢) ينظر : الغزل العذري دراسة في الحب المقموع : ٦٣ .

(٣) المنتمي دراسة في أدب نجيب محفوظ ، غالي شكري ، دار الآفاق الجديد ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣ م ، ص ٨٥ .

المبحث الرابع

الباعث الحضاري

الباعث الحضاري :

لم تكن البواعث الحضارية في منأى عما ذكرناه من بواعث دينية واجتماعية وسياسية ، ولم تكن هذه البواعث كافية لتفسير الظاهرة العذرية ، فهناك بواعث أخرى أسماها النقاد بالبواعث الحضارية ، كان لها أثرها العميق في نشوء الظاهرة العذرية وازدهارها ، لذلك أرجع كثير من الدارسين في العصر الحديث أسباب نشوء الظاهرة العذرية إلى تلك التحولات الكبرى التي شهدتها الدولة العربية في صدر الإسلام والعصر الأموي في مختلف ميادين الحياة ، حيث كان لهذه التحولات آثار عميقة في نفوس العرب كافة ، بيد أن هذه الآثار اختلفت هي الأخرى من بيئة إلى أخرى ، تبعاً للأهمية السياسية والموقع الجغرافي ، وقد وجدنا من خلال البحث والاستقصاء أن نتائج هذه التحولات بآثارها العميقة والواسعة تطبع الأدب العربي بطابعها . ولم يتفق الباحثون على الكيفية التي أفرزت هذه التحولات من خلالها ظاهرة الغزل العذري ، فمنهم من رأى أن ذلك قد جرى بطريقة مباشرة ومنهم من رأى غير ذلك .

فهذا الدكتور " طه حسين " مزج في تفسيره للظاهرة العذرية بين الدين والتاريخ والسياسة والاجتماع بيد أنه كان أقرب إلى التفسير الحضاري ، وهذا ما أشرنا إليه خلال حديثنا من بداية هذا الفصل وإلى الآن ، حيث يرى أن نشوء الظاهرة العذرية يعود إلى ما ناله الحجاز من تهمة سياسي في العصر الأموي فذهب أهل الحضر يلهون كما يلهو كل يائس ، أما أهل البادية فقد كانوا يائسين وكانوا فقراء ، فلم يتح لهم اللهو ، وقد حيل بينهم وبين الحياة الجاهلية ، وتأثروا بالإسلام ، وانصرفوا عن حروبهم الجاهلية وعن الحياة العملية في الإسلام ، فانكبوا على أنفسهم واستنبطوا منها نغمة لا تخلو من حزن ، فكان الغزل العذري هو طموح البادية إلى مثال أعلى في الحب نظراً لبراءتها من ألوان الفساد الشائعة في المدن (١) .

فالبعد الديني والاجتماعي والسياسي يشكل أسس قراءة الدكتور " طه حسين " ، وبذلك يعطي للظاهرة العذرية بعداً حضارياً متشعب الدلالات ، وقد أكد الدكتور " عبد القادر القط " هذا المعنى بقوله : (والحق أننا إذا أردنا أن ندرس تلك الظاهرة الفنية وصلاتها بالمجتمع والعصر ، لا ينبغي أن نقف عند تعبيرها الظاهري عن عواطف الحب . فليس من المعقول أن ينشأ هذا العدد الكبير من

(١) ينظر : حديث الأربعاء : ١ / ١٨٩ - ١٩٠ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

الشعراء العذريين الذين يتفقدون في التجربة العاطفية وصور التعبير عنها ، دون أن يكون لذلك جذور أعمق مما نراه على سطح تلك الصور والمعاني الشعرية المشتركة بين هؤلاء الشعراء . وليس من ضير في أن نلتمس في هذا الشعر دلالات ورموزاً تتجاوز التجربة العاطفية ... ولو تدبرنا ما نصادف من بعض الصور العاطفية عند هؤلاء الشعراء لأحسنا أنها - لو انتزعت من سياقها - يمكن أن تكون تعبيراً عن معاني ومشاعر أكثر شمولاً ، قد نجد فيها تصوراً لموقف عام من الحياة . فقد نجد في الشعر الجاهلي أشارات قليلة عابرة إلى اليأس ، لكننا نواجه في الشعر العذري بكثير من الحديث عنه حديثاً يوحي بأنه يتجاوز عاطفة الحب - دون تعسف في التأويل - إلى كثير من الدلالات والرموز (١) . وبذلك تجتمع العوامل الدينية والاجتماعية والسياسية لتشكل الفضاء الكلي للظاهرة العذرية لتعبر عن موقف حضاري شامل .

ويتابع الدكتور " طه حسين " حديثه عن الغزل الحسي ، والعوامل الحضارية التي كانت سبباً في نشأته ، ولنا أن نتابع ذلك مع الغزل العذري ، إذ (أن هذين القسمين من الغزل كانا متقاربين لا متجاورين ، أريد أن العذريين والإباحيين كانوا جميعاً في الحجاز وما يليه ، ولكنهم لم يكونوا يعيشون في بيئة واحدة ، وإنما كان فريق منهم يتحضر ، وفريق منهم يبدو . فأما ... الإباحيون ، فكانوا يتحضررون ، يعيشون في مكة والمدينة ، وأما العذريون فكانوا يبدوون في بادية الحجاز أو نجد) (٢) .

لقد كان للبيئة تأثير كبير في ظهور هذين اللونين من الغزل (فالمدن أكثر صلاحية لظهور الغزل الحسي ، لسهولة الاتصال بين المحبين فيها ، وتراخي قبضة الرجل على المرأة ، وضعف التقاليد البدوية القديمة التي تحوط المرأة بسياج من الغيرة كثيف) (٣) وهذا لم يحصل ما لم يكن المجتمع على صلة كبيرة بأسباب الحضارة التي تفعل فعلها في تغيير الواقع ، ويبدو الأمر جلياً وواضحاً في حالة الموازنة بين العصر الإسلامي والعصر الجاهلي ، إذ كانت حياة الجاهليين خشنة إلى حد ما ، أما في العصر الإسلامي فقد بدّلوا حياة أخرى عرفوا فيها كل ضروب النعيم والترف . ولعل جانباً منها يتمثل في اللقاءات الكثيرة التي كانت تحصل بين الشعراء وعشيقاتهم ، إذ أن المرأة الحجازية الحضرية نالت قسطاً غير هين من

(١) في الشعر الإسلامي والأموي : ٩٧ - ٩٨ .

(٢) حديث الأربعة : ١٨٧ / ١ - ١٨٨ .

(٣) تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وعصر بني أمية ، الدكتور . محمد عبد العزيز الكفراوي ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ١٩٦١ م ، ج ١ / ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

الحرية في هذا العصر ، لم تحظ بمثله جدتها أو أمّها ، وبهذا تكون قد تخلصت من بعض حجابها القديم . وقد أشار " الجاحظ " إلى ذلك بقوله : (فلم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب ، ولا كانوا يرضون مع سقوط الحجاب بنظرة الفلّنة ، ولا لحظة الخلصة)^(١) .

أما في البادية فكان الغزل عفيفاً ، لأن العرب هناك لم يعرفوا الحياة المتحضرة في مكة والمدينة ، ولا ما يطوي فيها من لهو وعبث ومن تحلل أحياناً من قوانين الخلق الفاضل ، وهي من أجل ذلك لم تعرف الحب الحضري المترف ، لأن بداوتها وتدينها بالإسلام قد عصماها عن مثل هذا اللون من الغزل اللاهي^(٢) .

نفهم من ذلك أن السبب في شيوع الغزل العفيف في البادية ، هو أنها بيئة غير متحضرة ، ينعلم فيها الشباب المترف الذي كان سبباً في نشأة الغزل الحسي ، وهذا الرأي قد لا يكون دقيقاً ، فالملاحم الحضارية التي تتوفر في الصورة الشعرية عند شعراء الغزل العذري تثبت عكس ذلك^(٣) .

أما الدكتور " محمد عبد العزيز الكفراوي " فيرى أن من الأسباب التي أدت إلى نشأة الغزل العذري في البوادي هي : (قلة الاختلاط فيها ، وصعوبة الاتصال ، وعنف التقاليد وقسوتها ، وقلة حظها من وسائل الترفيه التي تنتشر في المدن كمجالس الغناء ، وفيها يختلط الرجل بالمرأة فيستمع إلى غنائها ، ويتمتع بمحادثتها دون حرج أو تضيق)^(٤) .

ولعله في هذا قد جانب قسماً كبيراً من الحقيقة ، وأن قوله في قلة انتشار مجالس الغناء في البادية قول لا غبار عليه ، ولكن هذا لا يمنع من أنهم كانوا يترددون بين البادية والحاضرة ، وأنهم كانوا يستمعون إلى الغناء الذي كان تأثيره فيهم عظيماً . لأن المغنين كانوا يتخذون من أشعارهم موضوعاً للحن والغناء . وأنهم كانوا ينشدون أشعارهم ويعقدون صداقاتهم وصلاتهم الفنية والاجتماعية في

(١) رسائل الجاحظ : ٢ / ١٤٨ .

(٢) ينظر : العصر الإسلامي : ٣٥٩ . والتطور والتجديد : ١٠٦ .

(٣) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٥٤ .

(٤) تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وعصر بني أمية : ١ / ٢٠٣ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

مكة والمدينة ، وبهذا يكونون قد جمعوا (بين عفة البادية ورقة الحاضرة ، فكانت تلك العوامل مجتمعة سبباً في ظهور الحب العذري)^(١) .

ويذهب الدكتور " يوسف اليوسف " في تفسيره الحضاري إلى الربط الوثيق بين حركة التاريخ وحركة الشعر ، على أن ثمة فكرة مهيمنة على الدكتور اليوسف سيطرة كلية ، إذ مضى يرددتها في كل مباحث الكتاب تقريباً ، وتعد أطروحته المركزية في دراسة الظاهرة ، ومفادها (أن العذرية لم تكن إلا احتجاجاً ضد القهر الذي أنزله التاريخ بالأصالة الطبيعية)^(٢) لأن الحضارات – في تقديره – تسعى دائماً إلى تذيب العواطف وإخصاب العقل^(٣) .

ويرى باحث آخر أن الدولة الإسلامية هي التي قمعت العشق وشكمتها في سبيل تحقق أهدافها الاستراتيجية ، حيث زجت بالأفراد في معركة البناء والتوسع والجهاد ، فإذا كان العشق ينزع إلى السكينة واللامبالاة بما هو خارج الذات ، فإن التاريخ يقف ضد هذا السلوك وينبذه فجاء الغزل العذري رد فعل عنيف إزاء هذا القمع الذي مارسه التاريخ ممثلاً بالدولة ، وتوتراً إزاء الثقافة القمعية ، ورأى الباحث أيضاً أن شباب عذرة كانوا يموتون لا بسبب العشق ولكن بسبب حظر الحب الذي تبنته الدولة^(٤) .

أما الدكتور " عبد القادر القط " فقد كان من أكثر الباحثين الذين بحثوا في تأثير الحضارة على الشعراء العذريين ، فهو يرى أن بين شعرهم وشعر الحركة الرومانسية في أوروبا والشعر العربي الحديث تشابهاً كبيراً . إذ أن الحركة الرومانسية في أوروبا قد نشأت بعد انقلاب حضاري شامل غير وجه الحياة في أوروبا ، ووضع الفرد وضعاً جديداً في المجتمع وقد أحس الأدباء والشعراء منهم بوجه خاص بجسامة هذا التحول وقام في نفوسهم صراع بين الإقبال على الحياة الجديدة ، والتمسك بتلك الأوضاع المألوفة التي درجوا عليها^(٥) .

ومثل (هذا التغير الجسيم الذي أحدثته الثورة الصناعية في أوروبا أو النهضة الحضارية في الوطن العربي ، لا يمكن أن يقاس إلى ما أحدثه الإسلام من انقلاب

(١) دراسات نقدية في الشعر العربي ، الدكتور . بهجت عبد الغفور الحديثي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٢ م ، ص ٢٨٧ .

(٢) الغزل العذري دراسة في الحب المقموع : ٧٠ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٨ .

(٤) ينظر : نقد الغزل العذري في العصر الأموي قديماً وحديثاً : ٩١ .

(٥) ينظر : في الشعر الإسلامي والأموي : ١٠٤ – ١٠٥ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

هائل مفاجئ في حياة العرب . ولعلنا نستطيع أن ندرك حسامة هذا الانقلاب إذا تخيلناه في صورته الحية خارج إطار التاريخ المسجل الذي لم يكن يضم - في الأغلب - إلا الأحداث والوقائع التاريخية الكبرى . ولنا أن نتصور الإنسان العربي الذي عاش حياته التقليدية في الجزيرة العربية متصلاً بأسباب قوية أو ضعيفة بما جاورها من بلاد ، وقد وجد نفسه فجأة محارباً في سبيل عقيدة دينية جديدة غيرت كثيراً من قيمه الروحية والخلقية والاجتماعية ، ثم خائضاً في أحداث سياسية وفتن و " حروب أهلية " حول نظام الحكم والاقتصاد والعصبيات القبلية القديمة ، ثم مهاجراً ومستقراً في تلك الأقطار التي دفعته إليها الفتوح الإسلامية ومواجهاً لأنماط من المعيشة والسلوك الحضاري والتراث الفكري غير تلك الأنماط التي ألفها في موطنه القديم (١) . فهو يحبها ، ويخشأها ، وتنمق نفسه بين الإقبال عليها ، والعزوف عنها ، ولعل هذا الإنسان قد أحس بأن تلك النقلة الحضارية شيء كالقدر المكتوب ، فربط بينها وبين طبيعة الأيام وتصرف الزمان (٢) .

وقد كان الدكتور " عبد القادر القط " أكثر موضوعية في تناوله الأسباب الحضارية للظاهرة ، فضلاً عما ذكره من أسباب دينية واجتماعية وسياسية ، وكان رأيه أقرب إلى رأي الدكتور طه حسين ، وهو أن الغزل العذري ليس تعبيراً عن التجارب العاطفية الواقعية فحسب ، ولكن فيه أيضاً ما يحتمل تأويلاً غير التأويل العاطفي الاعتيادي ، لأن من طبيعة الغزل إلا يعبر فقط عن عاطفة الحب . إن هذه المعاني التي أوما إليها البحث ، والتي أوحى بها الشعر العذري تعد معاني حضارية ، بمعنى أنها كانت نتيجة لما مرت به البادية من تحول كبير في حياتها حينذاك ، فمن هذه المعاني ما كان يعانيه إنسان البادية من اغتراب وعدم تكيف مع محيطه ، مما جعله يلجأ إلى العشق على ذلك النحو المتطرف ومنها الشعور باليأس والحنين والتذبذب بين الماضي والحاضر ، والتردد بين حياة البادية وحياة الحاضرة ، وقد عزز الدكتور القط هذا التفسير بشواهد شعرية عذرية غزيرة (٣) .

(١) في الشعر الإسلامي والأموي : ١٠٦ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٢٨ .

(٣) ينظر :

١ - في الشعر الإسلامي والأموي : ١٠٤ - ١٣٢ .

٢ - نقد الغزل العذري في العصر الأموي قديماً وحديثاً : ٩١ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

ولم يكن بعيداً عن هذا التفسير ما ذهب إليه الدكتور " إحسان سركيس " حيث رأى أن الهجرة الواسعة إلى خارج الجزيرة العربية كانت عاملاً من عوامل نشوء الحب والحنين في البادية (١) .

لقد وجد شعراء البادية في الغزل العذري متنفساً لهم يتخففون فيه مما يعانون من كبت وحرمان ، فصوروا عاطفتهم الحارة ، وقلوبهم النائرة الذي هام حباً بامرأة عذبتة وأضنته ، ولكنه مع ذلك يجد في هذا العذاب لذته ومتعته .

فالحرمان ظاهرة مسيطرة على شعرائه في أشعارهم عن التجارب السعيدة كما يفعل شعراء الغزل الحسي ، بل يتحدثون عما أصيبوا به من حرمان ، وما يجره من آلام وأحزان (٢) .

ويُرجع الدكتور " يوسف خليف " سبب هذا الكبت والحرمان الذي كان يسود المجتمع البدوي إلى سياسة الدولة آنذاك ، ومن هنا ظل الحرمان هو السمة الغالبة على المجتمع البدوي ، وظل الكبت هو العنصر الكامن في أعماقه (٣) . وقد أفصح الشعراء العذريون عما كانوا يعانونه من وطأة هذا الحرمان في غزلهم (٤) .

ويرى الدكتور " شوقي ضيف " أن الحزن الذي كان يجلل أطراف الجزيرة قد ساعد على قيام الظاهرة العذرية (٥) .

ومهما يكن من الأمر فإننا لا ننكر مثل هذا التفسير الحضاري للظاهرة العذرية الذي ذهب إليه الدارسون ، فالظواهر الأدبية عادة هي نتاج التفاعل بين التاريخ والجغرافيا والنفس البشرية ، ولكننا لا نستطيع أن نهمل سائر التفسيرات من دينية واجتماعية وسياسية وغيرها ، لأن الظواهر المعقدة في تركيبها هي ذات

(١) ينظر : الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية ، دار الطليعة والنشر ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ م ، ص ٤١٨ .

(٢) ينظر :

١- تاريخ الشعر العربي ... د . الكفراوي : ١ / ٢٢٧ .

٢- اتجاهات الشعر في العصر الأموي ... د . صلاح الدين الهادي : ٤٤٦ - ٤٥٣ .

٣- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ... د . البهيتي : ١٦٦ .

٤- الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ... د . غنيمي هلال : ٤٠ .

(٣) ينظر : تاريخ الشعر العربي في العصر الأموي ، مطبعة دار النشر والثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٦ م ، ص ٥٦ .

(٤) ينظر : الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ، للخالدين ، تحقيق : الدكتور .

السيد محمد يوسف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨ م ، ج ١ / ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٥) ينظر : العصر الإسلامي : ١٥٠ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

كان المجتمع أم الدولة ، حتى الدين نفسه لم يحظره ولكنه وضع له ضوابط كغيره من الغرائز الإنسانية (١) .

غير أن الدين والحضارة يشغلان الفرد عن العشق تبعاً لكثرة الواجبات والأعمال ، فمن تعاريف العشق (شغل قلب فارغ) (٢) وقد ذكر الجاحظ أن الفقير والسلطان لا يعشقان عشقاً شديداً نظراً لانشغالهما (٣) . وذكر أبو حيان التوحيدي أنه : (من الفراغ تكون الصبوة) (٤) وحتى الغزل نفسه فإنه لم يكن محظوراً في البادية ، يقول العقاد في ذلك (فهي تحرم الغزل ببنايتها ، ولكنها تحفظ للأعقاب منظومات شعرائها ولو كان عرفها في هذا الباب ذا وجه واحد لما بقيت لنا قصيدة من قصائد العشاق ولا خبر من أخبارهم ، ولا قصة من قصص الشعراء الواسفين والحسان الموصوفات ولكنهم كما رأيناهم قد عنوا بكل كلمة قالها شاعر في حسناء وبكل مساجلة بين عاشقين كأنها من وثائق التاريخ التي لا تنسى وما ذلك لأنهم يحبون الرياء أو يقصرون في كراهة المحظور فإنهم في الواقع يبلغون في كراهتها أقصى ما في وسعهم أن يبلغوه ولكنهم يفعلون ذلك لأن بواعث الحب في الفطرة الإنسانية أقوى من أن يكبحها العرف أو يقضي فيها بقضاء واحد ، فلا بد من التجوز والإغضاء ، أو لا بد من عرف ذي وجهين) (٥) .

وخلاصة القول فيما ذهب إليه الدكتور " يوسف اليوسف " أنه تأثر بكتاب هربرت ماركوس " الحب والحضارة " ، الذي طبق فيه نظرية فرويد النفسية على تراث الحب الغربي ، من غير أن يشير إلى هذا التأثير (٦) . على أن نقله الآلي لأفكار هربرت ماركوس وفرويد إلى التراث العربي الذي يتمتع بسماته الخاصة ، قد جعله يجانب الصواب في تفسير الظاهرة .

والحق أن ما ذهب إليه كل من الدكتور " طه حسين " ، والدكتور " عبد القادر القط " ، والدكتور " شوقي ضيف " ، والدكتور " إحسان سركريس " ، من

(١) ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : ١٨٣ - ١٩٨ .

(٢) مصارع العشاق : ١ / ١٣٤ .

(٣) ينظر : رسائل الجاحظ (رسالة العشق والنساء) : ٣ / ١٥٤ - ١٥٥ .

(٤) كتاب الإمتاع والمؤانسة ، لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق : أحمد أمين و أحمد الزين ، دار مكتبة الحياة ، ج ٢ / ص ١٥٠ .

(٥) جميل بثينة : ٢٢ .

(٦) ينظر : نظرية الحب عند الشعراء التروبادور وأثرها في دراسة شعر الغزل الأموي ، (بحث) للدكتور . إبراهيم أحمد ملحم ، مجلة : عالم الفكر ، ٢٠٠٠ م ، المجلد التاسع والعشرين ، العدد الأول ، الكويت ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

تفسير حضاري للظاهرة العذرية ، قد أضاء جانباً من جوانبها ، وهو تفسير يتفق مع طبيعة الأشياء وخصائص التاريخ ، ومضامين الشعر لا سيما أنهم لم يشتطوا في تلمس الملامح الرمزية في الغزل العذري ولم يحيلوه إلى رموز محضة لواقع نفسي أو سياسي أو حضاري ، ويهملوا تجاربه العاطفية الواقعية كما لم يتعسفوا في التأويل ، كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين ^(١) . ثم أن القضايا التي أفرزها العصر وأشار إليها الباحثون كالاغتراب واليأس والحنين والقلق الحضاري زادت من جذوة العشق الذي أنتج الغزل العذري ولم تكن موضوعات شعرية مستقلة في أغلب الحالات ولكن أفصحت عن نفسها من خلال هذا الغزل نفسه ^(٢) .

ونتيجة للتطور الحضاري الذي شمل جميع مرافق الحياة نجد أن غرض الغزل بنوعيه العذري والحسي ينشط ويزدهر . والشاعر فيه لا يتناول العاطفة المجردة تناولاً مباشراً وإنما يعمد إلى تصوير الوقائع والشواهد العينية المستخلصة من تجاربه في الحياة . وهو بهذا لا يختلف عن بعض الشعراء الجاهليين وربما يكون هذا التشابه هو الذي سوغ للدكتور " محمد عبد العزيز الكفراوي " أن يقول : (إن الغزل بنوعيه الحسي والعذري امتداد للشعر الجاهلي) ^(٣) . ولمثل ذلك ذهب الدكتور " نجيب محمد البهيتي " من قبل ، إذ رأى أن العناصر التي كونت الغزل في العصر الجاهلي ما يزال الكثير منها قائماً في حياة شعراء الغزل في العصرين الإسلامي والأموي ، من هنا كان غزلهم يجري مجاري سبق أن جرى فيها الغزل في العصر الجاهلي ^(٤) .

والمتصفح لشعر الغزل في صدر الإسلام والعصر الأموي لا بد أن يسترعي انتباهه التشابه ما بين شعرهم وشعر الغزل في عصر ما قبل الإسلام ^(٥) .

وبالعودة إلى الدكتور " عبد القادر القط " يمكن للباحث القول في نشأة الغزل العذري إن هناك أسباباً تآزرت لنشأته ، ثم ظهر بأشكال جديدة في العصور التي تلت العصر الجاهلي ^(٦) . ولما كان الشعر الجاهلي هو أعرق الآداب العربية ، وأسبقها إلى الوجود ، كانت كل المظاهر الأدبية العربية الخالصة ممثلة فيه خير

(١) ينظر : الغزل العذري واضطراب الواقع : ١٨٢ . فقد أحال الباحث الشعر العذري وقصصه إلى رموز محضة .

(٢) ينظر : الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية : ٤١٨ - ٤١٩ .

(٣) الشعر العربي بين الجمود والتطور : ٥٥ - ٥٧ .

(٤) ينظر : تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري : ١٤٥ .

(٥) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٦٩ - ٧٣ .

(٦) ينظر : في الشعر الإسلامي والأموي : ١٣٠ - ١٣٢ .

تمثيل وكان ذلك الشعر صدى ناطقاً بكل ما توحى به البيئة العربية من مظاهر وآثار (١).

ومن مظاهر وآثار البيئة العربية الجاهلية المكان الذي تبوأ مكانة كبيرة لدى شاعر الغزل العذري " المتيم " ، فهذا الشاعر حينما يقف على ديار الأحبة فإنه يعبر عن مشاعره وأحاسيسه تعبيراً يثير الأسى ، وتظهر تلك الصلة العميقة بينه وبين الديار التي تمثل له المرأة الحبيبة (٢) ، فالمكان لديه يمثل المرأة الحبيبة ، لذا نجده يحن ويتشوق إلى ديارها وإلى المكان الذي تحل فيه (٣) ، فإحساسه بالمكان يختلف عن إحساس شاعر الغزل الصريح ، لأن ارتباطه بالمكان متأثراً من ارتباطه بالمرأة الحبيبة ، فذكرياته معها وحنينه إليها مرتبط بذكرياته وحنينه إلى ديارها فهو (لم ينشغل فقط بتصفح صور وجود الأحبة في ذاكرته ، إنما كان مهوماً بذكريات الأمكنة التي شهدت قصص حبه ، فكان يسيل به الحنين إلى كل مكان وشيء ونقطة) (٤) ، فمثلاً نجد وقوف المرقش الأصغر على الأطلال ، يمثل وقوف المحب الهائم الذي يطيل النظر فيها ويتقنن في تصويرها ، يقول :

أمن رسم دار ماء عينيكَ يسفحُ	غدا من مقام أهله وتروحو
تُزجِّي بها خنسُ الطَّباء سخالها	جاذرها بالجو ورد وأصبح
أمن بنت عجلان الخيال المطرحُ	ألم ورحلي ساقط متزحزح
فلما انتبهت بالخيال وراعني	إذا هو رحلي والبلاد توضح
ولكنه زور يُيقظ نائمًا	ويحدث أشجاناً بقلبك تجرح
بكل مبيت يعترينا ومنزل	فلو أنها إذ تدلج الليل تُصبح (٥)

(١) ينظر : الرمزية في الشعر العربي ، الدكتور . درويش الجندي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة - ١٩٥٨ م ، ص ١٦٢ .

(٢) ينظر : المدينة في التراث ، الدكتور . أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤ م ، ص ١٠ .

(٣) ينظر : الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي ، محمد إبراهيم حور ، دار نهضة مصر للطبع ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣ م ، ص ٤٧ .

(٤) الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي ، عزيز السيد جاسم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ م ، ص ١٥١ .

(٥) ديوان المرقشين : ٨٧ - ٨٨ : وينظر : مجموع شعر المرقش الأصغر ، الدكتور . نوري حمودي القيسي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الثالث عشر ، ١٩٧٠ م ، ص ٥٣٠ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

وقد اكتسب المكان لدى شعراء الغزل العذري " المتيمين " أهميته ومنزلته من أهمية ومنزلة من يسكن فيه أي أحبته ، والمكان جزء من البيئة الحضارية لهذا الشاعر المتيم ، فمكان الحبيب لا يفارق ذاكرة الشاعر العذري المتيم لذا نجده كثيراً ما يكرر ذكر مكان أحبته في شعره ^(١) ، فضلاً عن ذلك فهو يحن إلى كل مكان تسكن فيه الحبيبة يحبه ويجعله موطنه الذي يألفه ولا يحيد عنه ، ويبقى ذلك المكان محبباً له وإن غادرت الحبيبة لأنه يشكل له موطن الذكريات ، وسيبقى ذلك المكان يوحى له بأحبته وإن غادروه .

شغلت المرأة مكانة بارزة في حياة الشاعر العربي ، فهي مركز استقراره ، ومصدر إلهامه ، فهذا الجانب الحضاري الذي تمثله المرأة من استقرار والهام حدا بالشاعر أن يمجّد هذه المرأة الحبيبة ، لذا نجد أروع قصائدهم وأبرع أثارهم يتصل بالمرأة ، ويصف حسناتها ، وجمالها ، ويذكر تأثيرها في النفس ، فالمرأة العربية ذات تأثير ساحر في عقل الرجل وقلبه ، لذا فهو يقتحم الصعاب ويخوض الغمرات من أجلها ، ولا يفتأ يردد ذكرها في كل مناسبة للقول ، فيفتتح بها قصائده ، ويقف على أطلالها باكياً ، ويُلُمُّ بمنزلها مشتاقاً ^(٢) . ومن هنا نجد أن الشاعر العربي قد ربط بين المرأة الحبيبة وبين مكانها الذي تسكن فيه ، فهو (يشفع حبه لبيئته بحبه لمحبوته ، ويهيج في نفسه حبه لمحبوته حبه لبيئته) ^(٣) ، ودواوين الشعراء في العصر الجاهلي تعجّ بذكر المرأة والتغزل بها ، وارتباط ذكرها بمكانها ، وقد عاش هذا العربي وفياً لذاك المهد والمراح كل الوفاء لا يفتأ يذكر اسمه في لهوه وجده ، فإذا أنشد في غرامه ذكر اثنتين : محبوبة صافاها ودّه ، ومربع رتع وإياها على مهده ^(٤) .

فهذا عبد الله بن العجلان يقف على ديار الحبيبة مذهولاً لما رآه من تغير في معالم ديارها ، فيعاوده الحنين إلى أيامه التي قضاها فيها ، يقول :

أعود عيني نَصْبُها وغُرُورها أهُمَّ عناها أم قذاها يُعُورُها ؟
أم الدار أمست قد تعفّت كأنّها زبورُ يمانٍ رقشته سُطُورُها ؟

(١) ينظر : البناء الفني لشعر الحب العذري في العصر الأموي ، سناء البياتي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٨٩ م ، ص ٧٥ .

(٢) ينظر : الشعر الجاهلي ، الدكتور . عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣ م ، ص ٢٥٢ .

(٣) الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي : ٢٧ .

(٤) المصدر نفسه : ٣١ .

ذكرتُ بها هنداً وأثرابها الألى بها يكذبُ الواشي ويُعصى أميرُها
فما مُعولٌ تبكي لفقد أليفِها إذا ذكرته لا يكفُ زفيرُها
بأغزر مني عبرةً إذ رأيتها يُحثُّ بها قبل الصّباح بعيرُها
ألم يأتِ هنداً كيفما صنّع قومها بني عامرٍ إذ جاء يسعى نذيرُها
فقالوا لنا إنا نحبُّ لقاءكُم وإنّا نحْيي أرضكُم ونزورُها
فقلنا : إذا لا ننكلُ الدَّهرَ عنكُم بِصمِّ القنا اللَّائِي الدِّماءُ تُميرُها (١)

وكانت النقلة الحضارية قد مست نفوس الناس وأساليب معيشتهم وطرق سلوكهم فتغيرت كثير من القيم الخلقية والاجتماعية ، وإن ظل الكثيرون تتنازعهم قيم قديمة عميقة الجذور في النفس العربية ، وقيم جديدة تفرضها طبيعة الحياة في المجتمع الجديد (٢) . وظل الشاعر المخضرم متأرجحاً بين تقاليد الشعر الجاهلي ومقتضيات المجتمع الإسلامي ، ولم يستطع أن يهتدي إلى " صيغة " شعرية جديدة كاملة تستجيب لطبيعة المجتمع الجديد ، وإن كنا قد رأينا بعض " تباشير " تطور فني ولغوي كان قد بدأ يتسرب بالتدريج إلى شعر بعض هؤلاء الشعراء . وتمضي سنوات قليلة فإذا تلك التباشير قد أسفرت عن تحول كبير في الشعر العربي سواء في لغته أم صورته أم طبيعته تجاربه ... حتى ليتمكن أن نسميه حركة شعرية جديدة . وتلك هي " الحركة العذرية " التي تتمثل في شعر طائفة من الشعراء عاشوا جميعاً في زمن واحد وتنقلوا في بيئات واحدة أو متقاربة ... (٣) ، والإشارة إلى تلك التباشير ما هي إلى إشارة إلى نشأة الحركة العذرية ، وإذا كانت تلك التباشير منبثقة من العصر الجاهلي ، فمن الطبيعي أن تكون الحركة العذرية أيضاً منبثقة من العصر الجاهلي ، وهو المنشأ الطبيعي لهذه الحركة ، وإن أصول هذه الحركة ما هي إلا أصول جاهلية النشأة .

بعد هذه الإمامة في البواعث الدينية والاجتماعية والسياسية والحضارية في نشأة الغزل العذري والتي تابعتها آثارها في آراء الدارسين المحدثين يجب علينا أن لا ننسى الغاية التي من أجلها قيل شعر الغزل هذا .

فهو شعر وجداني عبر فيه الشعراء عن شقائهم أو متعهم في حُبهم ، وحتى الإشارات والرموز - التي تتجاوز في بعض الأحيان التجربة العاطفية - التي

(١) ديوان عبد الله بن العجلان النهدي : ٢٦ - ٢٧ .

(٢) ينظر : في الشعر الإسلامي والأموي : ٧١ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٧٢ .

الفصل الثاني ***** البواعث الموضوعية للغزل العذري

أشاروا فيها إلى واقعهم المر كانت نابعة من أعماقهم تحكي قصة معاناتهم وعذاباتهم من المعاملة القاسية التي عوملوا بها ، كل هذه الأسباب وغيرها التي ذكرناها خلال مسيرتنا مع هذه البواعث أدت إلى نشأة الغزل العذري في العصر الجاهلي ، الذي كان مرآة عاكسة لطبيعة هذا العصر وما طرأ عليه . وقد استطاع شاعر الغزل الجاهلي " المتيم " أن يؤثر في الأدب والحضارة ، فيترك فيهما أثراً باقية إلى يومنا هذا نحتذي حذوها وننهل من عيبرها ونتعلم منها عبراً ودروساً باقية على مر التاريخ .

الفصل الثالث

البنية الفنية للغزل العذري :

- المبحث الأول. : اللغة والأسلوب .
- المبحث الثاني : الصورة الشعرية .
- المبحث الثالث : الإيقاع .
- المبحث الرابع : بناء القصيدة .

الفصل الثالث

البنية الفنية للغزل العذري

تفنن الباحثون والدارسون في دراساتهم الفنية للغزل بصورة عامة ، والغزل العذري بصورة خاصة في كل العصور ، إلا أنهم أهملوا الجوانب الفنية للغزل العذري في العصر الجاهلي ، وأوجزوا وأطالوا وفصلوا وأكثروا ، ولكنهم تنوعوا واختاروا ، كل واحد منهم حسب رؤيته وقناعاته ، وقد آثرنا أن تكون الدراسة الفنية في ماهية روح العصر وذوقه ، وما أثر عن شعرائه من الانغماس في فنونه وبدعه ، محاولين التركيز على أهم مميزات الغزل العذري حينئذ وأظهرها ، مستعملين الخطاب الشعري دليلاً على حقيقة مهمة تحدد كون الشاعر " شاهد عصره " ينقلنا من خلال ألفاظه وأفكاره ومعانيه لمعايشة مجتمعه وعصره بكل ما يضم من جوانب دينية واجتماعية وسياسية وحضارية وفكرية وثقافية ، وهي تحاول رسم الجسور المؤدية إلى فنية الشعر العذري ، فارتأى البحث تقسيم الدراسة الفنية للغزل العذري على المباحث الآتية :

- ١- اللغة والأسلوب .
- ٢- الصورة الشعرية .
- ٣- الإيقاع .
- ٤- بناء القصيدة .

المبحث الأول

اللغة والأسلوب

اللغة والأسلوب :

تؤدي اللغة دوراً مهماً في عملية الإدراك الأدبي ، فهي الوسيط الذي يهيئ للتجربة الشعورية ، وبما أن اللغة كائن حي اجتماعي تخضع لعوامل التطور والارتقاء ، فقد وصفها القاضي الجرجاني " ت ٣٩٢ هـ " شارحاً التطور اللغوي الذي طرأ على لغة الشعر بقوله : (... اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله ، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعاً ، وأطفها من القلب موقعاً ؛ وإلى ما للعرب فيه لغات فاققتصروا على أسلسها وأشرفها ...) (١) .

واللغة البشرية تستند مثل كل ظاهرة اجتماعية إلى سلسلة لا نهاية لها من وقائع الماضي ، وكل لغة وليدة لتطور تاريخي تدخل فيه مؤثرات عديدة متباينة . حتى أصبحت القدوة والمثل لمختلف العلوم ، خاصة الإنسانية منها . وباللغة نعرف العالم وبها نبنيه ، وهي الأساس الفاعل المنتج لنقل الأفكار والمفاهيم ، وهي وسيلة التواصل والمعرفة ، واللغة تتحكم في تحديد علاقة الملفوظات ومواقعها حتى يتم إدراكها . وبذلك يبدو اهتمام العرب بقدسية الحرف ورمزيته وجمال الكلمة وشرف التعبير والبيان ، عندما كانت قرائحهم صافية وألسنتهم فصيحة .

فاللغة العربية لغة شاعرة وقد (وجد الشعر في كل لغة من لغات القبائل البدائية والأمم المتحضرة ، ولكنه لم يوجد فناً كاملاً مستقلاً عن الفنون الأخرى في غير اللغة العربية ، والمقصود بالفن الكامل هو الشعر الذي توافرت له شروط الوزن والقافية وتقسيمات البحور والأعاريض التي تعرف بأوزانها وأسماؤها وتطرد قواعدها في كل ما ينظم من قبيلها . وهذا الفن لم تتوافر شرائطه وأدواته لفن النظم في لغة من اللغات . إن فن الشعر في اللغة العربية يناسب هذه اللغة الشاعرة التي انتظمت مفرداتها وتراكيبها ومخارج حروفها على الأوزان والحركات وفصاحة النطق بالألفاظ ، فأصبح لها من الشعر الموزون فن مستقل بإيقاعه عن سائر الفنون التي يستند إليها الشعر في كثير من اللغات) (٢) .

وبعد فإن اللغة الشعرية كما نظر إليها بعض النقاد تعني تحطيم اللغة الاعتيادية ، وإعادة بنائها ثانية في أنساق تركيبية جديدة مشحونة بالعاطفة (٣) ، إنها

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ٢٥ .

(٢) اللغة الشاعرة (مزايا الفن والتعبير في اللغة) ، عباس محمود العقاد ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، د . ت ، ص ١٨ - ٢١ .

(٣) ينظر : اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي ، محمد رضا مبارك ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد - العراق ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ م ، ص ١٥ .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

لغة من خلال لغة ، بمعنى إنها انزياح عن اللغة المعيارية ^(١) ، ولا يمكن تحديد عناصرها تحديداً مسبقاً ، أو وضعها في هياكل مسبقة خارج سياقها الشعري ^(٢) ، أو وضع قواعد صارمة لها ، كما لا يمكن معرفة دلالاتها ووظائفها خارج السياق الذي وردت فيه ، فرب لفظة لا إحياء لها ولا توهج في سياق ما ، تكون موحية ومتوهجة في سياق آخر وهكذا ^(٣) .

واللغة الشعرية لا تتسم بالرتابة بل هي متجددة متنوعة من شاعر إلى آخر ، ومن عصر إلى عصر ، ومن بيئة إلى أخرى ^(٤) ، والكلمة في الشعر ليست كالكلمة في الاستعمال الاعتيادي أو العلمي أو الفكري إذ لا يكون الاهتمام بمعناها فحسب وإنما هي عبارة عن صوت ودلالة ولكل من هذين العنصرين وظيفة في الشعر ^(٥) ، أما في الاستعمالات اليومية التي ذكرناها فتكون الإفادة في الغالب من معنى اللفظة فحسب بصرف النظر عن صوتها أو وقعها ^(٦) .

واللغة الشعرية بما فيها من خيال تستطيع أن تخلق علاقات جديدة بين الإنسان والأشياء ، وبين الأشياء والأشياء ، لم تكن موجودة من قبل في اللغة المعيارية ، إلا أن هناك حالات يدركها العقل ولا تدركها الصفة ، بمعنى أنها لم تجد لغة تعبر عنها كسائر الحالات نظراً لغموضها أو روحانيتها أو عمقها ، ولأنها لا تجد سنداً من اللغة المعيارية المعروفة بيد أن هذه الحالات يمكن للغة الشعرية أن تعبر عنها أو توحى بها لأن كل شيء يمكن التعبير عنه من خلال اللغة العربية ^(٧) .

وعلى أية حال فإن اللغة الشعرية تعني فيما تعني تلك السمات والخصائص التي يتميز بها الشعر من النثر سواءً على مستوى المعجم أو التراكيب أو البناء

(١) ينظر : الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب ، الدكتور . عباس رشيد الددة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد - العراق ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩ م ، ص ٢٨٣ وما بعدها .

(٢) ينظر : نظرية البنائية في النقد الأدبي : ١٢١ .

(٣) ينظر : دلائل الإعجاز ، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، وفانز الداية ، مكتبة سعد الدين ، دمشق - سوريا ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ م ، ص ٩٢ .

(٤) ينظر : اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي : ١٥ .

(٥) ينظر : الشعر والتجربة ، أريشيبالد مكليش ، ترجمة : سلمى الخضراء الجيوسي ، بيروت ، ١٩٦٣ م ، ص ٣٨ .

(٦) ينظر : نقد الغزل العذري في العصر الأموي قديماً وحديثاً : ١٦٢ - ١٦٤ .

(٧) ينظر : زمن الشعر ، الدكتور . علي أحمد سعيد (أدونيس) ، دار العودة ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ م ، ص ٢١ .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

الفكري . وإجمالاً فإن اللغة الشعرية هي لغة مجازية وموسقة ومكثفة ومشحونة بالعاطفة (١) .

وفي اللغة العربية أثر من آثار الشعر ، وأنه تطور تمّ وقبلته النفس العربية لأنه يتصل بمركب نفسي فيها ، ولعل هذا هو الذي استولى على نفس السامع أو القارئ ، فعمل فيه عمل السحر . ولا غرابة في ذلك فللموسيقى قدر كبير من التأثير ، وخير مثال على ذلك قصيدة " للمرقش الأكبر " التي مطلعها :

سرى ليلاً خيالاً من سُلَيْمى فأرقني وأصحابي هُجُودُ (٢)

ومما لا شك فيه أن أبيات الشاعر تثير مشاعرنا ، وتأسر قلوبنا ، ولعل ذلك يعود إلى موسيقيتها التي ترجع إلى وحدة بحرهما واتحاد رويهما ، وخلوها من عيوب الوزن والقافية ، فضلاً عما تشتمل عليه من أحاسيس مرهفة ، وعواطف جياشة صاغها الشاعر بأسلوب فني جميل .

وقد أخذت هذه الألفاظ الجميلة السهلة العذبة مأخذها من الشعراء فيما بعد ، فهذا " عمر بن أبي ربيعة " قد أخذ عن الجاهليين بعض ألفاظهم وتعابيرهم ، بعد أن وجد أنها ملائمة ومعبرة عما يختلج في نفسه خير تعبير فضلاً عن أنها لم تكن غريبة على الأسماع أو مستكرهة ، علماً أن عمر قد استعمل ألفاظاً استقاها من مفردات الشعر الجاهلي واستعارها نصاً ، مثال ذلك :

قال عنتر بن شداد :

ولقد نزلت فلا تظني غيـرَـه مني بمنزلة المحبِّ المُكـرمِ (٣)

وقال عمر بن أبي ربيعة :

كي لا تشكَّ على التَّجَنُّبِ أنَّها عندي بمنزلة المُحِبِّ المُكـرمِ (٤)

(١) ينظر :

١- الأدب وفنونه ، دراسة نقدية ، الدكتور . عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٨ م ، ص ١٣٣ وما بعدها .

٢- تشريح النص (مقارنة تشريحية لنصوص شعرية معاصرة) ، عبد الله محمد الغدامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٦ م ، ص ١٤٢ .

(٢) ديوان المرقشين : ٥١ .

(٣) شرح ديوان عنتر بن شداد : ١٣١ .

(٤) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٣٢٨ .

وقال عنتره :

فإذا ظلمتُ فإنّ ظلمي باسـلـلٌ مرُّ مذاقته كطعمِ العلقـمِ (١)

وقال عمر :

ووجدتُ حوضَ الحُبِّ حينَ وردتهُ مرَّ المذاقة طعمُهُ كالعلقـمِ (٢)

وقال عنتره :

فبعثتُ جاريتي فقُلْتُ لها : اذهبي فتجسّسي أخبارَها لي واعلمي (٣)

وقال عمر :

فبعثتُ جاريتي فقُلْتُ لها : اذهبي فاشكي إليها ما علِمْتَ وسلّمي (٤)

فقد تحقق للشعر عنده كل ما يمكن من نقاء الألفاظ وجمال الأسلوب ، وكأنما وضعت اللغة بين يديه ليختار منها ما يريد من كلمات وقواف يختم بها هذه الكلمات .

وإذا ما بحثنا في لغة الغزل العذري وجدناها تمتاز بسهولة الألفاظ وبساطة التعبير ، فأنت تقرأ القصيدة فتفهمها من أول مرة دون الحاجة إلى أن تعود إلى معجم تبحث فيه عن معنى كلمة من الكلمات (٥) . وهذه البساطة تتعدى الألفاظ إلى التركيب فإذا بها تسائر سهولة الألفاظ بلا تكلف ولا التواء ، لا تلاحظ فيها مشقة في الصياغة أو تعسفاً في التأليف (٦) .

ويرى الدكتور " بهجت عبد الغفور الحديثي " أن الشعراء في العصر الأموي حاولوا تخطي القوالب القديمة الجاهزة وأن يلبسوها حلاً جديدة ، وهذا يؤكد أنهم متمسكون بالمعجم اللغوي الجاهلي ، ومع أنهم ألبسوا تلك القوالب القديمة شيئاً

(١) شرح ديوان عنتره بن شداد : ١٣٣ .

(٢) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٣٤٧ .

(٣) شرح ديوان عنتره بن شداد : ١٣٥ .

(٤) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٣٤٥ .

(٥) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٢٥٢ - ٢٥٦ .

(٦) ينظر :

١- دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي ، الدكتور . محمد عبد القادر أحمد ، مكتبة النهضة مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ص ٢٧ .

٢- تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وعصر بني أمية : ٣١٢ / ١ - ٣١٣ .

من تلك الحل الجديدة إلا أنهم لم يستطيعوا الخروج على المؤلف القديم من سلامة التعبير وصدق العاطفة ، ومن أناقة الأسلوب ، ورقة العبارة وسهولتها ولينها وحلاوتها والذي سار عليه الشعراء في كل العصور . وبهذا كان الشعر العذري امتداداً للشعر الأصيل الذي جمع بين بلاغة التعبير وجمالية الأسلوب وروعة الفن ^(١) . لقد اعتمد الشعراء العذريون في التعبير عما يعانون من أثر الحب على الألفاظ العاطفية القوية الإيحاء ، الانفعالية ، الشديدة التأثير ، وإذا ما تمعنا في شعرهم فإننا سوف نجد حشداً كبيراً من هذه الألفاظ .

ولعل الدكتور " عبد القادر القط " أهم النقاد الذين تناولوا الظاهرة العذرية من الوجهة الفنية ، لا سيما مسألة اللغة والأسلوب ، إذ يقول : (وقد قام الشعراء العذريون بدور كبير في تطوير المعجم الشعري . فقد جنحت التجربة العاطفية المجردة بهؤلاء الشعراء إلى الاعتماد على الألفاظ المعبرة عن المشاعر والانفعالات ، وبنوا عباراتهم على نحو بسيط واضح يعكس " بساطة " تجاربهم ووضوحها . فالتجربة العاطفية عند العذريين تجربة واضحة المعالم محددة الأبعاد لا تكاد تفترق كثيراً من شاعر إلى شاعر ... إن شعرهم ينبع من جيشان عاطفي متصل ، ويكاد يمضي في تيار واضح لا يكاد يحيد عنه أو يتفرع منه . ووسيلة تعبيره هي تلك الألفاظ المألوفة المشتركة بين الناس ، التي أكسبتها الحياة والممارسة قدرة على التأثير والإيحاء في مجال الحديث عن العواطف . ومن هنا استطاع هؤلاء الشعراء أن يقتربوا بشعرهم من " لغة الحياة " وأن ينأوا به عن تلك " الفحولة " المعهودة في معجم كبار الشعراء وأساليبهم ، وأن يخافتوا من إيقاعه فيقل فيه الصخب الذي ألفناه في شعر هؤلاء الكبار . ونحن نقرأ هذا الشعر اليوم فلا نكاد نحس فروقاً تذكر بين لغته وبناء عبارته ، وما يروى في كتب الأدب والتاريخ من نثر ذلك العصر . ولا نعني بهذا أنه شعر يفتقد طابع الفن ، ولكننا نريد أن نؤكد اقترابه من تلك اللغة التي أخذت تتضح خصائصها بالتدريج في ظل المجتمع الإسلامي حتى اكتملت لها صورتها المستقلة كما نعهد لها فيما تنقله الكتب من أحاديث الناس ومحاوراتهم وقصصهم وأسمارهم ، وفيما يكتب به المؤرخون والأدباء والمؤلفون ، من أساليب .

والحق أن هذا الدور الذي قام به هؤلاء الشعراء في مجال التطور اللغوي لم يكن طفرة غير مسبوقة ، وأن اللغة العربية في العصر الجاهلي لم تكن كلها – في ألفاظها وأساليبها – على هذا النحو الذي نصادفه في كثير من القصائد الطوال . من

(١) ينظر : دراسات نقدية في الشعر العربي : ٢٩٣ – ٢٩٤ .

استعمال لما اصطُح على تسميته " بالغريب " ، ومن بناء خاص للعبارة يحقق لها من شدة التلاحم وحدة الإيقاع ما اصطُح على تسميته " بالجزالة " . فهناك كثير من المقطوعات ، وكثير من أجزاء القصائد الطوال تقترب إلى حد كبير من اللغة العربية الإسلامية في ألفاظها وأساليبها ، وهناك من الشعر العاطفي ما لا نكاد نفرق بينه وبين شعر العذريين في العصر الأموي . ونكتفي من ذلك بنموذج من شعر أحد الشعراء الجاهليين ، يشبه إلى حد بعيد شعر العذريين حتى لقد نسبت بعض أبياته إليهم . ذلك هو " قيس بن الحُدادية " الذي رحلت صاحبه إلى الشام ومصر فراراً من القحط فقال بعد رحيلها :

سقى الله أطلالاً بنعمٍ ترادفت	بهن النوى حتى حللن المطالبا
فإن كانت الأيام يا أمَّ مالك	تسليكم عني وتُرْضي الأعاديا
وبُدلت من جدواكِ يا أمَّ مالك	طوارق همَّ يحتضرن وساديا
فيومايَّ يومٍ في الحديد مُسربلا	ويوم مع البيض الأوانس لاهيا
فلا مدركاً حظاً لدى أمَّ مالك	ولا مستريحاً في الحياة فقاضيا
خليليَّ أن دارت على أمَّ مالك	صُروفُ الليالي فابعثا لي ناعيا
ولا تتركاني لا لخيرٍ معجَّل	ولا لبقاءٍ تنظران بقائيا
فليت المنايا صَبَّحتي غُدِيَّة	بذبح ولم أسمع لبينٍ مناديا
نظرتُ ودوني يذبلُ وعمايَّة	إلى آل نَعَمٍ منظرًا مُتَنائيا
شكوتُ إلى الرحمن بُعد مزارها	وما حَمَلتني وانقطاع رجائيا
وقلتُ ولم أملكُ أعمرُ بن عامر	لحتفٍ بذات الرِّقمتين يرى ليا
وقد أيقنتُ نفسي عشيةً فارَقوا	بأسفل وادي الدَّوح أن لا تلاقيا
إذا ما طواكِ الدهرُ يا أمَّ مالك	فشأنُ المنايا القاضياتِ وشانِيا ^(١)

ويعلق " أبو عمرو بن العلاء " على تلك القصيدة التي اخترناها بقوله : (وقد أدخل الناس أبياتاً من هذه القصيدة في شعر المجنون)^(٢) والحق أن البيتين الثامن

(١) الأغاني : ٣٥٧ / ١٤ - ٣٥٨ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٥٨ / ١٤ .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

والأخير من هذه القصيدة يردان أيضاً في يائية المجنون الطويلة المعروفة (١) . وسواء صحت نسبة الأبيات إلى ابن الحُدادية أم إلى المجنون ، فإن ذلك يدل على أن رواة الشعر في ذلك العصر قد وجدوا تشابهاً واضحاً بين لغتي الشاعرين وأسلوبهما . لكن مثل هذه القصائد تظل أعمالاً مفردة لا تتخذ شكل الظاهرة كما اتخذها شعر العذريين (٢) . هكذا يجمل الدكتور " عبد القادر القط " خصائص اللغة والأسلوب في الغزل العذري حسب ما سمحت به طبيعة دراسته ...

ونجد الدكتور " صلاح الدين الهادي " يذهب إلى مثل هذه الملاحظات فيما يخص لغة الغزل العذري والأسلوب ، بيد أن هذا الباحث أو المؤرخ الأدبي قد أخذ رأي الدكتور " عبد القادر القط " في هذه المسألة بنوع من التصرف من غير أن يشير إلى ذلك (٣) .

ويكاد الدكتور " يوسف اليوسف " يتفق مع ما ذهب إليه الدكتور " عبد القادر القط " من رصد خصائص اللغة والأسلوب في الشعر العذري لولا أنه علل هذه الخصائص بالظرف الاجتماعي الصعب الذي عاشه الشعراء العذريون (٤) .

وتجدر الإشارة إلى أن الدكتور " يوسف اليوسف " لم يكتفِ بوصف الخصائص الفنية التي تميز بها كل من اللغة والأسلوب في الغزل العذري ، ولكنه مضى معللاً طبيعة الشعر العذري الفنية حيث رأى أن الشاعر العذري صاحب قضية ملحة في شعره ومن ثم جاء شعره في خدمة هذه القضية لا في خدمة الشعر من حيث هو فن ، على أن هذا جانب مهم من التعليل وليس التعليل كله .

وللدكتور " شكري فيصل " رأي في هذه المسألة ، يقترب كثيراً من آراء الدكتور " عبد القادر القط " والدكتور " يوسف اليوسف " ومن هنا نحوهما في هذه القضية إذ يرى أن البراعة الفنية لم تكن عند الشعراء العذريين في أساليبهم البيانية ، وإنما كانت قبل كل شيء وأكثر كل شيء في تعرفهم لسرائر النفوس وفي عرضهم لها عرضاً ساذجاً يسيراً .. (٥) . وذهب إلى أن صلة القارئ بالشعر

(١) ينظر : ديوان مجنون ليلى : ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) في الشعر الإسلامي والأموي : ١٤١ - ١٤٣ .

(٣) ينظر : اتجاهات الشعر في العصر الأموي : ٤٩١ - ٤٩٢ .

(٤) ينظر : الغزل العذري دراسة في الحب المقموع : ١٢٨ - ١٢٩ .

(٥) ينظر : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : ٢٨٨ .

العذري ، إنما هي صلة عاطفية مجردة عن التزويق الفني أو التزويق العقلي على السواء (١) .

ويكاد الدكتور " خريستو نجم " يخالف في بعض ملاحظاته ما استعرضنا من ملاحظات الناقدين ، الدكتور " عبد القادر القط " ، والدكتور " يوسف اليوسف " ، ويتفق معهما في البعض الآخر ، وذلك في سياق دراسته لشعر جميل بثينة ، فقد خالفهما في رأيه أن جميلاً هو سليل مدرسة الصنعة في الشعر الجاهلي والإسلامي المتمثلة في زهير بن أبي سلمى وابنه كعب والحطيئة الذين أطلق عليهم اسم " عبيد الشعر " نظراً لما يبذلونه من جهد كبير في صياغته ، ولتنقيحهم إياه ، ولما كانوا يتأنون في صناعته وإخراجه حتى لقد سميت قصائد زهير بن أبي سلمى بـ " الحوليات " (٢) ، وقد انطلق الباحث من حقيقة تاريخية أدبية ، مفادها :

(وجميل شاعر فصيح مقدم جامع للشعر والرواية ، كان رواية هُدبة بن خشرم ، وكان هُدبة شاعراً رواية للحطيئة ، وكان الحطيئة شاعراً رواية لزهير وابنه . وقال أبو ملحم : آخر من اجتمع له الشعر والرواية كثير ، وكان رواية جميل ، وجميل رواية هُدبة ، وهُدبة رواية الحطيئة ، والحطيئة رواية زهير) (٣) .

لقد زعم الدكتور " خريستو نجم " أن ثمة أثراً لهذه المدرسة ... (٤) بيد أن هذا الأثر على ما يرى الباحث لا ينسجم مع ما ذهب إليه النقاد من سهولة وتلقائية وقوة طبع في الشعر العذري ، والباحث لا يوافق الدكتور " خريستو نجم " في قضية وجود أثر ملموس لمدرسة الصنعة في الشعر العذري ، لقد كان الشعر العذري سهلاً تلقائياً قوي التأثير ، قليل الاهتمام بالصنعة ، بعيداً عن الابتذال والسطحية ، والمعروف أن السهولة والتلقائية وقلة الاهتمام بالصنعة ، أمور لا تتسجم مع شعر مدرسة الصنعة كما وصفه بعض النقاد .

ويكشف لنا " عباس محمود العقاد " عن سمة فنية أخرى في الشعر العذري ، ألا وهي الفطرة في التعبير إذ يقول : وحقيقة الرأي الذي يدل على شاعرية الشاعر العذري فيما نعتقد أن الشاعر يجمع بين البلاغة والسهولة ، ويرتقي في الصناعة الشعرية مرتقى لا يعلو عليه شاعر من أبناء عصره وهم على الإجمال فطريون في

(١) ينظر : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : ٢٨٨ .

(٢) ينظر : العمدة : ١ / ١٣٦ - ١٤٠ .

(٣) الأغاني : ٨ / ٢٨٩ .

(٤) ينظر : جميل بثينة والحب العذري ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٢ م ، ص ١٨١ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ - ٢٤٢ ، ٢٥١ . والفن ومذاهبه في الشعر العربي ، الدكتور . شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة العاشرة ، ص ٢٤ وما بعدها .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

هذه الصناعة لهم مزايا الفطرة وعيوبها في آن واحد ولا سيما العيوب التي لها اتصال بكل صناعة من الصناعات (١) .

على أن مزايا الفطرة عند " العقاد " تتجسد في الصدق والبساطة وقرب الأداء ، أما عيوبها فهي النقص والسذاجة وقلة الإتقان (٢) .

ويرى الدكتور " زكي مبارك " (أن الشعراء العشاق قد أدوا إلى اللغة العربية جميلاً يفوق كل جميل ، فهي مدينة بوجودها الأدبي إلى أقباس أرواحهم ، وهم الذين رفعوا راياتها في المشرق والمغرب فما تسمو لغة على لغة إلا بقوة الإفصاح عن سرائر الوجدانية) (٣) .

وهذا الرأي – على ما فيه من احتفالية وانفعالية لا تنسجمان مع روح النقد – يقع ضمن دائرة اللغة الوجدانية التي تمتع بها الغزل العذري والتي طالما نوه إليها النقاد . فكان هؤلاء الشعراء العشاق في رأي الدكتور " زكي مبارك " خدموا اللغة أكثر مما خدمتهم ، وكان أشعارهم لم تُصنع من اللغة بقولها الجاهزة ولكنهم صنعوا لغتهم بأنفسهم من اللغة العامة وحملوها دلالات وإحياءات وإشاعات لم تكن فيها من قبل ، ولا ريب فالشعر كما قيل (لغة من خلال لغة) (٤) فضلاً عن أن لغة الغزل العذري تنزع منزعاً انفعالياً مشبعاً بالداخلية (٥) . وليس له مثيل في الشعر الجاهلي الذي يتأسس على الدرامية إلى حد ما ، والذي يمتلئ بالخارجية إلى حد بعيد (٦) . وهذا الرأي يميل إلى أن الشاعر خدم اللغة أكثر مما خدمته .

ويذهب الدكتور " حسين نصار " معزراً ما قدمه الباحث من ملاحظات فيما يخص اللغة والأسلوب في الغزل العذري إلى القول : (والحق أن شعر العذريين جميعاً تلقائي يتسم بالصدق والحرارة والبساطة والتعبير المباشر ، عما يجد الشاعر ولم يكن الشاعر يعكف على نفسه ليستخرج أحسن ما عندها أو يجهد ذهنه ليبلغ أغواره أو يستبطن مشاعره ليرويها في صورة كاملة خالدة ، فإذا كان شعرهم قد عاش فلما يحمله من مشاعر إنسانية لا لما يبرزه من خصائص فنية) (٧) .

(١) ينظر : جميل بثينة : ٩٨ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٩٩ .

(٣) العشاق الثلاثة : ٥ .

(٤) الأدب وفنونه دراسة نقدية : ١٣٠ .

(٥) ينظر : الغزل العذري دراسة في الحب المقموع : ١٢٩ .

(٦) ينظر : المصدر نفسه .

(٧) قيس ولبنى (شعر ودراسة) : ٥١ .

أما ملاحظات الدكتور " الطاهر لبيب " فيما يخص اللغة والأسلوب في الشعر العذري ، فقد ربط الباحث ربطاً وثيقاً مباشراً بين المستوى الفني للشعر العذري ، والنظام الاجتماعي الذي عاش في ظله العذريون منطلقاً من منهجه البنيوي التكويني الذي يقوم على أساس الموازنة بين الوضع الاجتماعي والاقتصادي والوضع الأدبي (١) .

ومن خصائص الأسلوب أنه يتميز بالرقّة والعذوبة والطلاوة ، وتخير الكلمات الغنية بالعاطفة المثيرة للذكريات ، لأن الغزل ترجمان عن عاطفة الحب ونابع منها ، وهي لا يلائمها إلا هذا الضرب من المقال ... (٢) .

كان الشعراء صادقين في شعورهم ، فصدقوا في تعبيرهم عن عواطفهم ومشاعرهم . ومن هنا اتسمت المعاني بالأصالة وبالصدق ، وصار الغزل الجاهلي يمثل الطبع العربي والبيئة العربية ... وقد سبقت أمثلة شتى دلت على أصالته ، كوصف جمال المحبوبة وتجميلها ونفسيته وأخلاقها ، وكوقوفهم على الأطلال ، وحرصهم على ذكر الأماكن وترديد أسمائها ، واستمدادهم الصور من البيئة في ذلك كله .

وتبين أن الغزل العذري وليد عاطفة حادة تغلب فيها الروحانية نزوات الجسد ، وأن شعراءه أحسنوا تصوير مشاعرهم في صدق وقلة مغالاة . وهذه الصفات هي التي كفلت له أن يتخطى الأحقاب ، ويغالب عوادي الإغفال والنسيان ، فبقي خالداً يروى ويدرس ويحاكي ويبعث الإعجاب . وهل أدل على حيويته وقوته من بقاءه قوي التأثير في الشعر الإسلامي والأموي والعباسي والمعاصر ؟ ... (٣) .

ويقول " الدس هكسلي " : (ليس معنى ضعف الشخص عن التعبير أنه ضعيف المشاعر فاتر العاطفة ، لأن القدرة على التعبير الرائع هبة لم يمنحها الخالق إلا لفئة نادرة من الناس ، ومن المؤكد أن عدد المعبرين أقل من عدد المحبين) (٤) .

(١) ينظر : سوسيولوجيا الغزل العربي : ١٧٣ - ١٨١ .

(٢) ينظر : الغزل في العصر الجاهلي : ٤٠٣ - ٣٠٩ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٤١٠ . وما بعدها .

(٤) المصدر نفسه : ٤٢٠ .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

ولا ريب في أن الشعر العذري شعرٌ عذبٌ سهلٌ محبوبٌ إلى النفس الإنسانية لأنه في الواقع يمثل النزوع الموجود في كل نفس إلى الحياة الطبيعية في البشر ... إن الحنين الشعري عند هؤلاء العذريين كان تعويضاً نفسياً لهم عما فقدوه من قدرة الشعراء المغامرين على التمتع بالحياة الطبيعية تمتعاً تاماً كاملاً . والمبالغة في الحب العذري أدت إلى ظهور الشعراء المجانين ، أولئك الشعراء الذين ذهبوا عقولهم في تلك الأوهام التي كانوا يُشبهونها لأنفسهم في خيالهم . ومع أن شعر الشعراء المجانين غير ثابت على القطع لشعرائه ، فإن هذه الطبقة من الشعراء كانت موجودة وكان لها شعر يبدو أن بعضه اختلط ببعض (١) .

وهكذا يمكننا القول إن أسلوب الغزل العذري يمتاز بالميزات الآتية :

- ◆ بساطة المعاني ومباشرتها وعدم الغموض والتعمق فيها .
- ◆ التركيز على التعبير عن العاطفة التي تجيش بها نفس الشاعر العذري .
- ◆ غلبة روح الصدق على الشاعر العذري .
- ◆ سهولة الأسلوب والمباشرة وبساطة العرض عند شاعر الغزل العذري .

(١) ينظر : تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) : ٣٦٨ .

المبحث الثاني

الصورة الشعرية

الصورة الشعرية :

من خلال البحث والاستقصاء في المظان اللغوية القديمة نقف على اشتقاقات كثيرة لمادة " صور " ، ومنها ما نقل عن ابن الأثير إذ قال : (الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته . يقال : صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته) (١) .

ولنا أن نلمس في هذا الكلام التركيز على الجانب الحسي للصورة وذلك من خلال كلمة " هيئة " ، والجانب المعنوي من خلال كلمة " صفة " (٢) .

وقضية التصوير في الشعر طال أمامها وقوف النقاد قديماً (٣) وحديثاً (٤) لأنها تشكل عصب الشعر من غير أن تستغني عن العناصر الأخرى ، وهناك من ذهب إلى أن ركني الشعر هما : التصوير والموسيقى (٥) .

(١) لسان العرب ، وتاج العروس : مادة : (صور) .

(٢) ينظر : الصورة الشعرية في الغزل العذري : ١٤ - ٢٢ .

(٣) ينظر :

١- كتاب الحيوان ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٠ هـ) ، وضع حواشيه : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، ج ٣ / ص ٦٧ .

٢- نقد الشعر : لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) : ١٩ .

٣- الصناعتين ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

٤- العمدية : لابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) : ١ / ٢٨٩ .

٥- دلائل الإعجاز : لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) : ١٠٨ .

٦- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لأبي الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب الخوجه ، طبع في معامل المطبعة الرسمية لجمهورية تونس ، ١٩٦٦ م ، ص ١٢٠ .

(٤) ينظر على سبيل المثال لا الحصر والاستقصاء :

١- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، الدكتور . جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢ م ، ص ٢٧٢ .

٢- الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها ، الدكتور . علي البطل ، ص ١٠٧ . وما بعدها .

٣- صورة المرأة في الشعر الأموي ، الدكتور . أميل نصر ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ م .

(٥) ينظر : موسيقى الشعر ، الدكتور . إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٨ م ، ص ١٤ . والبناء الفني لشعر الحب العذري في العصر الأموي : ١٩٥ - ١٩٦ .

ويتصور البحث أن الركن الأساس في الشعر هو التصوير ، لأننا إذا أمعنا النظر في الأركان الأخرى كالبناء واللغة والأسلوب والموسيقى نجد أن من الممكن أن يأتي بها الشاعر بكل سهولة ، غير أنه لا يستطيع كل شاعر أن يأتي بـ " الصورة الشعرية " لأنه أمر مرده إلى الفطرة في انتقاء الألفاظ والتعبير التي من خلالها نستطيع الحصول على الصورة الشعرية المطلوبة .

ونعني بالتصوير هنا خلق الصورة الفنية من اللغة عن طريق الخيال في سبيل ترجمة العواطف والانفعالات ، لأن الصورة الشعرية عادة مرتبطة بالعاطفة ، فقد قيل : إن الصورة من دون عاطفة فارغة والعاطفة من دون صورة عمياء (١) .

والتصوير هو طريقة غير مباشرة في التعبير في سبيل إيقاظ النفس وتهيج العاطفة لدى المتلقي أي بهدف التأثير (٢) . ومن مفاهيم الصورة أنها كشف نفسي بمساعدة شيء آخر (٣) ، وهي الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة (٤) .

والغالب على طبيعة الصورة أنها شيء حسي ملموس مُعبر عنه باللغة ، بمعنى أنها تقدم الفكرة في شيء محسوس ، ومن هنا سميت بهذا الاسم (٥) . وليست الصورة كما يظن البعض تقنية معينة أو إكليشة جاهزة ولكنها تتبع أولاً أولاً من أعماق النفس (٦) ومن هنا يرى الباحث أن الصور المبتكرة خير في الشعر من الصور التقليدية المستهلكة ، فليس ثمة صور جاهزة تناسب كل التجارب ، وتنقل كل العواطف ، وتوحي بكل المواقف ، فالصورة لا تسبق العاطفة وإنما هو العكس ، كما لا يدخل في إطار الصورة الأصلية المعبرة تلك المقارنات الشكلية السطحية بين المحسوسات بمنأى عن العاطفة والعلاقة الوجدانية بين المتشابهات ، ولكن كلما بعدت العلاقة بين الواقعتين المتشابهتين كانت الصورة

(١) ينظر : البناء الفني لشعر الحب العذري في العصر الأموي : ٢١٩ .

(٢) ينظر : أصول النقد الأدبي ، الدكتور . أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة - مصر ، ١٩٧٣ م ، ص ٢٤٢ .

(٣) ينظر : التفسير النفسي للأدب ، الدكتور . عز الدين إسماعيل ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، ١٩٦٣ م ، ودار العودة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١ ، ص ٩٦ .

(٤) ينظر : النقد الأدبي الحديث : ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٥) ينظر : الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، الولي محمد ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ م ، ص ٢١ .

(٦) ينظر : التفسير النفسي للأدب : ٧٢ .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

قوية وقادرة على الإثارة^(١) ، إن هذه العلاقة موجودة في نفس الشاعر أكثر مما هي موجودة في الواقع^(٢) .

وتتلخص وظيفة الصورة في : التأثير في المتلقي والتعبير عن العاطفة أو الإيحاء بها ، وفي توضيح الفكرة ، والمبالغة الفنية المعبرة والتجسيم والتشخيص والإمتاع وجمال الأسلوب والإيجاز^(٣) .

لقد توسع بعض النقاد في مفهوم الصورة بحيث جعلها تشمل كل عناصر الشعر من لغة وموسيقى وغير ذلك ، ولم يقصروها على الأساليب البيانية من استعارة وكناية وتشبيه ومجاز وعدوا الأساليب التقريرية المباشرة صوراً شعرية^(٤) .

ويميل الباحث إلى أن الصورة ينبغي أن تنفتح على التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز ، ولا ينهض التصوير وحده في ساحة الشعر ، إذا لم تتضافر معه تضافراً عضوياً سائر العناصر الفنية الأخرى من موسيقى ، ومعجم ومعانٍ وعاطفة وتراكيب^(٥) .

وليس التصوير مقصوراً على الشعر فحسب ، فهو موجود كذلك في النثر ولعل الفرق بين وجوده في الشعر ووجوده في النثر يكمن في وظيفته في كل منهما فهو في الشعر إجمالاً يميل إلى الإيحاء والتأثير وفي النثر كثيراً ما يكون من أجل التوضيح والتفصيل والتوصيل^(٦) .

(١) ينظر : الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي : ١٦ .

(٢) ينظر : الشعر العربي المعاصر (قضايا وظواهره الفنية) ، الدكتور . عز الدين إسماعيل ، دار العودة ، ودار الثقافة ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨١ م ، ص ١٢٧ .

(٣) ينظر : الصورة الفنية في الشعر العربي (مثال ونقد) ، إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم ، الشركة العربية ، القاهرة - مصر ، ١٩٩٦ م ، ص ١٨ . وما بعدها .

(٤) ينظر :

١- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، الدكتور . عبد القادر القط ، دار النهضة العربية ، بيروت - لبنان ، ١٩٨١ م ، ص ٤٣٥ .

٢- الصورة الأدبية في الشعر الأموي : ٤ وما بعدها .

(٥) ينظر : نقد الغزل العذري في العصر الأموي قديماً وحديثاً : ١٦٥ - ١٦٦ .

(٦) ينظر : المصدر نفسه : ١٦٦ .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

أما في العصر الحديث فقد أهتم النقاد بالصورة الشعرية وأولوها جانباً كبيراً من عنايتهم ، لأنها ركن أساس ، وعنصر مهم من عناصر العمل الأدبي وإن اختلفت الآراء حول تحديد مفهوم هذه الصورة ودلالاتها النقدية (١) .

وقد ذهب الدكتور " أحمد الشايب " إلى أن النثر بكل أنواعه لا يستغني عن التصوير (٢) .

لكنه يرى أن الصورة الشعرية ترجع في أساسها إلى ركنين أساسيين هما الخيال ، والعبارة الموسيقية ، والمقصود بالخيال التشبيه ، والاستعارة ، والمجاز ، والطباق ، والجناس ، وغير ذلك من الفنون البلاغية الأخرى ، أما العبارة فتعني جزالة الكلمة وسلامتها من العيوب البلاغية والنحوية (٣) . فالصورة الشعرية عنده لها معنيان : الأول ، ما يقابل المادة الأدبية ويظهر في الخيال والعبارة ، والثاني ، ما يقابل الأسلوب ويتحقق بالوحدة وهي تقوم على الكمال والتأليف والتناسب (٤) أما أما مقياسها فهو قدرتها على نقل الفكرة والعاطفة بأمانة ودقة (٥) .

نستشف مما تقدم أن الدكتور أحمد الشايب يرى أن قوة الصورة الشعرية تكمن في قدرتها على كشف الحالة الشعورية الداخلية لدى الشاعر ، فهي تعبير غير مباشر عن شخصية الشاعر بكل أبعادها النفسية والفكرية .

أما " روز غريب " فإنها تقترب كثيراً من " سي دي لويس " الذي سنذكره بل أنها تكاد تستنسخ تعريفه بقولها : (هي لوحة مؤلفة من كلمات) (٦) .

أما الدكتور " مصطفى ناصف " فإنه يضع تعريفاً للصورة الأدبية ، فيقول : (إن الصورة الأدبية مرتبطة بالمعاني اللغوية للألفاظ وبجرسها الموسيقي ، ومعانيها المجازية ، وحسن تأليفها معاً ، بحيث يكون من ذلك تأثيران ، أحدهما معنوي عاطفي ، والثاني موسيقي يعين في قوة العاطفة ، وسرعة تأثيرها وهذا ما يسمى جمال الأسلوب) (٧) .

(١) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٢٧٠ .

(٢) ينظر : الأسلوب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٩٩٧ م ، ص ٦٨ .

(٣) ينظر : أصول النقد الأدبي : ٢٤٩ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٢٥٩ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٦) تمهيد في النقد الأدبي ، دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٧١ م ، ص ١٩١ .

(٧) الصورة الأدبية ، دار مصر للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م ، ص ٢٤٤ .

ومن الذين تحدثوا أيضاً عن الصورة الشعرية الدكتور " عبد القادر القط " إذ يقول : (وقد نتج عن تلك البساطة وهذا الوضوح - اللغويين - أو صاحبهما - ببساطة ووضوح في الصورة الشعرية ذاتها . فالشاعر يعبر - في الأغلب - تعبيراً تلقائياً بلا محاولة للإبداع أو " التقنن " معتمداً على حرارة العاطفة وإحياء الألفاظ المرتبطة بالمشاعر والانفعالات) (١) .

ويرى الدكتور " عبد القادر القط " أن الشعراء العذريين ليسوا (من ذوي الخيال المحلق ، ولا من القادرين على ابتداع الصورة الشعرية المركبة أو ابتعاث كل كوامن اللغة وطاقتها ، لكن فطرتهم الشعرية وعواطفهم الصادقة كانت تهديهم في كثير من الأحيان إلى صور تحمل كثيراً من الحس المرهف أو الرقة البالغة أو البصيرة النافذة ، وكأنها ومضات تنقذ في خاطر الشاعر ثم تشرق في بيت أو بيتين أو بضعة أبيات ثم يعود الشاعر بعدها إلى مستواه المألوف وصوره التي لا يفتأ قارئ هذا الشعر يصادفها في قصيدة أو أخرى) (٢) .

أما الدكتور " يوسف اليوسف " فيرى فيما يخص المجازات (إن التقليد العذري الذي لا يبالغ في الاهتمام بمجازية اللغة ، وذلك لأن الشعر ، وفقاً لهذا التقليد ، يغدو شعراً بفرط حساسيته وشفافيته وجدانه ، لا بشحنته المجازية وطاقته التصويرية . ومرد هذه السمة إلى أن الوجدان من الثقل والزخم بحيث لا يحتاج إلى الخيال كيما يفيض محتوياته) (٣) .

أما في النقد الغربي فيرى " فان " van أنها (كلام مشحون شحناً قوياً ، يتألف عادة من عناصر محسوسة : خطوط ، ألوان ، حركة ، ظلال ، تحمل في تضاعيفها فكرة وعاطفة ، أي أنها توحي بأكثر من المعنى الظاهر ، وأكثر من انعكاس الواقع الخارجي وتؤلف في مجموعها كلاماً منسجماً) (٤) .

أما " سي دي لويس " فيعرف الصورة الشعرية بقوله : (إنها رسم قوامه الكلمات) (٥) . أو (هي صورة حسية في الكلمات) (٦) . إن مصطلح الصورة في

(١) في الشعر الإسلامي والأموي : ١٤٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١٦٤ .

(٣) الغزل العذري دراسة في الحب المقموع : ١٢٣ .

(٤) تمهيد في النقد الأدبي : ١٩٢ .

(٥) الصورة الشعرية ، ترجمة : الدكتور . أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن إبراهيم ، مراجعة : الدكتور . عناد غزوان ، وزارة الثقافة والأعلام العراقية ، ١٩٨٢ م ، ص ٢١ .

(٦) المصدر نفسه : ٢٦ .

في النقد الغربي ولا سيما الانكليزي ، له دلالات مختلفة ومتباينة بين النقاد والدارسين المحدثين ، واختلاف دلالات هذا المصطلح تمثل المراحل الاصطلاحية النقدية التي مر بها قبل استقراره في الدرس النقدي الحديث ^(١) . والذي يعني التفاعل المتبادل بين الفكرة والرؤية والحواس الإنسانية الأخرى من خلال قدرة الشاعر في التعبير عن ذلك التفاعل بلغة شعرية مستندة إلى طاقة اللغة الانفعالية بمجازاتها واستعاراتها وتشبيهاتها في خلق الاستجابة والإحساس بذلك التفاعل عند المتلقي سواء أكانت الاستجابة حسية بصرية أم معنوية تجريدية ^(٢) .

وعلى هذا الأساس يرسم الشاعر صورته التي تمثل تجاربه في الحياة بواسطة الخيال الذي يخلق به حول الظاهرة التي يريد أن يرسمها في شعره . أي أن الشاعر حينما تؤثر فيه ظاهرة معينة ينفع معها فيتصورها في رؤياه الشاعرة ، وبهذا سوف تتوارد عليه جملة من المعاني فيحصرها في فكرة ويخطر على قلبه حتى تكتمل الصورة في ذهنه ، عندئذ يعبر عنها بصياغة شعرية مزدوجة بعواطفه وأحاسيسه ، حتى تخرج صورة معبرة ومؤثرة في متلقيه ، ومحركة لمشاعرهم (لأن العاطفة دون الصورة تبقى عمياء ، والصورة دون العاطفة يابسة جامدة فارغة) ^(٣) . ويبتغي الشاعر أن تكون صورته الشعرية قوية ليتمكن من إثارة عواطفنا ، غير أن هذا لا يتحقق إلا بامتلاك الشاعر قوة تخيلية نشطة ، تقوى الصورة بقوتها ، وتضمحل وتضعف باضمحلالها . فالخيال (هو الملكة التي تخلق وتثبت الصور الشعرية) ^(٤) كما يقول سي دي لويس .

ومن خلال استقراءنا للشعر العربي وجدنا أن القيم الفنية الموروثة عن الجاهليين بقيت تحتل مساحة واسعة في أذهان الشعراء ، لا سيما الشعراء المخضرمون الذين عاشوا رداً من حياتهم في عصر ما قبل الإسلام ، وامتد بهم العمر حتى شهدوا العصر الإسلامي بواقعه الجديد الذي يختلف عن واقع المجتمع الجاهلي . وهذا يعني أن مخيلة الشعراء قد تشبثت بهذا الموروث الشعري – لا سيما الشعر الذي يتناول المرأة – مضموناً وصوراً فنية .

(١) ينظر : الصورة في القصيدة العراقية الحديثة ، الدكتور . عناد غزوان ، مجلة الأقاليم ، السنة ٢٢ ، العدد ١١ – ١٢ ، ١٩٨٧ م ، ص ٨٥ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٨٦ .

(٣) النقد الجمالي ، اندريه ريشار ، ترجمة : هنري زغيب ، منشورات عويدات ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤ م ، ص ١٨٩ .

(٤) الصورة الشعرية : ٧٣ .

لقد احتفظت هذه الصورة بلامحها الجاهلية القديمة بناءً ومدلولاً .
فالتشبيهات الكثيرة ، وإضفاء القيم الجمالية على المرأة لدى شعراء صدر الإسلام
والعصر الأموي بقيت كما كانت عند شعراء العصر الجاهلي . فهي محاكاة لها ،
ومن قبيل هذه التشبيهات ما ملأ صفحات كتب الأدب العربي والكتب البلاغية ، ولا
يهمنا هنا ما قال هؤلاء الشعراء ، بقدر ما يهمنا ما قال الشعراء المتميمون في العصر
الجاهلي من الشعر كانت فيه الصورة الشعرية قوية ومؤثرة وواضحة التأثير في
الشعراء فيما بعد .

♦ الصورة التشبيهية :

ومن هذه التشبيهات ما نجده عند " المرقش الأكبر " إذ يقول :

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَّا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْبَنَانِ عَنَمٌ^(١)

وهو من الأبيات التي يستشهد بها البلاغيون^(٢) ، وفيه يشبه الشاعر النشر ،
بالمسك ، والوجوه بالدنانير ، والأنامل المخضوبة بالعنم ، والعنم : شجر له ثمر
أحمر ، شبه حمرة أطراف أصابع صاحبه به .

ولننظر معاً إلى الغزل العفيف ، غزل الحب الصادق المتجلي في كل قصيدة
عنترية ، والشاعر فيه يجمع المحاسن كلها في حبيبته :

كَأَنَّ فُؤَادِي يَوْمَ قَمْتُ مَوْدَعاً عُبَيْلَةَ مَنِّي هَارِبٌ يَتَمَعَّجُ^(٣)

وكان الشاعر يتلوى وينثني ، كتمعج الحية ، لوداع محبوبته عبيلة ، وهذا
التشبيه غاية في الروعة لما فيه من صورة شعرية عفوية بسيطة لا تميل إلى التعقيد
والمبالغة .

وكذلك نجد عند عنترية تشبيهات رائعة تتم عن صورٍ لافتة للنظر ، إذ يقول :

لَعُوبٌ بِالْبَابِ الرَّجَالِ كَأَنَّهَا إِذَا أُسْفِرَتْ بَدْرٌ بَدَا فِي الْمَحَاشِدِ

شَكَتْ سَقَمًا كَيْمَا تَعَادُ وَمَا بَهَا سَوَى فِتْرَةِ الْعَيْنَيْنِ سَقَمٌ لِعَائِدِ

(١) ديوان المرقشين : ٦٨ .

(٢) ينظر : البلاغة الواضحة ، علي الجارم ، و مصطفى أمين ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،
بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦ هـ - ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م ، ص ٢١ .

(٣) شرح ديوان عنترية بن شداد : ٢٧ .

من البيض لا تلقاك إلا مصونة وتمشي كغصن البان بين الولايد
 كأن الثريا حين لاحت عشيّة على نحرها منظومة في القلايد
 منعمة الأطراف خود كأنها هلال على غصن من البان مائد^(١)

ففي هذه الأبيات نرى من التشبيهات الجميلة العذبة الصادقة العفوية البعيدة عن الغرابة والتكلف ما لم نره عند كثير من الشعراء الآخرين في عصر هذا الشاعر الوجداني .

ومثل هذا النشاط التصويري قد لازم الشاعر العذري في أكثر صوره الشعرية أو لوحاته الفنية ، فهو ينتقي الألفاظ الأكثر دقة ودلالة ، المعبرة عما في خاطره من أحاسيس ومشاعر في رسم لوحاته الفنية .

ونعود مرة أخرى إلى " المرقش الأكبر " وهو يصف لنا الخد الأسيل في صورة رائعة ، والأسيل في اللغة الأملس المستوي الطويل المسترسل^(٢) وهو بشكله هذا متسق مع الجمال العام ، يقول :

ورُبَّ أسيلة الخدين بكرٍ مُنْعَمَةٍ لها فرغٌ وجيـدٌ^(٣)

أما " عنتره " فيشبه ريقها بالخمرة الممزوجة بالعسل ، يقول :

وبين ثناياها إذا ما تبسّمت مديراً مدام يمزجُ الرَّاح بالشَّهد^(٤)

ويصف لنا " المرقش الأكبر " العنق والنحر واتساق قوامها ، وأن يكون سهل المشي والانعطاف ، إذ يقول :

نواعم أبكار سرائر بُدُن حسان الوجوه لينات السوالف^(٥)

أما لون الشعر الذي يوائم البشرة البيضاء والعين السوداء والثنايا البيض ، فلا شك أنه اللون الأسود وحده . ومن تمام الانسجام أن يكون هذا الشعر الأسود طويلاً متسقاً مع القوام الفارع ، والقدر الأهيف ، والجيد التالع . وكذلك كانت المرأة

(١) شرح ديوان عنتره بن شداد : ٥٠ .

(٢) ينظر : القاموس المحيط : مادة : (أسل) .

(٣) ديوان المرقشين : ٥٢ .

(٤) شرح ديوان عنتره بن شداد : ٤٣ .

(٥) ديوان المرقشين : ٥٩ .

وكان ذوق الرجل . قال " المرقش الأصغر " إن شعرها أسود فاحم طويل كالجبال :

ألا حَبَّذا وجهٌ تُرينا بياضه ومُنسدلاتٍ كالمثاني فواحما^(١)

وقال " عنتره " إن الليل استمد ظلامه من شعرها ، وهذا تشبيه يقارب التشبيه السابق ، وكل هذه التشبيهات ما هي إلا صور شعرية يصوغها الشاعر بطريقته الخاصة ، يقول :

خطف الظلام كسارقٍ من شعرها فكأنمّا قرَنَ الدّجى بدياجي^(٢)
وشبه لنا " عنتره " وسطها بالثوب الرقيق المطوي طيات لطيفة ، يقول :

وبطنٌ كطيّ السابريّة ليّـنٌ أقبُّ لطيفٌ ضامرُ الكشح مدمج^(٣)

♦ الصورة الكنائية :

أما الكناية التي وصف بها " الشنفرى " امرأة بالغة فهي واضحة في قوله :

تَحُلُّ بمنجاةٍ عن اللّومِ بيتهـا إذا ما بيوتٌ بالمذمة حُلتِ^(٤)

فالشاعر هنا وصف بيت تلك المرأة بالنجاة عن المذمة ، وكان مراده أن يصف المرأة نفسها بهذه الصفة على سبيل الكناية عن النسبة^(٥) . وهذا البيت ضمن قصيدة يبلغ عدد أبياتها " ٣٦ " بيتاً^(٦) ، والشاعر ليس من المتيمين ولكن جننا به كمثال صريح على اللّمحات والبدوات في جمال المرأة المعنوي في العصر الجاهلي ، وهذا بحد ذاته مثال على الصورة الشعرية ، فالشاعر هنا يريد أن يقول : إن صاحبتة وقور خجول ، لا يسقط قناعها في أثناء سيرها ولا تلتفت حولها ، ... وقد حصّنت بيتها عن كل لوم أو ذم يلحقها . وهي شديدة الحياء ، ومن أجل ذلك لا ترفع رأسها عن الأرض في مسيرها ، حتى ليظن من يبصرها أنها تبحث عن شيء

(١) ديوان المرقشين : ٩٩ .

(٢) شرح ديوان عنتره بن شداد : ٣٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٨ .

(٤) ديوان الشنفرى : ٣٢ .

(٥) ينظر : البلاغة والتطبيق ، الدكتور . أحمد مطلوب ، و الدكتور . كامل حسن البصير ، مطابع بيروت الحديثة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م ، ص ٣٦٢ .

(٦) ينظر : ديوان الشنفرى : ٣١ - ٣٨ .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

ضاع منها . وإذا اعترضها شخص وكلمها أوجزت ومضت لقصدها وغرضها . وإن الحديث العطر عنها في العشيرة ليماً زوجها زهواً وخيلاء ، إنها مثال العفة والجلال . وإنه ليرفعها عن كل شك وتهمة ، فإذا أمسى وعاد إليها من المراعي أو بعد رحلته الطويلة عاد قرير العين بها سعيداً ، فلا يسألها أين كانت لأنها موضع ثقته (١) .

وفي الجانب النفسي والخلقي كان العذريون أحفل بتصوير نفسية المرأة وأخلاقها من الحسيين ، لأن هؤلاء كانوا عاكفين على لذاتهم ، منصرفين إلى تصوير الجمال الجسدي أولاً وقبل كل شيء .

فأما عفتها فيصورها " قيس بن الخدّادية " بقوله :

أجِدْكَ إنْ نُعِمُ نَأْتِ أَنْتَ جَازِعٌ قَدْ اقْتَرَبْتَ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُ
قَدْ اقْتَرَبْتَ لَوْ أَنَّ فِي قُرْبِ دَارِهَا نَوَالاً وَلَكِنْ كُلٌّ مِنْ ضَنٍّْ مَانِعُ
وَقَدْ جَاوَرْتَنَا فِي شُهُورٍ كَثِيرَةٍ فَمَا نَوَلَّتِ وَاللَّهِ رَأْيَ وَسَامِعُ (٢)
ويقول في الخمار :

فَشَدَّتْ عَلَى فِيهَا اللَّثَامَ وَأَعْرَضَتْ وَأَمَعْنَ بِالْكَحْلِ السَّحِيقِ الْمَدَامِعُ (٣)
ويصف لنا " عدي بن زيد " تحجب بعضهن في صورة شعرية رائعة ، يقول :

بَنَاتِ كِرَامٍ لَمْ يُرَبَّنَ بِضُرَّةٍ دُمِيَ شَرِقَاتٍ بِالْعَبِيرِ رَوَادِعَا (٤)
ويصور لنا " المرقش الأصغر " أن صاحبتَه تتبخّر ليلاً بالبكاء ، يقول :
فِي كُلِّ مُمَسًى لَهَا مِقْطَرَةٌ فِيهَا كِبَاءٌ مُعَدُّ وَحْمِي_____مُ (٥)
وهذا " قيس بن الخدّادية " يصور ما فعله الواشي بحبيبته ، إذ يقول :

سَعَى بَيْنَهُمْ وَاشٍ بِأَفْلَاقِ بَرْمَةٍ لَتَفْجَعُ بِالْأَظْعَانِ مَنْ هُوَ جَازِعُ

(١) ينظر : العصر الجاهلي : ٧٤ - ٧٥ . والغزل العذري ليس عذرياً (بحث) : ١ .

(٢) الأغاني : ١٤ / ٣٥٤ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ديوان عدي بن زيد العبادي : ١٣٩ .

(٥) ديوان المرقشين : ٩٥ .

بكت من حديث بثّه وأشاعه ورصفه واشّ من القوم راصع
بكت عين من أبكاك لا يعرف البكا ولا تتخالجك الأمور النـوازع
فلا يسمعن سرّي وسرّك ثالثاً ألا كل سرّ جاوز اثنين شائع
وكيف يشيع السرّ مني ودونّه حجاب ومن دون الحجاب الأضالع^(١)

وبناءً على ما تقدم يمكن للباحث القول : إن الصورة الشعرية في شعر المتيمين قد أعربت عن ذوق فني رفيع وقدرة عالية على استلهم الواقع ، واقع المرأة بكل أبعادها . وقد كان لخيال الشعراء الدور الفاعل في نسيج ألياف هذه الصورة الشعرية من منطقة شعورية يتحد فيها العنصر الفكري بالعاطفي ، وقد كان ذلك استجابة لظرف اجتماعي جديد ، وانفعال عاطفي تثيره التجارب العاطفية التي يعيشها الشعراء . فضلاً عن الأحاسيس المرهفة التي يحركها سحر المرأة وجمالها .

وصفوة القول إنّ الصورة الشعرية ، وبما تتضمنه من تخيل ، كان لها ، مكان الصدارة . فكل العناصر التي تدخل في تركيب الشعر ، من مجاز وكناية وتشبيه ، جُعِلت كالخادم المطواع للصورة . فهي الأساس الأول في إحداث التخييل الإبداعي . وبغير هذا التخييل لا يوجد شعر^(٢) .

وبالتأكيد . فالباحث لم يوفِ الصورة الشعرية حقها الكامل . هذا إذا ما أرد أن يحيط بالموضوع من جوانبه كافة . فالصورة الشعرية غايتها الإدهاش . هنا ، بالذات ، إن هذا الربط ، أو هذا التقريب جعله البلاغيون العرب القدامى من الأعمدة الأساسية التي تنهض عليها الصورة الشعرية . فالمرء يحب ما يعرف ، أي ما يرى وينكشف . ولكنه يشاق إلى ما يبتعد ويحتجب ، على سبيل التذكر والتخيل . الأمر الذي يُبقي جذوة الشوق مشتعلة . وهنا يكمن دور الصورة الشعرية^(٣) .

(١) الأغاني : ٣٥٦ / ١٤ .

(٢) ينظر : الإبلاغة في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان ، بيروت ، باريس ، ١٩٩٠ م ، ص ١٣٨ .

(٣) ينظر : الحب والفناء ، علي حرب ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م ، ص ١١ .

المبحث الثالث

الإيقاع

الإيقاع :

يُعد الإيقاع من الضرورات التي تقوم عليها الصورة الشعرية ، فهو يمدّها بأسباب الاندماج مع مظاهر التناسق أو التوافق الذي يخلق نوعاً من الترابط النفسي بين الشاعر وبين العالم الخارجي عن طريق التوقيع الموسيقي الذي يعد أساسياً في كل عمل فني (١) .

ويُعرف الإيقاع بأنه : (الإعادة المنتظمة داخل السلسلة المنطوقة ، لإحساسات سمعية متماثلة تكونها مختلف العناصر النغمية) (٢) ، لذا نرى إجماع النقاد على أهمية الإيقاع في الشعر ولا سيما الصورة الشعرية ، (فالإيقاع والصور يجريان سوياً في حلبة الشعر وهما يرتبطان ارتباطاً لا ينفصم) (٣) .

وقد دفعت أهمية الإيقاع إلى خوض أكثر الباحثين في إيجاد تعريف له (٤) . ومهما يكن من أمر الإيقاع فلا بد من أن نفطن إلى الاختلاف بين الإيقاع والوزن ، فالإيقاع هو (توظيف خاص للمادة الصوتية في الكلام ، يظهر في تردد وحدات صوتية في السياق على مسافات متقايضة بالتساوي ، أو بالتناسب لإحداث الانسجام ، وعلى مسافات غير متقايضة أحياناً لتجنب الرتابة ، مع التفريق بين الوزن والإيقاع ، فالوزن : هو ما يمكن تنميطة من ضروب الإيقاع ؛ لأنه ينظم

(١) ينظر : التفسير النفسي للأدب : ٦٤ .

(٢) أثر اللسانيات في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري ، توفيق الزيدي ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ م ، ص ٦٣ .

(٣) الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، الدكتور . عبد القادر الرباعي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، توزيع : دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩ م ، ص ٢٧٦ . وينظر :

١- إيقاع الشوق والتجاذب ، خالد سعيد ، بحث منشور في مجلة " مواقف " ، العدد السابع ، السنة الثانية ، كانون الثاني ، ١٩٧٠ م ، ص ٢٦٧ .

٢- محاضرات ، الدكتور . خليل حاوي ، مجلة كلية التربية ، الجامعة اللبنانية ، السنة الرابعة ، ١٩٧١ م - ١٩٧٢ م .

٣- الشعر والتشكيل الموسيقي ، الدكتور . ياسين عساف ، بحث منشور في كتاب " الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس " ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، ص ١٨ - ١٩ .

٤- الشعري ، ميكيل دوفرين ، بحث منشور في مجلة " الفكر العربي المعاصر " ، ترجمة : نعيم علوية ، العدد العاشر ، شباط ، ١٩٨١ م ، ص ٤٧ .

(٤) ينظر :

١- التعبير الموسيقي ، الدكتور فؤاد زكريا ، مكتبة مصر ، القاهرة ١٩٥٦ م ، ص ٦١ .

٢- موسيقى الشعر العربي ، الدكتور . شكري عياد ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، ص ٥٣ .

٣- النقد الأدبي الحديث : ٤٣٥ .

مجموعات كبيرة من النصوص ، ويتحكم في جميع الوحدات الكلامية في النص الواحد ، فالأوزان هي الفروع المتولدة من طاقة إيقاعية أوسع ، فهي تمثل الجزء ، والإيقاع يمثل الكل (^١) ، ذلك لأن الإيقاع هو صفة مشتركة بين الفنون جميعاً كما يبدو ذلك واضحاً في الموسيقى والشعر والنثر الفني والرقص وفي الفنون المرئية كلها أيضاً ، فهو القاعدة التي يقوم عليها أي عمل من أعمال الأدب والفن (^٢) ، وأما الوزن فمختص بالفن الشعري .

ومما لا شك فيه أن بعض أقسام الإيقاع مطابقة لأقسام الوزن إلا أن التفريق بينهما متأت من أن الإيقاع كثيراً ما يختلف في مراحل اللحن فهو نظام موسيقي مصحوب بتغيرات مختلفة الكم والكيف ، وأما الوزن فهو مقياس ثابت من بداية اللحن لنهايته مداره مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت الشعري (^٣) .

ولكل من الوزن والإيقاع مهمة يؤديها في القصيدة في البيت الواحد ، فيستكمل الخطاب الشعري من خلالهما وظيفته الموسيقية (^٤) ، ومن ثم تشكيل صورة موسيقية مؤثرة بنغمها الصوتي في السمع ، بل تمتد لتخيل أشكالاً بصرية وعناصر حسية أخرى مختلفة (^٥) .

يتضح لنا أن الإيقاع المبني على الانتظام والتناغم الزمني مع اعتبار ضرورة التفريق بين الوزن والإيقاع من منطلق الثبات والتغير قائم على مبدأ التكرار أو المعاودة .

وينهض الجانب " الإيقاعي أو الموسيقي " بالجزء الأهم من هوية النص الأدبي إلى جانب عنصر المجاز الذي يمتد إلى البنية الداخلية " المضمونية " للنص الأدبي ، وهذان الجانبان على المستوى الشكلي والمستوى المضموني هما ما يخلق

(١) في مفهوم الإيقاع ، الدكتور . محمد الهادي الطرابلسي ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد الثاني والثلاثون ، تونس ، ١٩٩١ م ص ٢١ - ٢٢ .

(٢) ينظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ٧١ .

(٣) ينظر : الصورة الشعرية في الغزل العذري : ٢٥١ .

(٤) ينظر : نظرية إيقاع الشعر العربي ، الدكتور . محمد العياشي ، المطبعة المصرية ، تونس ، ١٩٧٦ م ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٥) ينظر :

١- الصورة الفنية في شعر أبي تمام : ٢٧٦ .

٢- مبادئ النقد الأدبي ، ريتشاردز ، ترجمة : مصطفى بدوي ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ، ص ١٧١ .

٣- شعر عمر بن أبي ربيعة (دراسة أسلوبية) ، أمل عبد الله سلمان ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد كلية الآداب ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، ص ٨ .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

جوهر الأدبية المسمى " الانزياح " أي كل ما يخرج عن نمط العادية في التعبير وكل ما يختلف عن الاستعمال اليومي للغة فهما عنصران جاليان لهما مدخلية في قضية التأثير الإيحائي الذي يعمق دلالة النص (١) .

ويتمثل الإيقاع في مستويين ، الأول : يمكن أن نطلق عليه الإيقاع الخارجي أو " موسيقى الإطار " ، والثاني : الإيقاع الداخلي أو ما يسمى بـ " موسيقى الحشو " (٢) .

أولاً : الإيقاع الخارجي :

ونعني به الموسيقى المتأتية من نظام الأوزان العروضية ، والقوافي التي تخضع الخطاب الشعري لنوع من التنظيم الثابت في آخر البيت ، وتقترب أهمية الإيقاع أو الوزن بأهمية ما يؤديان إليه من تنوع موسيقى (٣) . ويقسم الإيقاع الخارجي على :

١- الوزن :

كان النقاد القدامى يركزون على الوزن والقافية مميزين الشعر من النثر ، فهما ركنان أساسيان من أركان القصيدة ، بل أن بناءها لا يقوم إلا عليهما . وهما حجر الأساس في موسيقاها الخارجية التي لا يقيسها إلا العروض وحده (٤) . والوزن أعظم أركان حد الشعر ، وأولها به خصوصية ، وهو مشتمل على القافية ، وجالب لها الضرورة (٥) ، وهو يمنع من التبعض (٦) ، وللوزن إيقاع يطرب الفهم الفهم لصوابه ، ويرد عليه من حسن تركيبه ، واعتدال أجزائه (٧) .

(١) من محاضرة ألقاها الدكتور . مولود محمد زايد ، على طلبة المرحلة الثالثة ، كلية التربية ، جامعة ميسان ، الاثنين ٢٣ / ٣ / ٢٠٠٨ م .

(٢) ينظر : الصورة الشعرية في الغزل العذري : ٢٥٠ .

(٣) ينظر : شعر لبيد بن ربيعة العامري (دراسة نقدية) ، خالد علي مصطفى ، أطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، ٢٣٥ .

(٤) ينظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ٧٨ .

(٥) ينظر : العمدة : ١ / ١٤١ . ومفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي ، الدكتور . جابر أحمد عصفور ، طبع ونشر وتوزيع : المركز العربي للثقافة والعلوم ، ١٩٨٢ م ، ص ٧٧ .

(٦) ينظر : الشعر والنغم ، الدكتور . رجاء عيد ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٥ م ، ص ٢١ .

(٧) ينظر : عيار الشعر ، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢ هـ) ، شرح وتحقيق : عباس عبد الستار ، مراجعة : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ص ٢١ .

يعني هذا أن الوزن هو نغم النفس قبل أن يكون نغم الكل فموسيقاه هي التي (تزيد من انتباهنا وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها ، وتجعلنا نحس بمعانيه كأنما تمثل أمام أعيننا تمثيلاً عملياً واقعياً . هذا إلى أنها تهب الكلام مظهرًا من مظاهر العظمة والجلال وتجعله مصقولاً مهذباً تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه) (١) . ونتيجة لهذا كان النقاد العرب القدماء لا يتسامحون في (أن يصيب الوزن انكسار يحطم موسيقاه ، وجعلوا اضطراب الوزن وكثرة الزخافات مما يهجن الشعر ، ويخرجه عن حد القبول ، وإن بلغ الغاية في جودة المعنى) (٢) . وأنهم رحبوا بكل ما يزيد من موسيقى الشعر جمالاً (٣) .

أما الموسيقى في الشعر العذري فإنها من القضايا الفنية التي لم يولها النقد الحديث أهمية كافية ، بوصفها عنصراً بارزاً من عناصر التجديد في هذا الشعر ، تنهض بوظائف معنوية وفنية في آن واحد ، لأن الشاعر العذري كان قد عوض عن التصوير والمحسنات البديعية ، بالموسيقى الموحية المعبرة ، ولعل الموسيقى قد نهضت بدور الإحياء بالتجارب العذرية ، أكثر مما أوحى به اللغة أو التصوير مع استحالة فصل معنى الكلمة عن صورتها كما رأى أحد النقاد ، واستعمال أحدهما دون الآخر (٤) .

بيد أن هناك ملاحظات أوردها النقاد في إطار دراستهم للشعر العذري تناولت الموسيقى في هذا الشعر والدور الذي نهضت به سواء على مستوى الأوزان والقوافي أم على مستوى الموسيقى الداخلية ، وسيقوم البحث بجمع هذه الملاحظات ووصفها وتنسيقها وتقسيمها والتعليق عليها .

لقد تطرق النقاد إلى الأوزان الشعرية التي جاء على منوالها الشعر العذري رصداً وتعليلاً ، بل إن بعضهم قد قام بعملية إحصاء للبحور الشعرية لدى الشعراء العذريين . ووصف الدكتور " بهجت عبد الغفور الحديثي " الشعر العذري بالغنائية ، ولكنه في الوقت ذاته ذهب إلى أن الأوزان الخفيفة كانت قليلة في الشعر العذري بالقياس إلى البحور الطويلة (٥) .

(١) موسيقى الشعر : ١٦ .

(٢) أسس النقد الأدبي عند العرب : ٣٣٣ .

(٣) ينظر : موسيقى الشعر : ١٣ .

(٤) ينظر : الشعر والتجربة : ٣٨ .

(٥) ينظر : نصوص من الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي : ٤٠٣ .

وذكر " سليمان البستاني " أن الطويل بحر يستوعب ما لا يستوعبه بحر غيره من المعاني ويتسع للفخر والحماسة والتشبيه والاستعارة وسرد الحوادث وتدوين الأخبار ووصف الأحوال ^(١) .

وإذا ما سار الباحث باتجاه دراسة ربط الموضوعات الشعرية والأوزان في موضوع الغزل العذري ، غزل " المتيمين " في العصر الجاهلي ، فإننا نستطيع رفض رأي من يقول بوجود علاقة بين اختيار الوزن الشعري والموضوع ؛ وذلك لأن كل وزن قابل ليحتضن القصيدة في أي غرض من أغراضها ^(٢) ، لذا لا يمكن قرن الوزن والغرض الشعري بدليل أن الشاعر المتيم أعتمد في غزله على أكثر من وزن ، وإن كانت النسب متفاوتة ، فقد بان استعماله للبحر الطويل بكثرة تميزه عن البحور الأخر ^(٣) .

ويربط " الطاهر لبيب " بين قضية الأوزان في الشعر العذري وبين حياة المتيمين الاجتماعية المهمشة ، كعاداته في معالجة قضايا الظاهرة العذرية الموضوعية والفنية ، إذ رآها تماثل أو توازي القضايا الاجتماعية والاقتصادية في حياة المتيمين تبعاً لمنهج الذي سار عليه ^(٤) .

إن هذه الظاهرة التي تخص الأوزان في الغزل العذري تعود في تقدير الباحث إلى البيئة الأدبية التي نشأ فيها الشعراء المتيمون ، فتملكتهم النزعة البدوية في صناعة شعرهم ، ولم يقفوا في حالة إخضاع الشعر للغناء وتطويعه له ، بمعنى أنهم لم يقولوا أشعارهم من أجل الغناء ، وعلى أية حال فقد مال المتيمون إلى الأوزان الطويلة تناسباً مع موضوعاتهم الغزلية الحزينة لا سيما البحر الطويل ، أما ما يخص موسيقاهم فكانت تلقائية ، وهذه التلقائية هي التي زادت من جمالية شعرهم ، وكذلك في تطويع الأوزان نفسها لخدمة تجربتهم العاطفية ، لقد طوعوا الأوزان مثلما طوعوا اللغة وامتلكوا ناصية التعبير عن المعاني الغزلية التفصيلية بطريقة تلقائية فطرية عجيبة ، بل أن البحر الطويل كان أقرب إلى تلقائيتهم وفطرتهم وعواطفهم وذوق بيئتهم لا سيما أنهم شحنوه بمعان ولغة وموسيقى يملأها الحزن العميق الذي عانوه وكابدوه في قصصهم مع من يحبون . هذه القصص التي

(١) ينظر : إلياذة هوميروس ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ج ١ / ص ٩١ .

(٢) ينظر : خصائص الأسلوب في الشوقيات ، الدكتور . محمد الهادي الطرابلسي ، منشورات الجامعة التونسية ، المطبعة الرسمية التونسية ، ١٩٨١ م ، ص ٣٧ .

(٣) ينظر : الصورة الشعرية في الغزل العذري : ٢٥٣ .

(٤) ينظر : سوسيولوجيا الغزل العربي : ١٧٣ .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

بقيت درساً يهتدي به الشعراء العذريون من بعدهم على مر العصور ، وستبقى قصص وأشعار المتيمين الجاهليين أصل كل شعر عذري فيما بعد .

ويذهب " أدونيس " إلى رأي يخص شعراء الغزل العذري في العصر الأموي ، فيه شيء من الغرابة كما أظن ، يقول : (أن الغزل العذري قد تجاوز بنية القصيدة القديمة إلى بنية جديدة يعرضها من الناحية الموسيقية في أوزان خفيفة قصيرة وبحور مجزوءة استجابة لإيقاع الحياة) (١) .

وإذا ما أراد الباحث مناقشة هذا الرأي فإنه يقول : لا بأس في أن الغزل العذري قد تجاوز بنية القصيدة القديمة إلى بنية جديدة ، ولكن الإشكال يكمن في عرض هذه البنية من الناحية الموسيقية في أوزان خفيفة قصيرة ... والحق أن العذريين لم تشع في أشعارهم الأوزان الخفيفة القصيرة كما زعم " أدونيس " ، فهو لم يقيم بعملية إحصاء في هذا الجانب بل على العكس لقد كان البحر الطويل أكثر شيوعاً في أشعارهم ، كما ذكر الباحثون من خلال الاستقراء والإحصاء ، ولعل " أدونيس " لاحظ ظاهرة الخفة والتلقائية والسهولة في الشعر العذري فعد أوزانه خفيفة وقصيرة ومجزوءة من غير أن يستقرئ أو يحصي أو يدقق في المسألة ، والحق أن العذريين قد جعلوا من الأوزان الطويلة أوزاناً خفيفة سهلة من خلال فطرتهم وسليقتهم الشعرية ولسنا نتلاعب بالألفاظ إذا ما قلنا أنهم قد صيروا من الأوزان الطويلة أوزاناً قصيرة ، فالإحساس بخفة البيت الشعري وقصره وسهولته ليس مرتبطاً بعدد التفعيلات فيه ، وإنما يأتي من خلال تمكن الشاعر من التعبير الأصيل عن عواطفه ومن خلال قوة الطبع والفطرة والموهبة قرب بيت ذي وزن طويل أخف وأقصر على النفس من بيت ذي وزن قصير وقل مثل هذا في القصائد والمقطوعات .

وهذا لا يعني أننا ننفي وجود بحور طويلة وبحور قصيرة في الشعر العربي من حيث الأطر العامة وعدد التفعيلات وطولها وقصرها ، ولكننا نريد أن نؤكد بأن الإحساس بثقل الشعر أو خفته ، وبطول الأبيات أو قصرها لا يعود غالباً إلى هذه الأمور الشكلية العامة التي يستطيع الشاعر المبدع أن يطبعها بطابعه الخاص (٢) .

(١) الثابت والمتحول ، بحث في الإبداع والإبداع عند العرب ، دار العودة ، بيروت - لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٣ م ، ج ١ / ص ٢٥٧ .

(٢) ينظر : نقد الغزل العذري في العصر الأموي قديماً وحديثاً : ١٨٢ .

وأجرت الدكتورة " بشرى البستاني " دراسة تأويلية معمقة لواحد من نصوص الشعر العذري ، تعد أحدث ما وجدنا من نقد لشعر هذه الظاهرة منهجاً ومادة . وقد ذهبت إلى (أن حجم الحنين في النص يتطلب عمقاً عروضياً يتسع له ، ومساحة تناسبه ، وإذا كان الحنين يتضمن توتراً كامناً يتنامى ببطء وتوهج ، فإن البحر الطويل بامتداده الثماني وكثافة مقاطعه سيكون أقدر على تجسيد الحال من غيره) ^(١) وعلى ما في هذه الملاحظة من حصافة وعمق فإن البحث يتساءل لماذا لم يشع وزن البسيط في الشعر العذري مثلاً مع أنه ثماني التفعيلات وكثيف المقاطع مثله مثل الطويل في هذه الخصائص ؟ ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن البحر الطويل قد شاع شيوعاً كبيراً لدى الشعراء الغزليين مما يدل على سعته وتفرده عن البحر البسيط في تقبله ضرباً عدة من الشعر ^(٢) ومهما يكن من أمر فإن شيوع البحر الطويل في الغزل العذري كان ظاهرة ملموسة بل أنه كان شائعاً في الشعر العربي القديم بوجه عام ^(٣) . ولعل شيوعه في الغزل العذري يعود فضلاً عما تقدم إلى أسباب يمكن أن نجعلها بنقطتين :

أولاً : كان البحر الطويل هو البحر الأكثر دوراناً في الشعر في زمن العذريين ، بل في الشعر العربي القديم بوجه عام ^(٤) لأن موسيقاه أضحت موروثاً ومألوفة . تنسجم مع النفسية العربية حينذاك في قوتها ورصانتها وبدويتها بحيث مثلت هذه الموسيقى إيقاع ذلك العصر وصورته ^(٥) .

ثانياً : كان هذا البحر أقرب البحور إلى عاطفة الحزن والجد والرصانة والعمق التي تمتع بها الشعر العذري ، لما في هذا البحر من الامتداد والاتساع ، وقد رأينا أن الغزل العذري غلبت عليه حالة الشجن والأسى والحنين بما يتناسب مع الوزن الطويل ^(٦) .

(١) جماليات الذاكرة وجدلية الحضور ، قراءة تأويلية في عينية الصمة القشيري ، (بحث) للدكتورة . بشرى البستاني ، مجلة ألف ، القاهرة - مصر ، العدد الحادي والعشرون ، ٢٠٠١ م ، ص ٧٨ .

(٢) ينظر : نقد الغزل العذري في العصر الأموي قديماً وحديثاً : ١٨٣ .

(٣) ينظر : موسيقى الشعر : ٥٩ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه .

(٥) ينظر : الشعر اليمني السياسي في الإسلام إلى نهاية العصر الأموي ، عبده يحيى صالح الدباني ، جامعة عدن ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ م ، ص ٢٨٢ .

(٦) ينظر : نقد الغزل العذري في العصر الأموي قديماً وحديثاً : ١٨٣ - ١٨٤ .

ومهما يكن من شيء فإن البحر الطويل يتميز بأشياء كثيرة ، ولا يضر أن يلجأ إليه أي شاعر ، فقد أخذ (من حلاوة الوافر دون انبتاره ، ومن رقة الرمل دون لينه المفرط ، ومن ترسل المتقارب المحض دون خفته وضيقه ، وسلم من جلبة الكامل ، وكزازة الرجز ، وأفاد الطول أبهة وجلالة) (١) .

وتطبيقاً على ما ذكرنا نورد أبياتاً " للمرقش الأكبر " وهو يصف شوقه وحنينه إلى هند ، إذ يقول :

خليلي عوجا بارك الله فيكما وإن لم تكن هند لأرضيكم أقصدا
وقولا لها ليس الضلال أجازنا ولكننا جُزنا لنلقاكم عمدا
فناولتها المسواك والقلب خائف وقلت لها : يا هند أهلكتنا وجدا
فمدت يداً في حسن كل تناولاً إليه وقالت : ما أرى مثل ذا يُهدى (٢)

٢ - القافية :

والقافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية (٣) متحدة في القصيدة كلها كما جرى عليه الشعر الجاهلي . ولا شك أن الشعر العربي من أدق أشعار الدنيا من حيث الروعة الموسيقية ، لما يلتزمه من قواعد في أجزاء القافية ، فضلاً عن تفاعيل البحر وانتظامها (٤) . وقد شغل سحر القافية شعراء ونقاد العرب الأوائل حتى راح بعضهم يخلع عليها صفات أخلاقية (٥) .

والقافية هي فواصل موسيقية (يتوقع السامع تردها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة ، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن) (٦) . إذن القافية تثير فينا شدّ الأسماع إلى الوقوع

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : ١ / ٣٩٢ .

(٢) ديوان المرقشين : ٤٨ - ٥٠ .

(٣) ينظر : العمدة : ١ / ١٥٩ .

(٤) ينظر : الميسر في العروض والقافية ، الدكتور . لوحيشي ناصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة الساحة المركزية - بن عكنون ، الجزائر ، ٢٠٠٧ م ، ص ١٤٩ .

(٥) ينظر : الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٠ م ، ج ١ / ص ٨٥ .

(٦) موسيقى الشعر : ٢٤٦ .

النغمي الذي تحدثه في الخطاب الشعري كما يعمل الوزن على شدّ انتباه المتلقي وتشوقه إلى النغمة الموسيقية (١) .

وسميت القافية قافية ؛ لأنها تقفو إثر كل بيت (٢) ، ولأنها تقفو الكلام (٣) . أي تجيء في آخره (٤) ، والقافية من الأسماء المنقولة من العموم إلى المخصوص ، فإذا أريد بها الشعر لم يقع عليها هذا الاسم حتى تقارن كلاماً موزوناً (٥) .

ويرى " ابن رشيق القيرواني " أن من الشعراء (من إذا أخذ في صنعة الشعر ، كتب من القوافي ما يصلح لذلك الوزن الذي هو فيه ، ثم أخذ مستعملها ، وشريفها ، وما ساعد معانيه ، ووافقها واطرح ما سوى ذلك ، إلا أنه لابد أن يجمعها ؛ ليكرر فيها نظره ، ويعيد عليها تخيره في حين العمل . هذا الذي عليه حذاق القوم) (٦) . يعني هذا أن كتابة القوافي بهذا الشكل لا تكون إلا بعد ابتعاث القافية أول مرة ، ومعرفتها في القصيدة .

ولم يكن " ابن رشيق " الوحيد من بين النقاد العرب القدماء الذي يرى إعداد القوافي أولاً ثم بناء القصيدة عليها ، وإنما سبقه إلى ذلك " ابن طباطبا العلوي " الذي يعد القافية أهم من المعنى الذي يعرضه البيت فهو يرى أن الشاعر إذا (اتفقت له قافية قد شغلها في معنى من المعاني ، واتفق له معنى آخر مضاد للمعنى الأول ، وكانت تلك القافية أوقع في المعنى الثاني منها في المعنى الأول ، نقلها إلى المعنى المختار الذي هو أحسن ، وأبطل ذلك البيت أو نقصه بعضه ، وطلب لمعناه قافية تشاكله) (٧) ، فهو يفضل أن تقع القافية في موقعها الأحسن حتى حين ينقلب المعنى إلى الضد .

(١) ينظر : موسيقى الشعر : ١٣ .

(٢) ينظر : العمد : ١ / ١٦٢ .

(٣) ينظر : كتاب القوافي ، سعيد بن مسعدة الأخفش ، تحقيق : أحمد راتب النفاخ ، دار الأمانة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤ م ، ص ١ .

(٤) ينظر : الكافي في العروض والقوافي ، لأبي زكريا يحيى بن علي الشيباني " الخطيب التبريزي " (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق : حميد حسن الخالصي ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ص ٢٥٦ .

(٥) ينظر : كتاب القوافي ، لأبي يعلى عبد الباقي عبد الله بن المحسن التنوخي ، تحقيق : الدكتور . عوني عبد الرؤوف ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٥ م ، ص ٢٩ .

(٦) العمد : ١ / ٢١٨ .

(٧) عيار الشعر : ١١ .

أما " حازم القرطاجني " الذي يعرف القافية بقوله : (القافية هي ما بين أقرب متحرك ، يليه ساكن إلى منقطع القافية ، وبين منتهى مسموعات البيت المقفى) (١) . فقد كان أكثر دقة وتفصيلاً لمفهوم شرف القافية من سابقيه . فقد ذهب إلى أن للشعراء في بناء بيت من الشعر طريقتين :

أما الطريقة الأولى فهي أن يبني أول البيت على القافية وهو المختار عنده ، لأن فضيلة هذا حسب اعتقاده أنه يتأتى للشاعر حسن النظم لكون الملاءمة بين أوائل الأبيات وما تقدمها متأتية له في أكثر الأمور لأنه إذا (وضع المعنى في القافية ، وحاول أن يقابله ، ويجعل بإزائه في الصدر معنى على واحد من هذه الأنحاء لم يبعد عليه أن يجد في المعاني ما يكون له علة بمعنى القافية وانتساب إليه من بعض هذه الجهات وعلقه بما تقدم من معنى البيت الذي قبله) (٢) . وفي هذه الطريقة يفضل القرطاجني أن يبني البيت بأكمله لا أكثره على القافية لما في الأخير من التكلف الكبير (٣) .

وأما الطريقة الثانية فهي أن تبني القافية على أول البيت وصاحب هذه الطريقة (وإن وسع على نفسه أولاً في كونه يختار ما يضعه في صدر بيته ويبني عليه كلامه ... فقد ضيق على نفسه بكونه لا يمكن أن يقابل المعنى المتقدم من المعاني المتناظرات إلا بما قطع عبارته وصيغتها موافق للروي) (٤) .

وفي هذا يرى القرطاجني أن على الشاعر أن يطلب القافية أولاً ثم ينسج عليها ما تبقى من البيت . وهكذا نجد نقادنا القدماء قد وقفوا وقفات طويلة عند القافية ، بل حدا بهم الأمر إلى أن يؤلفوا فيها كتباً مستقلة ككتاب " القوافي " للأخفش ، وبالعنوان نفسه للقاضي أبي يعلى التنوخي وغيرهما ، حددوا من خلالها القواعد الأساسية التي تميز غثها من سمينها (٥) .

إن الاهتمام الكبير بالقافية جعل النقاد يطلبون من الشعراء تحسينها والعناية بها ، فهذا " شبيب بن شيبه " يرى أن (حظ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة ، أرفع من حظ سائر البيت) (٦) . أما " بشر بن المعتمر " فقد كان يدعو في

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ٢٧٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٧٨ .

(٣) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٣٢٤ .

(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ٢٧٩ .

(٥) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٣٢٤ .

(٦) البيان والتبيين : ٥٠ / ١ .

صحيفته إلى أن تحل القافية في مركزها وفي نصابها ، وإلا تكون قلقة نافرة ، مغتصبة ^(١) . وقد نجد لها أمثلة كثيرة في الشعر الجاهلي . مثال ذلك قول المثقب العبدى :

أفَاطَمَ قَبْلَ بَيْنِكَ مَتَّعِينِي وَمَنَعُكَ مَا سَأَلْتُكَ أَنْ تَبِينِي
وَلَا تَعْدِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ تَمُرُّ بِهَا رِيَاخُ الصَّيْفِ دُونِي
فَإِنِّي لَوْ تُعَانَدُنِي شِمَالِي عِنَاذُكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي
إِذَا لَقِطَعْتُهَا وَلَقُلْتُ بَيْنِي كَذَلِكَ أَجْتَوِي مِنْ يَجْتَوِينِي ^(٢)

وكان " أبو عمرو بن العلاء " يستجيد هذه القصيدة له ويقول : (لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلموه) ^(٣) . ولعله لم يقل ذلك لو لم تكن قافيتها منسجمة مع أفكارها ومعانيها . وقد ذكر لنا " ابن طباطبا العلوي " نماذج كثيرة من القوافي التي وقعت في مواضعها وتمكنت من مواقعها ^(٤) .

والقافية من الناحية النقدية والموسيقية عدة أصوات تتكرر في أواخر الأبيات من القصيدة ، مشكلة إيقاعاً موحداً تطرب له الأذن ، فهي : (تضبط الإيقاع الموسيقي ، وتزيد القوة الموسيقية في التعبير ، ويجب أن يتم اختيار الكلمة للقافية على أساس ترشيح المعنى لها) ^(٥) . فالقافية مكملة للوزن الذي يقوم عليه الشعر ^(٦) . الشعر ^(٦) .

استطاع الباحث مما تقدم أن يتعرف على جودة القوافي ومحاسنها ، وله الآن أن يتعرف على عيوبها ومآخذ النقاد على الشعراء فيها . وهي : الإقواء ^(٧) ، والسناد ^(٨) ، والإيطاء ^(٩) ، والتضمين ^(١) وغيرها .

(١) ينظر : البيان والتبيين : ١ / ٦١ .

(٢) الشعر والشعراء : ٢٣٥ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٣٥ .

(٤) ينظر : عيار الشعر : ١٠٩ وما بعدها .

(٥) فن التقطيع الشعري للقافية ، صفاء خلوصي ، مكتبة المثنى ، بغداد - العراق ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٧ م ، ص ٢٢١ .

(٦) ينظر : شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري ، الدكتور . جودت فخر الدين الدين ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٤ م ، ص ١٦٣ .

(٧) وأكثر العلماء يسمون اختلاف إعراب القوافي إقواء .. ينظر : العمدة : ١ / ١٧٣ - ١٧٤ .

(٨) ينظر : المصدر نفسه : ١ / ١٧٦ .

(٩) وهو أن يتكرر لفظ القافية ، ومعناها واحد . ينظر : المصدر نفسه : ١ / ١٧٩ .

وأما الأمثلة لهذه العيوب فقد ذكر لنا صاحب العمدة وصاحب نقد الشعر نماذج لها (٢).

أما فيما يخص " التضمين " فقد أجمع النقاد العرب القدماء على أنه عيب من عيوب القافية إلا " قدامة بن جعفر " فقد عدّه من عيوب أئتلاف المعنى والوزن واسماه المبتور (٣).

وفي " التضمين " مواد تخدم الناقد وتمهد له السبيل ، غير أن قدسية القافية وفكرة استقلال البيت بنفسه عند القدماء ، حالت دون أن يوسع النقاد من دائرة عنايتهم به ، أو أن يخرجوا في الغالب من نطاق البيت والبيتين إلى القصيدة أو المقطوعة – على الأقل – مما توفر فيها التضمين . لو فعلوا شيئاً من هذا لعرفوا أن التضمين عامل من عوامل تحطيم وحدة البيت واستقلاله ... وأدركوا على الأقل تملل الشعراء منها . فما التضمين في الواقع إلا حقيقة مهمة ممتعة ، لأنها تدلنا على أن القدامى أنفسهم تمللوا من وحدة البيت القاسية وخرجوا عليها . وإلى مثل هذا ذهب الدكتور " عبد الله الطيب " من قبل إذ قال : (وعندي أن التضمين ليس بعيب كبير ، وكثيراً ما يحسن موقعه إذا كان البحر قصيراً ، أو كان الشعر قصصياً أخذاً بعضه برقاب بعض ...) (٤)

ثانياً : الإيقاع الداخلي :

يدرج الإيقاع الداخلي في قائمة المجموعة الموسيقية كمستوى صوتي له فاعليته في أحداث النغمة الموسيقية للصورة الشعرية في الغزل العذري ، والإيقاع الداخلي هو ترجيح منظم في حروف الكلمات داخل البيت الواحد أو الأبيات . لا يهمنا أن تكون مواضع الترجيح متقاربة أو متباعدة وإنما يهمنا أن تكون متناغمة وخاضعة لتنسيق منظم (٥).

فهذا الدكتور " يوسف اليوسف " يشير إلى عنصر الموسيقى الداخلية في الغزل العذري من خلال حديثه عن اللغة العذرية (٦) . إذ يرى أن من جماليات الغزل العذري : (الوظيفة العضوية للموسيقى وإسهامها في نقل التأثير) (٧) .

(١) وهو أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها . ينظر : المصدر نفسه : ١ / ١٨١ .

(٢) ينظر : العمدة : ١ / ١٧٣ – ١٨٣ . ونقد الشعر : ١٨٧ .

(٣) ينظر : نقد الشعر : ٢٢١ – ٢٢٢ .

(٤) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : ١ / ٣٨ .

(٥) ينظر : الصورة الفنية في شعر أبي تمام : ٢٩٢ .

(٦) ينظر : الغزل العذري دراسة في الحب المقموع : ١٣٥ .

ويذهب " خريستو نجم " إلى أن الموسيقى هي من خصائص الشعر العذب والفن السائغ ولا يتوفر الغناء ما لم يسهل اللفظ وتبسط المفردات فتكون لغة الشاعر قريبة إلى الجماهير ^(٢) ، وهذا لا يعني أن الشاعر العذري كان يصوغ شعره على وفق ما يتطلبه الغناء من لغة ووزن ومعانٍ ، وإنما السبب في ذلك هو أن الشعر العذري كان شعر قضية ، ولم يكن مجرد وسيلة للغناء ، وإذا كان الكثير من الشعر العذري قد غُني به ، فإن هذه العملية جاءت لاحقة لعملية إنتاج الشعر نظراً لما تميز به الغزل العذري من معانٍ غزلية أصيلة ومن لغة طرية موحية وموسيقى أسرة معبرة ولم يفرض الغناء نفسه على الشعر العذري قبل إنتاجه أو أثناء إنتاجه ، وإنما الغزل العذري هو الذي فرض نفسه على الغناء ، وهذه مسألة ملموسة في كل عصر ، وتشكل جدلية الغناء والشعر ^(٣) .

والإيقاع الداخلي هو توافق صوتي بين الحركات والسكنات يقوم بتأدية وظيفة سمعية لها تأثيرها في نفس المتلقي الذي يستجيب لها ذوقياً ، لأن الشعر لا يحقق موسيقيته بمحض الإيقاع العام الذي يحدده الوزن والقافية (بل يحققها أيضاً ، أولاً : بالإيقاع الخاص لكل كلمة أي كل وحدة لغوية لا تفعيلة عروضية للبيت . وثانياً : بالجرس الخاص لكل حرف من الحروف الهجائية المستعملة ، ثم الجرس المؤتلف الذي تصدره الكلمات في اجتماعها في البيت كله ثم تتابعها في البيت بعد البيت في كل قصيدة أو قسم من القصيدة ، والانسجام بين جانبي الإيقاع والجرس هو الذي يصدر ما يسميه بالنغم الشعري ، وهو اجتماع الأصوات اللغوية تحت تنظيم الإيقاع في تموج يعلو ويهبط ويلين ويشدد متلائماً مع تموج الفكرة والانفعال) ^(٤) .

وفي ضوء ذلك فإن الإيقاع الداخلي يختلف بين قصيدة وأخرى عند الشاعر مثلما يختلف الشاعر عن الآخرين لاختلاف التجربة حالة وشعوراً ورؤياً .

ويرى " لامبورن " أن الإيقاع الداخلي يحده جانبان : اختيار الكلمات وترتيبها ، والمواءمة بين الكلمات والمعاني التي تدل عليها ^(٥) . وهو أوسع من

(١) المصدر نفسه : ١٤٥ .

(٢) ينظر : جميل بثينة والحب العذري : ٢٣٦ .

(٣) ينظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ٤١ . وما بعدها .

(٤) الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، الدكتور . محمد النويهي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، د . ت ، ج ١ / ٣٩ - ٤٠ .

(٥) ينظر : الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة : ١٦ .

الوزن والنظم المجردين ^(١) . وقد أفاد الدكتور " شوقي ضيف " من هذا الرأي وهو يبحث عن الإيقاع الداخلي عند " عبد القاهر الجرجاني " في ضوء " قواعد النظم " التي ربطها بعلم النحو الذي أرجع إليه الدكتور " شوقي ضيف " تعذر ذلك لأن " علم النحو " لا يكشف الموسيقى الخارجية ، موسيقى العروض فأولى به ألا يكشف الموسيقى الداخلية موسيقى النظم ، وهي لا ترتبط به وبقواعده ^(٢) .

أن النقد العربي القديم لم يعرف مصطلح " الإيقاع الداخلي " ، ولكن إذا عاودنا النظر في كتابات النقاد عن الفصاحة والبلاغة ، والشروط التي حددها لفصاحة الكلمة ، علمنا أنهم قد انتبهوا إلى أهمية الإيقاع وموسيقى الألفاظ في الشعر ، فالقصيدة العربية الجاهلية ، وصلت حداً من الاكتمال ، والنضج الإيقاعي ^(٣) .

وذكر " الجاحظ " : (إذا كان الشعر مستكراً ، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات ، وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضياً موافقاً ، كان على اللسان عند أنشاد ذلك الشعر مؤونة ، ... وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان) ^(٤) .

ومع أن الباحث لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يجزم بأن هذا الرأي وغيره من الآراء النقدية القديمة التي بحثت في الألفاظ كانت تدور في فلك موسيقى القصيدة . ألا أننا حين ندقق النظر في أثناء النظرات القديمة في الألفاظ نكاد نطمئن من قربها إلى نظرة النقد الأوربي الحديث الذي يعدها ركناً أساسياً من أركان القصيدة . يقول " ت . س . اليوت " : (ليس من الضروري أن تكون القصيدة في أجزاءها متناسقة النغم ، ولا أن تكون جميع ألفاظها " جميلة " بل أني لا أشك في أن يكون أي لفظ بمفرده ، بمجرد صوته ، أكثر أو أقل جمالاً من أي لفظ آخر ... فموسيقى اللفظ لا تنشأ منه هو ، بل تنشأ أولاً : من علاقته بالألفاظ التي تسبقه مباشرة وثانياً : من علاقته العامة بسائر السياق ... وهناك مصدر ثالث لموسيقى

(١) ينظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ٧٨ .

(٢) ينظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ٨٠ .

(٣) ينظر : الإيقاع في الشعر العربي ، عبد الرحمن آلوجي ، دار الحصاد للنشر والتوزيع ، دمشق ، الطبعة الأولى ، حزيران ، ١٩٨٩ م ، ص ٤١ .

(٤) البيان والتبيين : ٣١ / ١ .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

اللفظ هو علاقة معناه المباشر بالسياق الذي ورد فيه بمعانيه الأخرى في السياقات الأخرى ، أي درجة اللفظ من أحداث ترابط الخواطر (^(١)) ثم يضيف : (إن موسيقية القصيدة إنما توجد في هيكلها العام كوحدة ، وهذا الهيكل يتألف من نمطين ، نمط الأصوات ، ونمط المعاني الثانوية التي تحملها الألفاظ . وهذان النمطان متحدان في وحدة لا يمكن انفصامها . فمن الخطأ الادعاء بأن موسيقى الشعر تنشأ من صوته المجرد بصرف النظر عن معناه الأول ومعانيه الثانوية) (^(٢)) .

وإذا ما أراد الباحث أن يطبق ما تضمنه هذا الرأي في موسيقى القصيدة التي تعتمد على الألفاظ ، على ما جاء عند القدامى وجد أكثره ماثلاً في أرائهم (^(٣)) .

ومن مظاهر الإيقاع الداخلي الزحافات ، والتصريع ، والترصيع ، والتقسيم ، والتكرار ، كما أن للطباق والجناس دوراً في طبيعة الصناعة الشعرية ، فالجناس يظهر أثره في وحدة الجرس ، والطباق يظهر أثره في تنويع هذه الوحدة (^(٤)) .

ومظاهر الإيقاع الداخلي متعددة كما أسلفنا إلا أننا فضلنا اعتماد بعضها في الدراسة لكثرتها .

♦ الزحافات :

فالزحافات تؤدي إلى أحداث التنويع في الإيقاع وكسر رتابة الوزن ، ولعل ذلك يرجع للحالة النفسية التي يكون عليها الشاعر ، فإن كان هادئاً كانت الزحافات قليلة في شعره وإن كان مضطرباً قلقاً أدى ذلك إلى كثرتها (^(٥)) .

وتتجلى هذه الحالة بصورة واضحة عند العذريين الذين يعيشون حالة من الحزن والحرمان . فقصيدة قيس بن ذريح التي يقول فيها :

ألا ليت أياماً مضين تعــــودُ فإنْ عُدن يوماً إنَّني لسعيدُ

(١) نقلاً عن : قضية الشعر الجديد ، الدكتور . محمد النويهي ، دار الفكر ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الثانية ، ١٩٧١ م ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) ينظر :

١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) ، قدم له وحققه

وعلق عليه : الدكتور . أحمد محمد الحوفي ، و الدكتور . بدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ،

الطبعة الأولى ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م ، ج ١ ، ٢٢١ .

٢- منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ١٢٢ - ١٢٣ .

(٤) ينظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب : ٢ / ٢٧١ .

(٥) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٣٣٧ .

سقى دار لبني حيث حلت وخيَّمت من الأرض مُنهلُ الغمامِ رعيدُ
على كُلِّ حالٍ إن دنت أو تباعدت فإن تدنُّ منّا فالدُّنُو مزيدُ
فلا اليأسُ يُسليني ولا القُربُ نافعي ولُبني مُنوعٌ ما تكادُ تجودُ (١)

تتكون من ست وتسعين تفعيلة جاءت منها خمس وأربعون تامة ، وثمان وثلاثون دخل عليها الزحاف ، وثلاث عشرة معتلة ، وهذه الإحصائية تكشف لنا عن حالة الحزن التي يعيش الشاعر معتركها (٢) ؛ إذ أن كثرة الزحافات وقلتها تقدم لنا الحالة النفسية للشاعر ، فكثرة الزحافات يرافقها سرعة في الأداء اللغوي أو الموسيقي ، وهذه السرعة تتلاءم وحالة الانفعال التي يكون عليها الشاعر . ولعل جميل بثينة في قصيدته :

ألا مَنْ لقلبٍ لا يملُ فيذهلُ أفق فالتعزّي عن بُثينة أجملُ
أَعَن ظُعُن الحَيِّ الألى كُنْتَ تسألُ بليلٍ فردّوا عيرَهم وتحملّوا (٣)

التي تتساوى وقصيدة قيس لبني في عدد التفعيلات أشد حزنًا وانفعالاً ، يتبين ذلك من خلال الزحافات الكثيرة في قصيدة جميل بثينة ، إذ بلغت اثنين وأربعين زحافاً . وإذا علمنا أن الزحاف هو تغيير يحدث في ثواني الأسباب ، ويكون بتسكين المتحرك أو حذفه أو حذف الساكن – أي أنه يؤدي إلى اختصار في عدد الأحرف ، وبدوره يؤدي إلى اختصار في الزمن – كانت حالة الانفعال التي كان عليها الشاعر واضحة أمام أعيننا (٤) .

♦ التصريح :

وهو لا يقل أهمية عن سابقه في تكوين الموسيقى الداخلية للقصيدة ، وهو أن يكون المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها ، وقد يلجأ الشاعر إلى التصريح في أبيات غير البيت الأول من أبيات القصيدة . وفي التصريح يقول " ابن الأثير " : (فيه دلالة على سعة القدرة في أفانين الكلام) (٥) .

(١) ديوان قيس بن ذريح : ٧١ .

(٢) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٣٣٨ .

(٣) ديوان جميل بثينة : ٩٧ .

(٤) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٣٣٨ .

(٥) المثل السائر : ١ / ٣٣٨ .

والتصريح ليس بغريب على الشعراء الجاهليين ، فشعراء المعلقات جميعاً صرخوا مطالع معلقاتهم ، بل أنهم صرخوا أكثر من بيت في القصيدة الواحدة (١) ، والتصريح هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه : تنقص بنقصانه . وتزيد زيادته (٢) . وكذلك الشعراء المتيمون صرخوا في قصائدهم ، فظاهرة التصريح تكاد تكون عامة في الشعر الجاهلي (٣) .

♦ التصريح :

وهو أن يكون حشو البيت مسجوعاً أو شبيهاً به (٤) ، فقد كثر عند شعراء المتيمين في العصر الجاهلي (٥) والعصور التي تلتها ، منه قول جميل بثينة :

خَدَلْ مُخْلُهَا وَعَثْ مُؤَزَّرُهَا هيفاء لم يَغْذُها بُؤْسٌ وَلَا وَبْدُ
هيفاء مُقْبِلَةٌ عِزَاءً مُدْبِرَةٌ تمت فليس يُرى في خَلْقِها أَوْدُ (٦)
وقول مجنون ليلي :

البيئُ يؤلمني والشوق يجرحني والدار نازحةٌ والشمل منشعبُ (٧)

♦ الطباق :

الطباق والمطابقة أن تجمع بين ضدين مختلفين كالإيراد والإصدار ، والليل النهار والسواد والبياض (٨) ويعول الشعراء عليه في تقوية الجرس وإيجاد انسجام انسجام بين اللفظ والمعنى (٩) . وقد زخرت النصوص العربية بالشواهد التي حملت إلينا هذا الفن البديع ، فالجاهليون كانوا يكثرُونَ من تعاطي الطباق . وكان لشعراء

(١) ينظر : العمدة : ١ / ١٨٣ - ١٩٢ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١ / ١٨٣ - ١٨٤ .

(٣) ينظر : المفضليات : (المفضلية رقم : ٤٥) : ٢١٤ ، و (المفضلية رقم : ٤٧) : ٢١٨ ، و (المفضلية رقم : ٥١) : ٢٢٨ ، و (المفضلية رقم : ٥٣) : ٢٣٢ ، و (المفضلية رقم : ٥٤) : ٢٣٣ ، و (المفضلية رقم : ٥٦) : ٢٤١ ، و (المفضلية رقم : ٥٧) : ٢٤٥ ، و (المفضلية رقم : ٥٩) : ٢٤٩ ، و (المفضلية رقم : ١٢٨) : ٤٥١ ، و (المفضلية رقم : ١٢٩) : ٤٥٢ .

(٤) ينظر : نقد الشعر : ٤٠ . والصناعتين : ٣٧٥ .

(٥) ينظر : ديوان المرقشيين : ص ٨١ و ص ١٠٤ .

(٦) ديوان جميل بثينة : ٤٩ .

(٧) ديوان مجنون ليلي : ٥٦ .

(٨) ينظر : حسن التوصل إلى صناعة الترسيل ، شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥ هـ) ، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ م ، ص ١٩٩ .

(٩) ينظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : ٢ / ٢٤٨ .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

الغزل العذري " المتيمين " باع طويل في هذا الفن . وحذا الشعراء في صدر الإسلام والعصر الأموي حذوهم . ومن ذلك قول جميل بثينة :

- يموت الهوى منّي إذا ما لقيتها ويحييها إذا فارقتها فيعود^(١)
أما المتيمون فهذا عنتره يقول :
هذه نار عبله يا نديمي
كلما ذقت بارداً من لماها
واتكالي على الذي كلما أب
وقول " المرقش الأصغر " :
ألا حبذا وجهُ ثرينا بياضه
وإنّي لأستحيي فطيمة جائعاً
متى ما يشأ ذو الود يصرمُ خليله
وقول عنتره :
الساق منها مثلُ ساقِ نعامٍ
والنَّعْرُ من تحت اللثامِ كأنَّه
قد طال عزُّكم وذلي في الهوى
لا تسقني ماء الحياة بذلة
ماء الحياة بذلة كجهنم
والشعرُ منها مثلُ حبِّ الفلفلِ
برقٌ تلاً في الظلامِ المسدلِ
ومن العجائب عزُّكم وتذلي
بل فاسقني بالعزِّ كأس الحنظلِ
وجهنم بالعزِّ أطيبُ منـزل^(٢)

إن للطباق تأثيره الخاص المتميز ، ويتجلى هذا التأثير في أنه يجمع بين الأضداد يخلق صوراً ذهنية ونفسية متعكسة يوازن فيما بينها عقل القارئ ووجدانه ، فيتبين ما هو حسن منها ويفضله عن ضده .

(١) ديوان جميل بثينة : ٤١ .

(٢) شرح ديوان عنتره بن شداد : ١٢٧ - ١٢٨ .

(٣) ديوان المرقشين : ٩٩ - ١٠٠ .

(٤) شرح ديوان عنتره بن شداد : ٩٩ .

ومن هنا فإن هذا الفن البديعي يستوي بحد ذاته معرضاً للمعاني الذهنية والنفسية والعقلية المتنافرة فتترك في الشعور أثراً عميقة بأسلوبها الموزون المقارن (١) .

♦ الجناس :

وهو (أن يتفق اللفظان ويختلف أو يتقارب المعنيان) (٢) ، ويُعد الجناس مظهراً من مظاهر التنعيم الموسيقي والتنويع الصوتي ، لذا نرى الشاعر العذري قد حرص على استعماله في صورته الشعرية ؛ وذلك لضمان إثراء الإيقاع الداخلي بالموسيقى الصوتية ، منطلقاً في ذلك من التشابه في الوزن والصوت ، ومعتمداً على تكرار الصوت وملاحم المعنى لتحقيق الجمال الإيقاعي لخطابه الشعري (٣) . وإذا ما تأملنا الغزل العذري نجد أن الشعراء العذريين قد استعملوا معظم أنواع الجناس وصوره ونسب متفاوتة . يقول جميل بثينة :

صَدَّتْ بَثِينَةٌ عَنِّي أَنْ سَعَى سَاعٍ	وَأَيْسَتْ بَعْدَ مَوْعُودٍ وَإِطْمَاعٍ
وَصَدَّقْتُ فَيَّ أَقْوَالَ تَقَوَّلَهَا	وَاشٍ وَمَا أَنَا لِلْوَاشِي بِمِطْوَاعٍ
فَقَدْ يَرَى اللَّهُ أَنِّي قَدْ أَحْبَبْتُكُمْ	حُبًّا أَقَامَ جَوَاهُ بَيْنَ أَضْلَاعِي
إِنَّ الْقَلِيلَ كَثِيرٌ مِنْكَ يَنْفَعُنِي	وَمَا سِوَاهُ كَثِيرٌ غَيْرُ نَفَاعٍ
قَدْ كُنْتُ عَنْكُمْ بَعِيدَ الدَّارِ مُغْتَرِبًا	حَتَّى دَعَانِي لِحِينِي مِنْكُمْ دَاعٍ
فَاهْتَاجُ قَلْبِي لِحَزَنِ قَدْ يُضَيِّقُهُ	فَمَا أَغْمَضُ غُمْضًا غَيْرَ تَهْيِيعٍ
وَلَا تُضَيِّعَنَّ سَرِّي إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ	إِنِّي لَسَرِّكَ حَقًّا غَيْرُ مَضْيَاعٍ
أَصُونُ سَرِّكَ فِي قَلْبِي وَأَحْفَظُهُ	إِذَا تَضَاقَقَ صَدْرُ الضَّيِّقِ الْبَاعِ (٤)

ومما لا شك فيه أنه لا يخفى علينا أثر الجناس هنا وما أحدثه من ثراء في النغمة الموسيقية التي أدت وظيفتها في إعطاء خفة في الإيقاع الداخلي ، مما يجعل القصيدة أكثر قبولاً عند المتلقي ، فهي مغناة وإن لم تغن ، لما فيها من جرس موسيقي صنعه الشاعر .

(١) ينظر : البلاغة والتطبيق : ٤٢٥ .

(٢) الخصائص : ٥٠ / ٢ .

(٣) ينظر : الصورة الشعرية في الغزل العذري : ٢٨٤ .

(٤) ديوان جميل بثينة : ٦٧ - ٦٨ .

♦ التكرار :

يشكل التكرار قاعدة أساسية وواسعة في مجال الإيقاع الشعري ولا سيما الإيقاع الداخلي ، إذ أن الموسيقى الداخلية هي تكرار لوحدات صوتية ، (فالتكرار حركة في الصوت) ^(١) .

وقد حدد بعض النقاد القدامى مواضع التكرار التي يحسن فيها ، والمواضع التي يقبح فيها ، فيقول " ابن رشيق " : (وللتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقبح فيها ، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل ، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه . ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشويق والاستعذاب إذا كان في تغزل أو نسيب) ^(٢) .

والتكرار أسلوب من أساليب علم البيان أحد علوم البلاغة الرئيسية : المعاني والبيان والبدیع كما أنه أسلوب في التعبير العربي ، عرفه شعراء ما قبل الإسلام ورددوه كثيراً في أشعارهم وخاصة عنتره .

فقد كان الشاعر الجاهلي يسعى إلى تحقيقه من طريقتين متقابلتين :

أحدهما : نمطي يتصل بنظام القصيدة القديمة كما كانت قد استقرت عليه عبر تاريخها الطويل وهو الالتزام بقافية واحدة وبحرف واحد يحدث بها الشاعر إيقاعاً صوتياً واحداً في القصيدة جميعاً .

والثاني : إبداعي يكشف فيه الشاعر عن قدراته الخاصة في أحداث أصوات بعينها تتكرر في كل بيت على حدة ، فتخلق في داخله " جناساً صوتياً " وتختلف من بيت إلى آخر فتخلق بين هذا البيت وغيره من أبيات القصيدة الأخرى وقوافيها الثابتة ما يصح أن نسميه " طباقاً صوتياً " ، ومعنى ذلك أن الشاعر القديم قد استطاع أن يقيم من هذا " التكرار الصوتي " كما يتجلى في موسيقى الأبيات والقوافي بناءً موسيقياً متنوعاً فلم تكن أصوات الأبيات الشعرية في كل الأحوال من جنس أصوات القافية ، كما أنها تختلف من بيت إلى آخر ، وهكذا خرج الشاعر

(١) في إيقاع شعرنا العربي وبينته ، الدكتور . محمد عبد الحميد ، الناشر : دار الوفاء للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ م ، ص ٧٣ .

(٢) العمدة : ٢٥ / ٢ .

من موسيقاه بين المخالفة والمماثلة اللتين تنبعان من أصل واحد هو ما أسميناه بـ " التكرار الصوتي " (١) .

وقد حقق الشاعر الجاهلي هذا التكرار الصوتي بوسائل عدة منها : تكرار حروف بعينها في كل بيت على حدة ، وتكرار اللفظة من خلال بيتين أو أكثر ، وتكرار العبارة في عدة أبيات ربما ، ونجد هذه الوسائل الثلاث تتحقق في شعر المتيمين الجاهليين . وهناك وسيلة رابعة للتكرار الصوتي ألا وهي " توالي حركات الكسر " (٢) .

أ - تكرار الحرف :

مما لا شك فيه أن تكرار الصوت في الخطاب الشعري يغني ويثري الصورة الشعرية بإيقاع داخلي فيه خصوصية موسيقية ، ويمكن لنا القول أن الباعث لهذا التكرار هو باعث نفسي مرتبط بخلجات الشاعر العذري النفسية وإرهاصاته الداخلية ، إذ إنّ هذا التكرار لا يأتي اعتباطاً في القصيدة أو البيت الشعري ، إنما له مداخلات مع الدلالة التعبيرية التي يؤديها ، والحاجة النفسية التي تطفح على تجربة الشاعر العذرية لتهيئ لهذا الصوت عمله الموسيقي .

يقول الدكتور " شاكر هادي حمود التميمي " : (ولما كان التكرار أحد المظاهر الفنية في القصيدة ، يمكن عن طريقه أن نتعرف إلى نفسية الشاعر أو إلى بعض خوالجها على الأقل ، وتلفت النظر قضية العلاقة بين أكثر الحروف وضوحاً وتكراراً في بيت أو مجموعة أبيات وبين الغرض الشعري وقافية القصيدة) (٣) . وقد ذكر الباحث شواهد شعرية على تكرار الحرف (٤) .

فالأصوات لها أهميتها وقيمتها الدلالية في بث طاقة تعبيرية يستطيع الشاعر استغلالها في نصه الشعري ، لما لها من قيمة كبيرة في إثراء القصيدة بالإيحاءات المعنوية ، وقد أوضح الدكتور " عبد الفتاح صالح نافع " هذه الأهمية وقال : (وهذه الأهمية الكبرى للصوت تجعل مهمة الفنان صعبة وعسيرة ، فلما كان العنصر الحسي الذي تمثله صوتية الألفاظ جزءاً من الفن ، ولما كان الصوت ليس

(١) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٢) ينظر : الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية ، الدكتور . إبراهيم عبد الرحمن ، مكتبة الشباب ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٣) البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٣٤٤ - ٣٤٥ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٣٤٥ - ٣٤٧ .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

مجرد وقع على الأذن بدون معنى وإنما هو أداة لنقل الأفكار والإشارات والرموز ، فإن على الشاعر أن يبذل كل ما يستطيع كي يخرج الصوت من ذلك المنظر المبهم وعديم الشكل الذي يظهر في اللغة العادية وأن يقدمه في مظهر حي ، فيلتحم بالمضمون مضيفاً إليه قيمة أكبر (١) .

ولما كان الشاعر المتيم يسعى إلى أحداث حالة من التوافق بين ما هو حسي من خلال صوت الحرف ، وبين ما هو عاطفي أو الهزة النفسية التي تعتريه فتحرك كيانه وتشغل قواه ، وملكاته وتضطره إلى التعبير (٢) ، وهذا مرتبط بتجربته الذاتية ، فإنه لابد من أن يلجأ إلى انتقاء الحروف انتقاءً معبراً عما يجيش في نفسه وموحياً عن ذاته ومرتبطةً بدلالات معنوية تلقي بظلالها على عملية الخلق الفني ، (وعلى الشاعر أن يوقظ الخيال الخامد من خلال الرواء العذب السلس لأصوات وموسيقى النظم) (٣) .

وإذا ما أراد الباحث أن يتحسس ربط الشاعر المتيم للنغمة الصوتية بالحس الشعري ، فلنتأمل عطاء الأصوات في شعرهم ، كما في قول " عنتره بن شداد " الذي كرر حرف (اللام) في قوله :

لعوبُ بالبابِ الرجالِ كأنَّهُـ	إذا أسفرتِ بدرُ بدا في المحاشدِ
شكتِ سقماً كيما تعادُ وما بهـ	سوى فترة العينين سقماً لعائـ
من البيض لا تلقاكِ إلا مصونـ	وتمشي كغصن البان بين الولايدِ
كأنَّ الثريا حين لاحت عشيـ	على نحرها منظومةٌ في القلائدِ
منعمةُ الأطرافِ خودُ كأنَّهُـ	هلالٌ على غصنٍ من البان مائدِ
حوى كلَّ حُسنٍ في الكواعبِ شخصُها	فليس بها إلا عيوبُ الحواسدِ (٤)

(١) عضوية الموسيقى في النص الشعري ، مكتبة المنار ، الأردن - الزرقاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ٣١ .

(٢) ينظر : البنية الإيقاعية في شعر شوقي ، الدكتور . محمود عسران ، طبعة ونشر وتوزيع مكتبة بستان المعرفة ، ٢٠٠٦ م ، ص ٤٣٥ .

(٣) عضوية الموسيقى في النص الشعري : ٣٥ .

(٤) شرح ديوان عنتره بن شداد : ٥٠ .

إذ كرر الشاعر حرف " اللام " أربعاً وعشرين مرة لما في هذا الحرف من دلالة توحى بمزيج من الليونة والتماسك والالتصاق ^(١) .

وأيضاً نجد حرف " اللام " يتكرر في قول المرقش الأكبر خمس مرات :

أَغَالِيكَ الْقَلْبُ اللَّجُوجُ صَبَابَةً وشوقاً إلى أسماء أم أنتَ غَالِبُهُ ^(٢)

ونجد حرف الهاء يتكرر أيضاً ست مرات عند عبد الله بن العجلان :

أَعَاودَ عَيْنِي نَصْبُهَا وَغُرُورُهَا أهُمُّ عَنَاهَا أَمْ قَذَاهَا يُعُورُهَا ^(٣)

ومن هنا تتأكد لنا حقيقة أن الشاعر المتيم لم يأتِ بالأصوات متكررة اعتباطاً ، وإنما كان ترديدها زيادة في إيصال معنى من المعاني التي يوظفها في خدمة أحاسيسه الداخلية .

وقد وظف الشاعر المتيم تكرار الصوت على هذا الأساس ، إذ وجد علاقة قائمة بين الصوت والمعنى الذي يؤديه ، فساقه في صوره الشعرية ليملأها بالنغمة الموسيقية والطاقة التعبيرية معاً في الوقت نفسه ، فأكثر من تكرار الصوت في خطابه الشعري ، ومع هذا اكتفينا بالشواهد الشعرية السابقة فهي عينات لتأكيد صحة ما نذهب إليه ، وذلك لكثرتها مما لا يسع هذا المبحث الإلمام بها كلها ^(٤) .

ب - تكرار اللفظة :

يلجأ الشاعر العذري إلى تكرار بعض الكلمات في غزله ، لما تشكله هذه اللفظة المكررة من أهمية في تجربته الشعرية والشعورية ، لأن هذه الألفاظ المكررة تلح على الشاعر بالظهور ؛ نظراً لقيمتها الدلالية التي تكمن في نفس الشاعر ، ولتمثيلها هاجساً من هواجسه الداخلية ، فمثلاً يكرر الشاعر اسم محبوبته لأن فيه نغماً مريحاً لنفسه المتعبة ، ويثير فيه نوازع داخلية ذاتية ، ولا عجب في ذلك لأن

(١) ينظر : خصائص الحروف العربية ومعانيها ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، ١٩٩٨ م ، ص ٩٣ .

(٢) ديوان المرقشين : ٤٣ .

(٣) ديوان عبد الله بن العجلان النهدي : ٢٦ .

(٤) ينظر على سبيل المثال : شرح ديوان عنتر بن شداد : ٣٧ - ٣٩ - ٤٠ - ٥٠ - ٥٧ - ٦٧ - ٧٠ ... وشعر المرقشين : الأغاني : ٦ / ٣٧٦ - ٣٨٥ ، وأخبار المرقش الأكبر وصاحبته أسماء : تزيين الأسواق : ١ / ١٦٠ - ١٦٣ . وديوان المرقشين ، وشعر عبد الله بن العجلان : الأغاني : ٢٢ / ٤٣١ - ٤٣٥ ، وتزيين الأسواق : ١ / ١٤٠ - ١٤٤ . وشعر قيس بن الخدّادية : الأغاني : ١٤ / ٣٤٨ - ٣٥٩ ، وتزيين الأسواق : ١ / ١٨٤ - ١٩٤ . وشعر عدي بن زيد العبادي : ٢ / ٣٩٣ - ٤٣٠ . وغيرهم من المتيمين الجاهليين .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

العاشق يحلو له ذكر اسم محبوبته وتطرب نفسه لذكره ، إذن هو باعث نفسي يدفعه إلى تكرار اسم المحبوبة ليتلذذ به .

وهذا ما فعله الشاعر العذري إذ كرر اسم المحبوبة من باب الاشتياق لها ، والتلذذ باسمها وكأنه لحن موسيقي يرن في أذنه .

ويهيح النداء باسم المحبوبة شجون الشاعر العذري وأحزانه ، فهو يمثل عنده الذكرى التي تثير فيه الألم . وقد يستعذب هذا التكرار ليصل به الأمر إلى أن يذكر اسم المحبوبة عدة مرات ، فيعقد اسمها بأبيات القصيدة كلها ، كما في قول عنتره :

يا عبل نار الغرام في كبدي	ترمي فؤادي بأسهم الشرر
يا عبل لولا الخيال يطرقني	قضيت ليلي بالنوح والسهـر
يا عبل كم فتنة بليت بها	وخضتها بالمهند الذكـر ^(١)

وقوله أيضاً :

يا عبلَ إن هوائك قد جاز المدى	وأنا المعنى فيك من دون الورى
يا عبلَ حبك في عظامي مع دمي	لما جرت روحي بجسمي قد جرى ^(٢)

فهذه النداءات المتكررة هي من شدة تعلق الشاعر بمحبوبته ، فكرر الاسم لما له في أذنه من جرس موسيقي . وكذلك نجد تكرار اللفظة عند " قيس بن الحداية " وهو يخاطب محبوبته " نعم " :

فقلت لها يا نعم حلي محلنا	فإن الهوى يا نعم والعيش جامع ^(٣)
---------------------------	---

وقد تستدعي بعض المواقف عند شعراء الغزل العذري ألفاظاً معينة تخص تجاربهم الذاتية ، فهي تعد إرهاصات نفسية يستحضرها الشاعر . والشواهد على تكرار اللفظة كثيرة في شعر المتيمن الجاهليين .

ج - تكرار العبارة :

(١) شرح ديوان عنتره بن شداد : ٦٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٧٠ .

(٣) الأغاني : ١٤ / ٣٥٧ .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

يحمل تكرار العبارة في الغزل العذري طاقات شعورية وتعبيرية وتصويرية فائقة ، ربما تكون ناتجة من تنويع في الموسيقى الداخلية للشعر وما فيه من إثراء في التنغيم الصوتي ، فالألفاظ – كما يقول الجرجاني - : (لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة . وإن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها ، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ) (١) ، إذ إن لتركيب المفردات أهمية بالغة في الأسلوب ؛ لأن (العبرة ليست في الألفاظ مفردة ، بل مركبة ، وإن الحكم على الأثر الأدبي يقوم على أداء العبارة للمعنى) (٢) .

ويقول الدكتور " شاكِر هادي حمود التميمي " (وقد يعمد الشاعر إلى تكرار عبارة معينة في أوائل الأبيات ، وهذا اللون من التكرار يؤكد المعنى الذي يريد الشاعر ، ويشوق السامع لمعرفة ما بعد العبارة المكررة) (٣) .

وليس بالضرورة أن يحمل التكرار الدلالة نفسها وإن تشابهت صيغته ، فكل عبارة مكررة دلالتها المرتبطة بالتجربة الشعورية للشاعر العذري يمليه عليه الموقف النفسي الذي هو فيه ، فمثلاً " المرقش الأصغر " عندما كرر عبارة " ألا يا اسلمى " ، في قوله :

ألا يا اسلمى لا صرم لي اليوم فاطما ولا أبداً مادام واصلك دائماً
ألا يا اسلمى بالكوكب الطلق فاطما وإن لم يكن صرف النوى متلائماً
ألا يا اسلمى ثم اعلمي أن حاجتي إليك فردي من نوالك فاطماً (٤)
أنما يريد من هذا التكرار التركيز على الذنب الذي بدر منه اتجاه محبوبته ،
والندم الذي جعله يجذم كفه بسبب ذلك الذنب . وقوله :

لابنة عجلان بالجور رسوم لم يتعفين والعهد قديماً
لابنة عجلان إذ نحن معاً وأي حال من الدهر تـــــــدوم (٥)

(١) دلائل الأعجاز : ٩٠ .

(٢) بناء القصيدة العربية ، الدكتور . يوسف حسين بكار ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٩ م ، ص ١٧٤ .

(٣) البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٣٥٠ .

(٤) ديوان المرقشين : ٩٧ - ٩٩ .

(٥) المصدر نفسه : ٩٤ .

وكذلك نجد هذا التكرار عند " المرقش الأكبر " إذ يقول :

فهل تُسلي حُبها بازلٌ ما إن تُسلي حُبها من أمم ^(١)

ويتضح لنا - مما سبق أن ما أوردناه من شواهد شعرية - أن الشاعر المتيم قد أسهب في تكراره للصوت إسهاباً ينم عن قدرة شعرية ومعرفة في التعامل مع الأصوات ، ولو أردنا أن نرتب إحصائية عددية لعملية التكرار لرأينا تكرار الصوت في المرتبة الأولى ، ومن ثم تكرار اللفظة وبعدها تكرار العبارة .

(١) ديوان المرقشين : ٧٤ .

المبحث الرابع

بناء القصيدة

بناء القصيدة :

ورد الاتفاق في المظان اللغوية على أن البناء : نقيض الهدم ... والبناء : مُدبرُ البُنيان وصانعه ... (١) . إلا أن التغيير أصاب هذه اللفظة حينما أصبحت مصطلحاً من المصطلحات الأدبية والنقدية ، فغدت تعني (المعنى العام للأثر الأدبي وهو الرسالة التي ينقلها هذا الأثر بحذافيرها إلى القارئ بحيث يمكن التعبير عنها بطرق شتى غير التعبير المستعمل في الأثر الأدبي المذكور) (٢) .

يقول " أنطوني ويلدن " : (البناء هو مجموعة القوانين التي تحكم سلوك النظام ... وتتحكم في العناصر أو المكونات التي يمكن أن تحل محل بعضها البعض) (٣) .

وهذا الالتزام يقترب باللفظة من معناها اللغوي ، ويكاد المعنى اللغوي أن يكون موصولاً بالمعنى الاصطلاحي الذي أكسب اللفظة ثراءً دلاليًا . وتتضح الرؤية لمصطلح البنية في الكلام من أنها (صياغته ووضع ألفاظه ورصف عباراته) (٤) .

وفي هذا بعض تأكيد لقول قدامة بن جعفر " ت ٣٣٧ هـ " : (بنية الشعر أنما هو التسجيع والتقفية ، فكلما كان الشعر أكثر اشتمالاً عليه ، كان أدخل له في باب الشعر ، وأخرج له عن مذهب النثر ...) (٥) ، (فبنية هذا الشعر على أن ألفاظه مع قصرها قد أشير بها إلى معان طوال) (٦) . ومع هذا فإن استقرار المصطلح وتحديد مسأله نسبية لا يمكن المجازفة في القول إن البنية بكونها مصطلحاً حددت دلالاته تحديداً جامعاً لا مجال فيه ، وإن كانت هناك محاولات نقدية حديثة لتحديد

(١) ينظر : لسان العرب ، وتهذيب اللغة : مادة (بنى) .

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، وكامل المهندس ، مكتبة لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ م ، ص ٩٦ .

(٣) المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة ومعجم انجليزي - عربي) ، الدكتور . محمد عناني ، مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ، دار نورمان للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ م ، ص ١٠٤ .

(٤) معجم النقد العربي القديم ، الدكتور . أحمد مطلوب ، دار الثقافة العامة ، بغداد ، ١٩٨٩ م ، ص ١ / بنية .

(٥) نقد الشعر ، تحقيق : كمال مصطفى ، القاهرة ، ١٩٤٩ م ، ص ٦٠ .

(٦) المصدر نفسه : ١٧٤ .

مفهوم البنية في أنها (كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه ، ولا يمكنه أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه) (١) .

وهذا يدلنا على تعلق مصطلح البنية بمصطلح آخر ، إذ لا يمكن أن نتضح البنية بوصفها مفهوماً اصطلاحياً إلا بوجودها مرتبطة بأحد المصطلحات مثل " بنية القصيدة أو البنية اللغوية أو البنية الشعرية أو البنية الإيقاعية " ، مما أدى إلى التوسع في استعمالاتها الأدبية والنقدية كونها مصطلحاً له دلالاته النقدية والأدبية من دون لبس (٢) .

إن القصيدة العربية القديمة كما يرى " أدونيس " كانت قصيدة اليقين والطمأنينة ، كانت تنويعاً على رتبة الحياة البدوية والمعاني الشعرية ، كانت معاني حسية ، (فالشاعر الجاهلي لم يكن ينظر إلى الأشياء بأفكار مسبقة ، كان يحسها ويراهها بسيطة واضحة ، لا تخبئ بالنسبة إليه أية دلالة متعالية أو أي معنى ميتافيزيائي) (٣) . ولم يكن الشعر الذي هو تجسيد لتجربة فردية سوى ترجمة لتجربة عامة (إنه شعر ممتزج بقدر الإنسان ومصيره ، بأيامه الأليفة ، شعر شخصي ، لكنه لجميع الأشخاص) (٤) ، بعبارة أخرى كانت القصيدة الجاهلية نقلاً للحياة العربية فالشاعر الجاهلي (لا يقصد أن يغير حياته ، بل يريد على العكس أن يؤكد) (٥) . يعني هذا أن الشاعر الجاهلي استمد معانيه وأخيلته من بيئته سواء أكانت مادة الخيال مطبوعة أم مصنوعة ، فمعانيه أصيلة صادقة ، وخياله نابع من نفسه ، ومستوحى من مشاهداته .

فإذا أراد أن يرسم صورة لحبيبه ، نظر بعينه إلى بيئته ، ليستمد منها أجمل ما فيها فيلحقها بجمال حبيبه ، لذلك شبهها بالبدر ، والشمس ، والمهابة ، والدر ، والدمية ، والرماح ، والسحاب ، والظبية ، والقطاة ، وغير ذلك . وقد تابعه الشاعر الإسلامي فيما ذهب إليه ، لأن القاسم المشترك بينهما لم يتغير ، وهو البيئة ، أضف

(١) نظرية البنائية في النقد الأدبي ، الدكتور . صلاح فضل ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، ص ١٢١ .

(٢) ينظر :

١- بنية القصيدة الجاهلية ، الدكتور . علي مرشدة ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان - الأردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦ م .

٢- الصورة الشعرية في الغزل العذري : ٢٠٨ .

(٣) مقدمة للشعر العربي ، دار العودة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م ، ص ٢٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٣٢ .

(٥) المصدر نفسه : ٢٣ .

إلى ذلك أنه كان مجبولاً بحيوية هذا الشعر الجاهلي وصدقته^(١) . وخير مثال على ذلك الشعراء المتيمون الذين عاشوا العصرين الجاهلي والإسلامي ، وغير المتيمين من الإسلاميين ، فقد ظلت معانيهم مستمدة من بيئتهم البدوية الأصلية الخالصة ، إذ خلت - في جملتها - من التعمق والتفلسف ، والغلو الذي يخرجها من حد التعقل ومألوف الطبع .

ومن قصيدة " لقيس بن الحُدادية " (٢) - وهو شاعر جاهلي - أقتبس " عمر بن أبي ربيعة " بعض المعاني منها في رائيته الشهيرة في " نَعَم " (٣) . وهذا ما نوه الباحث إليه سلفاً ، وقد يطول بنا المقام إذا نحن تابعنا المعاني الجاهلية التي وردت في شعره إذ أن شعره كما يقول الدكتور " شكري فيصل " : (وفي شعر عمر جانب آخر جدير أن نتوقف عنده على أنه من هذه العلامات البارزة الواضحة فيه .. وذلك هو أن هذا الشعر يحفل بالكثير من القيم الجاهلية ، وأنه لذلك يمكن أن يعتبر ، في شيء من تجوز ، لوناً من الردة الجاهلية) (٤) .

لم يكن لقصيدة الغزل بناء واحد مضطرد ، فهي إما جزء من قصيدة في غرض من الأغراض ، وهي ما تعرف بالمقدمات ، وأما قصيدة مستقلة بذاتها تتفاوت طولاً وقصراً بتفاوت الشعراء وتجاربهم ؛ وأما مقطوعة في أبيات محدودة وهو أكبر تطور آلت إليه قصيدة الغزل عند الشعراء (٥) . فما يخص المقدمات فقد أثارت المقدمة الغزلية عدداً من النقاد القدامى والمحدثين فراحوا يبحثون في الأسباب والدوافع التي أدت إلى نشوئها .

" فابن قتيبة " حاول أن يعد المقدمة الغزلية نوعاً من تهيئة السامع لأن يتلقى ما يسمع بعاطفة رقيقة . تسيطر على لبه وتشده للاستماع ، وليس هناك أشهى إلى النفوس من الحديث عن القيم الجمالية في المرأة ، وغنجها ودلالها . يقول : (وسمعتُ بعض أهل الأدب يذكر أن مُقصد القصيد إنما ابتداءً فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليُجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الضاعنين " عنها " إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه

(١) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ٢٠٥ .

(٢) ينظر : الأغاني : ٣٥٤ / ١٤ - ٣٥٧ . وتزيين الأسواق : ١ / ١٨٤ - ١٨٥ .

(٣) ينظر : شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة (٢٣ هـ - ٦٤٤ م) ، (٩٣ هـ - ٧١١ م) ، شرحه وقدم له : عبد أ . علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ص ١١٩ - ١٢٥ . وينظر : الصفحات : ١٣ - ١٧ .

(٤) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : ٥٠١ .

(٥) ينظر : اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري : ٣٠٦ .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

نازلة المدر لانتقالهم عن ماء إلى ماء وانتجاعهم الكلاً وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق لئيميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجود ويستدعي " به " إصغاء الأسماع " إليه " لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما " قد " جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام (١) .

أن هذا الرأي يعد أول رأي لتفسير المقدمة الغزلية وهي عنده - ابن قتيبة - تمثل جزءاً من القصيدة يفضي إلى أجزاء أخرى منها . وهو نهج سار عليه الشعراء فيما بعد ، إذ ليس لمتأخر الشعراء أن يخرج فيه عن مذهب المتقدمين . وكذلك فإن هذا الرأي مفاده ما كان يعتمد عليه العرب في حلهم وترحالهم وفي رحلتهم من مكان إلى مكان ، مفصحين عما في نفوسهم ، فينجذب السامع إليهم بالاستماع .

ولم نجد من يؤيد هذا الرأي من القدماء ويوافقه إلا " ابن رشيق القيرواني " حيث يقول : (وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب ، لما فيها من عطف القلوب واستدعاء القبول بحسب ما في الطباع من حب الغزل ، والميل إلى اللهو والنساء ، وأن ذلك استدراج إلى ما بعده) (٢) .

وقد تابع ابن قتيبة وابن رشيق من النقاد والباحثين المحدثين ، الدكتور " البهبيتي " (٣) ، والدكتور " أحمد محمد الحوفي " الذي يرى أن الشاعر يفتح قصيدته بالغزل ليهيئ السامع لأن يتلقى ما يسمع بعاطفة متفتحة ، ووجدان يقظ ، فالغزل هنا كالمقدمة في الخطبة ، يمهد بها الخطيب أذهان السامعين لموضوعه ويهيئهم للسماع . وأي حديث أشهى إلى النفس وأحلى موقعاً في الأذن من حديث الصبابة ؟ وأي افتتاح أدعى إلى الإنصات والانتباه من وصف المرأة في جمالها الساحر ، وفي وصلها وهجرها ورضاها وصددها ؟ (٤) . والدكتور " شكري فيصل " (٥) ، والدكتور " عبد العزيز الكفراوي " ، الذي يرى أن مثل هذه المقدمة تخدم غرض الشاعر من ناحيتين :

(١) الشعر والشعراء : ٢٠ .

(٢) العمدة : ٢٣١ / ١ .

(٣) ينظر : تاريخ الشعر العربي : ٧٤ - ٧٥ .

(٤) ينظر : الغزل في العصر الجاهلي : ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٥) ينظر : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : ٢٧ وما بعدها .

أولاهما : إنه يقوي انفعاله ، ويذكي شاعريته ، ويرضي شيطانه فيمده بكل جديد وعجيب من المعاني والأفكار . وثانيتهما : إنه يخدر السامعين ويسحرهم بتلك العواطف الإنسانية العامة التي يرى فيها السامع صورة من عواطفه ومغامراته ، فتأخذه هزة ونشوة تنسيه المنطق الجاف ، بل الوقار والتعقل ، وتجعله أداة طيعة في يد الشاعر يوجهه بها كيفما شاء (١) .

وقد برزت في النقد الأدبي الحديث تفسيرات وتصورات كثيرة للمقدمة الغزلية كان من بينها ما أطلق عليه " التفسير الوجودي " الذي تبناه المستشرق الألماني " فالتر براونه " الذي يعارض فيه رأي ابن قتيبة الذي يفسر المقدمة الغزلية بأنها وسيلة لاستمالة القلوب لأن الشاعر عضو في المجتمع البدوي ، مشترك في حياة عرب الجزيرة وبيئتهم . ومن المفهوم أن كل ما يسوقه من وصف للناقة والصحراء ومن فخر بالقبيلة وهجاء العدو جدير بجذب انتباه مجتمعه فما الذي يلزمه إلى طلب الإصغاء (٢) . ويرى أن النسيب هو الموضوع الذي حرك الإنسان من حين إلى حين وهو الموضوع الذي يسترجع فيه إنسان اليوم وزنه وأهميته وهذا الموضوع هو اختيار القضاء والفناء والتناهي (٣) . فضلاً عن ذلك يعتقد أن الشعراء صدروا في نسيبهم عن مشاعر صادقة كامنة في نفوسهم ، تمثل نوعاً من القلق الوجودي ، ويرى في قول الشاعر أن وجوده محدود وممتناه (٤) .

إذن المقدمة الغزلية كما يرى براونه لم تكن تمهيداً لما بعدها ، وإنما هي مقصود لذاتها . ولها أهمية كبيرة في بنية القصيدة العربية . لأنها تعبر تعبيراً مباشراً عن تجربة شعورية شاملة في وعي الشاعر العربي .

ولم يبتعد الدكتور " عز الدين إسماعيل " كثيراً عما ذهب إليه المستشرق الألماني فالتر براونه (٥) ، وقد أتهم بالسطو على آرائه (٦) .

-
- (١) ينظر : الشعر العربي بين الجمود والتطور : ٣١ .
(٢) ينظر : الوجودية في الجاهلية ، مجلة المعرفة السورية ، السنة الثانية ، العدد الرابع ، حزيران ، ١٩٦٣ م ، ص ١٥٧ .
(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٥٩ .
(٤) ينظر : المصدر نفسه : ١٦١ .
(٥) ينظر : روح العصر (دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة) ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ م ، ص ١١ .
(٦) ينظر : مجلة المعرفة السورية ، العدد السابع والعشرون ، السنة الثالثة ، ١٩٦٤ م ، ص ١٥٣ - ١٥٦ .

ويذهب بعض النقاد المحدثين إلى الرموز في تفسير المقدمة الغزلية ، فالدكتور " مصطفى ناصف " يربطها ربطاً رمزياً بقضية الموت ، فالبكاء على أطلال الحبيبة الراحلة ، هو بكاء على الحياة التي لا يمكن استرجاعها بأي شكل من الأشكال ، وبهذا يكون النسب في مقدمة القصيدة رمزاً لمشكلة الموت (١) .

أما الدكتور " محمد حسين علي الصغير " ، فيقدم لنا تفسيراً آخر لوجود المقدمة الغزلية ، يمتزج فيه التعبير الرمزي بمكونات الشاعر النفسية وخفائيه ، إذ يرى أن المقدمة الغزلية تحمل قيماً رمزية ، وهي رصد للمفاهيم الخفية التي تنبئ عن داخلية الشاعر وقرارة أحاسيسه الباطنية ، سواء أكان هذا الشاعر جاهلياً أم إسلامياً أم أموياً (٢) .

ويرى الدكتور " محمود عبد الله الجادر " أن رمز المرأة يتخذ طريقه إلى مقدمة القصيدة الجاهلية من خلال الرغبة في بناء أرضية نفسية تفتح الطريق إلى التجربة الموضوعية وتمهد لإطارها وتفصيلها وترسم ملامح آفاقها منذ المرحلة الأولى في بناء الحدث الفني (٣) .

وعلى ذلك يمكن للباحث القول إن المقدمة الغزلية ليست لوحة سطحية تقليدية يجاري فيها الشاعر غيره من الشعراء كما يزعم كثير من الباحثين ، وإنما هي جزء حي وأصيل من تجربة الشاعر التي عبر عنها بروى الفنان الأصيل . وعلى الرغم من الآراء النقدية التي اعتمدناها في تفسير المقدمة الغزلية ، فإننا نجد لها في العصرين الإسلامي والأموي ما يميزها في بنائها الفني المعبر عن صدق التجربة ، وعن ارتباطها بواقع حياة الشاعر ، فضلاً عن الملامح الفنية الجديدة التي تخللتها . إن هذا المفهوم للمقدمة الغزلية كان في مقدمة القصيدة الجاهلية منذ امرئ القيس ثم قلده الشعراء ، مع أن كل مقدمة في كل قصيدة لها ارتباط بالغرض الرئيس ، ثم جاء كعب بن زهير وحسان بن ثابت واستمر الشعراء ، غير أن المقدمة في القصيدة

(١) ينظر : دراسة الأدب العربي ، دار الأندلس ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، ص ٢٣٦ - ٢٣٨ .

(٢) ينظر : الصورة الأدبية في الشعر الأموي ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٧٥ م ، ص ٧٧ - ٨٣ .

(٣) ينظر : دراسات نقدية في الأدب العربي ، مطبعة دار الحكمة ، الموصل ، ١٩٩٠ م ، ص ٧٦ .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

الأموية فقدت هذه الصلة الدلالية بينها وبين الغرض الرئيس وتحولت إلى لوحة مستقلة ليس لها ارتباط بغرض القصيدة^(١).

فكثيراً ما كانت القصيدة الغزلية الجاهلية في بنائها عبارة عن نجوى بين الشاعر ونفسه ، يترجم بها عن مشاعره وكانت الحبيبة وديارها أحب شيء إلى نفسه ، وألصق بمشاعره ، (إذن فالمقدمة الغزلية ليست متكلفة ومصطنعة كما يعتقد اغلب الباحثين ، وإنما تصدر عن عاطفة من نوع هادئ مرة ومشبوب أخرى ، ذلك أن الشاعر وإن جرى على عرف سابقه في بدء القصيدة بالغزل والوقوف على الأطلال ، أي بهذا البدء العاطفي ، فهو إنما يبدأ بشيء محبب إلى نفسه كما لحظ الأقدمون ، بل هو أحب شيء إلى نفسه ألا وهو المرأة ووصفها والحديث عنها)^(٢).

لقد شغل الشاعر أولاً بنفسه وبعواطفه إزاء المرأة ، فجرت على لسانه وشعره^(٣). ومن الطبيعي أن تأتي القصيدة لحناً ذاتياً يتغنّى الشاعر فيها بنفسه ، كما فعل الشاعر قيس بن الحُدادية في قصيدة طويلة يشكو فيها من هوى "نعم" إذ قال :

أَجِدُّكَ أَنْ نَعْمُ نَأَتْ أَنْتَ جَازِعٌ قَدْ اقْتَرَبْتُ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُ
قَدْ اقْتَرَبْتُ لَوْ أَنَّ فِي قُرْبِ دَارِهَا نَوَالاً وَلَكِنْ كُلُّ مَنْ ضَنَّ مَانِعُ
وَقَدْ جَاوَرَتْنَا فِي شُهُورٍ كَثِيرَةٍ فَمَا نَوَلْتُ وَاللَّهِ رَاءٍ وَسَامِعُ
فَإِنْ تَلَقَّيْنِ نَعْمَى هُدَيْتَ فَحْيَهَا وَسَلْ كَيْفَ تُرْعَى بِالْمَغِيبِ الْوَدَائِعُ^(٤)

(١) ينظر :

- ١- البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل : ١٠١ - ١٠٤ .
- ٢- دراسات نقدية في الأدب العربي : ٥٦ .
- ٣- آفاق في الأدب والنقد ، الدكتور . عناد غزوان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ م ، ص ١٣٦ - ١٤٥ .
- (٢) جرير (حياته وشعره) ، الدكتور . نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ م ، ص ٢٦ .
- (٣) لعل معلقة امرئ القيس تعد صورة مكبرة لذلك النوع من الشعر الذي لم يفكر فيه الشاعر فيما وراء نفسه . ينظر : الشعر العربي بين الجمود والتطور : ٢٩ - ٣٠ . ويتضح هذا أيضاً في معلقة عنتره وطرفة ، فقد كانت ذات الشاعر هي المحور الذي يدور في المعلقة . ينظر : نشأة القصيدة المطولة في الشعر العربي قبل الإسلام ، جنان محمد عبد الجليل ، أطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، ٢٠٠٠ م ، ص ١٥ - ٢١ .
- (٤) الأغاني : ١٤ / ٣٥٤ - ٣٥٧ . وتزيين الأسواق : ١ / ١٨٤ - ١٨٥ .

وَيُمْضِي الْقَصِيدَةَ كُلِّهَا فِي الْحَدِيثِ عَنْ حَبِّهِ وَتَعَزُّلِهِ ، وَالشُّكْوَى مِنْ
الْوَشَاةِ ، وَيَخْتَمُّهَا بِمَا دَارَ مِنْ حِوَارٍ بَيْنَهَا وَبَيْنِهِ ، إِذْ يَقُولُ :

فَقُلْتُ لَهَا يَا نَعْمَ حُلِّيْ مُحَلَّنَا

فَإِنْ الْهَوَىٰ يَا نَعْمَ وَالْعَيْشَ جَامِعُ

فَقَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ عَبْرَةً

بِأَهْلِي بَيِّنْ لِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ ؟

فَقُلْتُ لَهَا تَاللهُ يَدْرِي مَسَافِرُ

إِذَا أَضْمَرْتَهُ الْأَرْضُ مَا اللهُ صَانِعُ

فَشَدَّدْتُ عَلَىٰ فِيهَا اللَّثَامَ وَأَعْرَضْتُ

وَأَمَعْنَ بِالْكُحْلِ السَّحِيقِ الْمَدَامِعُ

وَإِنِّي لِعَهْدِ الْوَدِّ رَاعٍ وَإِنَّنِّي لَوْصَلْتُكَ مَا لَمْ يَطُونِي الْمَوْتُ طَامِعُ (١)

وعلى هذه الصورة أهتم الشاعر بعواطفه أولاً ، عندما أولاها مقدرته وإبداعه
الشعري فصاغها قصيدة استودعها ما عاناه وكابده .

كانت القصيدة العربية إذن تتناول موضوعاً واحداً هو الألفق بحياة الشاعر
وهواجسه وهمومه ، وبعد مدة فنية لا نستطيع أن نخمن مداها ، ارتبطت الأطلال
بالغزل ارتباطاً عفويّاً . فحين يمتد بالشاعر الطريق وهو على ناقته ويشاهد أطلال
حبيبته تعاوده الهموم ، فيأخذ في استرجاع ذكرياته مسلياً نفسه ينشد لها شاكياً هجر
صاحبته ، واقفاً على ديارها ، ذاكرّاً مواضعها واصفاً أثارها الباقية . ومن هنا
صارت الحبيبة وديارها موضوعاً واحداً مستقلاً في قصائد كثيرة ، فإذا كانت
الحبيبة هي المثير الطبيعي لعاطفة الحب فإن الأطلال هي المعادل
الموضوعي ، وتفسير ذلك أن الحبيبة بعيدة عن الشاعر فديارها حلت محلها في
إثارة عاطفة حبها (٢) .

إن قصيدة " المرقش الأصغر " التي مطلعها :

لَابَنَةُ عَجَلَانَ بِالْجَوِّ رُسُومٌ لَمْ يَنْعَقَيْنِ وَالْعَهْدُ قَدِيمٌ (٣)

لا تخرج في موضوعاتها الفرعية عن حديث الغزل ، إذ أنه بعد المقدمة
الطللية وصف سهره وأرقه ، ثم عطف على فعل الدهر ، وهو حديث موصول
بالحديث الأول ، إذ يقول :

(١) الأغاني : ٣٥٤ / ١٤ - ٣٥٧ . وتزيين الأسواق : ١٨٤ / ١ - ١٨٥ .

(٢) ينظر : دراسات في علم النفس الأدبي ، حامد عبد القادر ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ص ٥٦ .

(٣) ديوان المرقشين : ٩٤ .

تبكي على الدهر والدهر الذي أبكاك فالدَّمْعُ كالشَّنِّ الهَزِيمِ^(١)

ومثله يفعل " طرفة " حين يستهل قصيدته بذكر أطلال " سلمى " ^(٢) ثم يذكر قصة " المرقش وأسماء " إذ يقول :

وقد ذهب سلمى بعقلك كُلِّه
فهل غيرُ صيدٍ أحرزتَه حبايِلُهُ
كما أحرزت أسماء قلب مُرقَّشٍ
بحُبِّ كلمعِ البرقِ لاحت مخايلُهُ
وأنكحَ أسماءَ المُرادِي يبتغي
بذلك ، عوفٌ أن تُصاب مقاتِلُهُ
فلَمَّا رأى أن لا قرارَ يُقرُّه
وأنَّ هوى أسماء لا بُدَّ قاتِلُهُ
ترحل من أرضِ العراقِ مُرقَّشٌ
على طربٍ تهوي سِراعاً رواحِلُهُ
فوجدي بسلمى مثلُ وجدِ مُرقَّشٍ
بأسماءَ إذ لا تستفيقُ عواذِلُهُ
قضى نحبهُ وجداً عليها مُرقَّشٌ
وعُلِّقْتُ من سلمى خبالاً أماطِلُهُ
لعمري لموتٌ لا عَفْوةَ بعده
لذي البثِّ أشفى من هوى لا يزايِلُهُ^(٣)

لقد كان اتصال الأطلال بالمرأة اتصالاً قوياً ، وذهب به الشعراء إلى أبعد من الربط بين هذين الموضوعين ، فحين نستقرئ تشبيهات الشعراء للأطلال نجد أن أول ما يتبادر إلى خاطر الشاعر وهو بإزاء أطلال الحبيبة تشبيهها بصور تتصل بها من قريب أو بعيد ^(٤) .

وبعد فإنه يتضح لنا أن الشاعر استطاع أن يخطو الخطوة الأولى نحو تطوير عمله الشعري حين عمد إلى تطويله بالجمع بين موضوعين وهما الأطلال والغزل ^(٥) .

والى مثل ذلك يذهب الدكتور " عبد القادر القط " ، بقوله : (إننا حين نتدبر طبيعة تلك القصائد التي تبدأ بالوقوف على الأطلال ، ندرك أن هناك اتصالاً نفسياً بين المطلع وجو القصيدة العام يجعل من الأطلال " مفتاحاً " للحال النفسية الغالبة

(١) ديوان المرقشين : ٩٥ .

(٢) ديوان طرفة بن العبد : ٦٣ - ٦٥ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ينظر : الغزل في العصر الجاهلي : ٣٦٤ - ٣٧٢ ، ٤٢٠ - ٤٢٦ .

(٥) ينظر : نشأة القصيدة المطولة في الشعر العربي قبل الإسلام : ٢٤ - ٢٨ .

على القصيدة . فالشاعر لا يلح على وصف الأطلال ، ولا يجهد نفسه ليبتكر في وصفها صوراً جديدة ولكنه يربطها ربطاً سريعاً بالمرأة ، ولا يلبث بعد بيتين أو ثلاثة أن يتركها لينتقل إلى حديث عاطفي محوره ذكريات من الماضي يختلط فيها الحب الصادق والعشق العذري ، بمشاهد من سمر الشاعر ومتعته بصحبة جميلة ، وكأن الأطلال المادية ليست إلا مدخلاً للحديث عن " طلل نفسي " تقوم المرأة الهاجرة أو النائية فيه مقام الدار ، ويرمز فيه الخراب والوحشة إلى العلاقات المنبثة والحب المفقود (^١) .

ومما تقدم من هذا المبحث يستشف الباحث أن النقاد العرب يتطلبون في بناء القصيدة أن يكون فيها رابط قوي بين أجزائها حتى تبدو عملاً فنياً متلائم الأجزاء ، مترابط العناصر ، ويتطلبون كذلك تناسباً بين البيت وسابقه ولاحقه ، ليكون هناك سلك يجمع بين هذه الأبيات . وفي البيت الواحد يجب أن يتناسب شطراه في المعنى وفي الروح . وإن تناسب جملة فلا تتصل جملة إلا بما يشبهها ويناسبها ، وأن ترتاح كل كلمة إلى جوار أختها (^٢) .

فهذا الجاحظ " ت ٢٥٥ هـ " يقول : (وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ أفراغاً واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان) (^٣) .

أما الحاتمي " ت ٣٨٨ هـ " فيشبه بناء القصيدة بجسم الإنسان في اتصال أعضائه بعضها ببعض ، إذ يقول : (فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر ، أو باينه في صحة التركيب ، عاد بالجسم عاهة تتخون محاسنه ، وتعفى معالم جماله) (^٤) . وهكذا نجد أن النقد العربي القديم قد التفت إلى وجوب انسجام أبيات القصيدة مع بعضها ، واتساق معانيها ، وأن لا يقع التنافر بينها .

(١) في الشعر الإسلامي والأموي : ٢١٨ - ٢١٩ .

(٢) ينظر : أسس النقد الأدبي عند العرب ، الدكتور . أحمد أحمد بدوي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٤ م ، ص ٣٣١ .

(٣) البيان والتبيين ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م ، ج ١ / ص ٣١ .

(٤) حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، تحقيق : الدكتور . جعفر الكناني ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ م ، ج ١ / ص ٢١٥ .

فالقصيد الجاهلية متهمة من قبل كثير من نقاد العرب المحدثين والمستشرقين بخلوها من الوحدة الفنية ، وربما كان سبب ذلك يرجع إلى أنهم كانوا يرونها تشتمل على عدة أغراض وليس غرضاً واحداً . فقصيد المدح مثلاً يبدؤها الشاعر في كثير من الأحيان بالغزل ، وقد يضع في أثنائها الوصف والحكمة .

ولكن هذا الاتهام فيه حيف وظلم كبيران ، لأن تعدد الأغراض لا يعني بأي شكل من الأشكال تفكك الوحدة الفنية في القصيدة . أو أن القصيدة مكونة من أمشاج ممزقة ولنا في رأي ابن قتيبة الذي يقول فيه : (... إن مقصد القصيد إنما ابتداء فيها بذكر الديار ...) (١) دليل على ذلك فهو ينفي التهمة الموجهة إلى القصيدة الجاهلية ، إذ تبين لنا أن الشاعر الجاهلي كان يعي عمله جيداً ، فالأجزاء التي تتكون منها القصيدة ، تنشأ نشوءاً طبيعياً . فهو يصل كل جزء منها بالجزء الذي يليه ، وهكذا إلى أن تتكامل القصيدة (فالصلة ، وثيقة بين موضوعات القصيدة الواحدة ، فكل جزء فيها يُذكر بجزء بعده ، ويستجيب لجزء قبله ، فإذا المعاني موصولة يأخذ بعضها برقاب بعض ، لأن الأفكار متداعية) (٢) .

ولمثل ذلك ذهب الدكتور " طه حسين " من قبل ، وهو يدرس قصيدة " لبيد بن ربيعة العامري " التي يقول فيها :

عَفَتِ الدَّيَّارُ مَحَلَّهَا فَمَقَامُهَا بَمَنْى تَأَبَّدَ عَوْلُهَا فَرَجَامُهَا (٣)

فقال : (إن الشعر العربي القديم كغيره من الشعر ، قد استوفى حظه من هذه الوحدة المعنوية ، وجاءت القصيدة من قصائده ملتئمة الأجزاء ، قد نُسقت أحسن تنسيق وأجمله ، وأشدّه ملائمة للموسيقى ، التي تجمع بين جمال اللفظ والمعنى والوزن والقافية . وإنما أقف معك عند قصيدة لبيد ... وأتحداك وأسألك أن تبين لي من أين يأتيها الاضطراب والاختلاف ، وكيف لا تتم لها الوحدة إلا من الوزن والقافية ؟ ... فأمامك قصيدة لبيد هذه ، فأرني كيف تقدم فيها وتؤخر ؟ وكيف تصنع فيها بيتاً مكان بيت دون أن تفسد معناها أفساداً ، وتشوه جمالها تشويهاً ... إنها بناء متقن محكم ، لا تُغير منه شيئاً إلا أفسدت البناء كله ونقضته نقضاً) (٤) .

(١) الشعر والشعراء : ٢٠ .

(٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، الدكتور . يحيى الجبوري ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، الطبعة السادسة ، ١٩٩٣ م ، ص ١٥٢ .

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة ، اعتنى به : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م ، ص ١٠٧ .

(٤) حديث الأربعاء : ٣٢ / ١ .

ثم يمضي الدكتور " طه حسين " بعد ذلك عارضاً قصيدة لبيد ، مبيناً ما فيها من وحدة واتساق (١) .

ويمكن أن نجد مثل هذه الوحدة الموضوعية " المعنوية " في قصيدة " طرفة بن العبد " التي يقول في مطلعها :

أتعرفُ رسم الدارِ قفراً منازلُهُ كجفنِ اليمانِ زخرفَ الوشيِ مائلُهُ (٢)

نخلص من ذلك إلى (أن القصيدة الجاهلية كانت قصيدة محبوكة ونسقاً شعرياً واحداً ، تأخذ موضوعاتها برقاب بعضها بواسطة جسور لفظية ، ونقلات شعرية ، لها شكل واحد يتحاور الشعراء على استخدامها في مواضعها المتفق عليها . أما البناء الداخلي فكانت صورته متشابهة ، واستعاراته واحدة ، يستخدمها الشعراء استخداماً موفقاً وينتزعون منها ما يساير الصورة التقليدية ، وكذلك الأفعال والألفاظ والحروف فكانت تأخذ نسقها متتالية ، لا يتقدم فعل على آخر ، ولا يُستخدم في غير ما وضع له ، ولم نجد حرفاً أو اسماً إلا وقد أخذ مكانه في سياق القصيدة حتى أصبح بإمكاننا أن نرتب الأبيات بشكل تقريبي حتى وأن كانت متفرقة وهذا دليل يكشف عن الصلة التي تتمتع بها القصيدة ، والخصيصة التي تميزت بها الأبيات (٣) .

فالقصيدية لدى الشعراء العذريين (تصور أحاسيس مجردة في الحب تعبر عن حالات شعورية متقاربة من الشوق والوجدان والحرمان والذكريات والأمنيات ، جدير بأن تتربط بين أجزاء القصيدة فتحقق لها وحدة واضحة في جوها العام (٤) .

وهذا حكم مطلق لم يستقص جميع نماذج الغزل عند الشعراء العذريين ، أي أن هذه النماذج الغزلية قد تتفاوت فيما بينها بالنسبة لحظها من وحدة البناء الفني . إذ تظهر هذه الوحدة بشكل ملموس في بعض النماذج وتكون واهية غير مترابطة الأجزاء في نماذج أخرى . ثم أن الشعراء أنفسهم قد يتباينون فيما بينهم ، إذ تتوفر الوحدة الموضوعية عند أحدهم وتقل عند الآخر . بل أن القصائد الشعرية ذاتها

(١) ينظر : حديث الأربعة : ٣٢ / ١ - ٣٩ .

(٢) ديوان طرفة بن العبد : ٦٣ .

(٣) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، الدكتور . نوري حمودي القيسي ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٤ م ، ص ٧ - ٨ .

(٤) في الشعر الإسلامي والأموي : ١٣٣ .

الفصل الثالث ***** البنية الفنية للغزل العذري

تختلف في قوة تماسك أجزائها وتفككها . فكلما كانت القصيدة طويلة ، كلما قل التحام أجزائها ، وأصبحت كياناً يضم جزئيات شعورية متناثرة ، وكلما كانت القصيدة قصيرة كلما كانت أكثر تحقيقاً للوحدة الشعورية والفنية . ولعل السبب في ضعف التكامل بين جزئيات القصيدة الواحدة يرجع إلى الشعراء أنفسهم ، إذ أنهم (يعبرون عن الحب تعبيراً مطلقاً ، مجرداً عن الارتباط بأية صورة أخرى من المجتمع أو الطبيعة أو " المواقف " التي تتصل بالحب وتلونه حسب طبيعتها وما توحى به من فنون القول) ^(١) ثم أننا لا نجد عند هؤلاء الشعراء ظلاً للحياة والمجتمع (إلا بمقدار ما يوحى بالخصومة العامة الدائمة بينهم وبين تقاليد ذلك المجتمع ، وكأن الحب عندهم يدور في فراغ داخل نفس الشاعر وخياله وحدهما . وليس في هذا الشعر ... مواقف عامة متنوعة تتصل بالتجربة العاطفية . من لقاء أو وداع أو حادث ، مما يمكن أن يجعل لكل قصيدة " موضوعها " الخاص داخل ذلك الإطار العاطفي العام) ^(٢) .

وهكذا يكون بناء قصيدة الغزل العذري ، فهي أما قصيدة تتفاوت طولاً وقصراً ، وأما مقطوعة في أبيات محددة . وفي الحق أن نقلة الشعر من القصيدة إلى المقطوعة يمثل تطوراً آلت إليه قصيدة الغزل العذرية .

لقد حرص هؤلاء الشعراء على وحدة القصيدة في أشعارهم . إذ قدموا تلك الأشعار الغزلية المعبرة عن أحاسيسهم الدافقة ، ومشاعرهم الفياضة في صور تجمع بين الفكر والعاطفة والأسلوب في وحدة تبدو من خلالها عملاً فنياً كاملاً يسوده الانسجام والالتئام . ونتيجة لذلك برزت وحدة القصيدة الفنية بشكل واضح في أشعارهم ، وتحققت في كثير من نتاجهم الشعري .

(١) في الشعر الإسلامي والأموي : ١٣٤ .

(٢) المصدر نفسه .

الخاتمة

الخاتمة

وبعد ، فقد تناول بحثنا هذا موضوع " الغزل العذري حتى نهاية العصر الأموي أصوله وبواعثه وبنيتة الفنية " ، فكان لا بد لنا من وقفة تأمل واستذكار لما حققته هذه الدراسة من نتائج عامة .

وكان من أهم النتائج التي اهتمت إليها هذه الدراسة ، والتي يمكن أن نجملها بما يأتي هي :

◆ إن الغزل العذري وليد العصر الجاهلي لا العصر الأموي ، كما ذهب إلى ذلك كثير من الباحثين ، إذ كانت البيئة ومكانة المرأة والنظم الاجتماعية السائدة آنذاك مساعدة على الحب العفيف والغزل العذري . وإذا فإن القصص التي رويت عن العشاق في العصر الأموي ، وكان لها أثر عظيم في الغزل وفي قصص الغرام بأوروبا في العصور الوسطى امتداد لقصص العشاق المتيمين في العصر الجاهلي ، ومتأثرة بها وملونة بألوانها .

◆ أصل الغزل العذري في العصر الجاهلي وخصائص وقصص العشاق المتيمين ابتداءً من المرقش الأكبر وصاحبته أسماء كانت البذرة الأولى لهذا النوع من القصص . وكذلك يُعدّون اللبنة الأولى التي وضعت أساس مدرسة الحب العذري في العصر الجاهلي وهي مدرسة تخرج منها فيما بعد عدد من التلامذة في العصرين الإسلامي والأموي .

◆ الغزل العذري في العصر الأموي هو امتداد لنموذج جاهلي معروف هو غزل المتيمين لا يكاد يتميز عنه إلا في بعض السمات التي فرضتها طبيعة الحضارة الإسلامية ، وأن البيئة البدوية بما فيها من خصائص ، هي العامل الرئيس الذي أنتج هذا اللون من الغزل العفيف .

◆ على الرغم من الجانب العفيف الذي يطغى على الغزل العذري ، وجدناه لا يلغي المرأة كطرف ثان في تجربة الحب الإنساني ، وهو بذلك لا يلغي جمال المرأة وما يثيره هذا الجمال من رغبات حسية .

◆ الغزل العذري أو العفيف لون من ألوان الغزل أرجع عدد من الباحثين نشأته إلى تأثير الإسلام ثم جاءوا ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية للتدليل على نظريتهم . وقد بحثنا في أدلتهم فلم نجد نصاً قرآنياً واحداً يشير إلى العفة في

الحب ثم أن الحديث الذي استشهدوا به والذي يقول : (مَنْ عَشَقَ فَعَفَ ...) حديث موضوع . إذ لم نعثر عليه في كتب الحديث المعتمدة . ثم أن شعراء الغزل العذري لم يكونوا أعفة تقاة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وأن العفة في شعرهم لا تقوم لوحدها دليلاً على تقواهم وزهدهم في حبهم مع ما في شعرهم من صور حسية كثيرة تتنافى مع الالتزام الذي يعرف به المتقون . ثم تبين لنا أن الغزل العذري لا يمثل في كليته ، ما يتسق مع تعاليم الدين مما يشجع على عدّه أثراً من آثاره .

♦ ظلت معاني الغزل العذري القديمة تستهوي الشعراء الإسلاميين والأمويين . لأنهم كانوا مجبولين بحيوية الشعر الجاهلي وصدقه . وكذلك ظلت البنية الفنية الجاهلية متحكمة في القصيدة الإسلامية والأموية . وقد اتضح لنا أن الصورة التقليدية للمرأة احتفظت بمكانتها عند شعراء الغزل العذري في العصرين الإسلامي والأموي ، إذ إن مخيلتهم تشبثت بهذا الموروث الشعري الذي يتناول المرأة مضموناً وصوراً فنية .

♦ إن معظم الآراء ذات الأساس الأخلاقي الاجتماعي أو القبلي قد طالبت الشاعر العاشق بالمثالية في العشق ، إذ انتقدت تبرمه من العشق ، والدعاء على المحبوب وغير ذلك ، هذا من جهة ، وأشادت بالشعر الذي فيه تهالك للمحبوب ، وغير ذلك من السمات الإيجابية ، انطلاقاً من مفهوم العشق وآدابه لدى العرب القدماء ، من جهة أخرى .

♦ اعتمدت اللغة الشعرية التي استعملها شعراء الغزل العذري في العصر الجاهلي ، على الألفاظ ذات الإيحاءات والمدلولات الشعورية القوية ، فضلاً عما تتطلبه من الجنوح إلى العبارات اليسيرة الواضحة التي تفصح عن صدق معاناتهم وبساطة تجاربهم .

♦ لم تكن المقدمة الغزلية باهتة في بنائها الفني ، ولا شحيحة الدلالات ، بل أنها حملت من المعاني الإنسانية ما اتصل بأعقد مشكلات الإنسان " مشكلة الحياة والموت " وحاول الشعراء حل هذه المشكلة بانتصار الحياة على الموت ، تحقيقاً لدوافع نفسية يفرضها شعورهم بالتفاؤل وإحساسهم بطغيان معاني الموت في منطقة الطلل ، وكل هذا يتصل برؤية الشاعر العذري وتطلعه إلى الحياة كمنطلق نفسي ، أثرى الشعراء من خلاله المقدمة الغزلية بألوان من الألفة والحنين والتوالد ، ولهذا كانت المقدمة الغزلية غنية في بنائها الفني بكل الدلالات والمعاني والتعبير في الشعر العذري الجاهلي .

♦ وجدنا أن اللغة في الغزل العذري تأثيراً كبيراً ، وأن المعجم الشعري الجاهلي أغنى الشعراء بالألفاظ والتراكيب والتعابير ذات الإحياءات والمدلولات الشعورية القوية ، أي أن اللغة العذرية في العصر الجاهلي لغة بعيدة عن التعقيد والغريب من الألفاظ ، بل هي لغة تميل إلى العبارات اليسيرة الواضحة التي تفصح عن صدق معاناتهم وبساطة تجاربهم .

♦ تميز الغزل العذري بسهولة الأسلوب ومباشرته ، وكذلك ببساطة المعاني ومباشرتها وسهولتها وبساطة العرض والصدق والحرارة في التعبير .

♦ اتضح من خلال البحث والاستقصاء أن الصورة الشعرية عند شعراء الغزل العذري في العصرين الإسلامي والأموي ، هي امتداد للموروث الجاهلي عند الشعراء المتيمنين الذين تميز شعرهم وخاصة شعر " عنتر بن شداد " بالذوق الفني الرفيع والقدرة العالية على التصوير الدقيق المعبر ، وكذلك تميز بالخيال الواسع الذي نسج ألياف الصورة الشعرية بعضها مع البعض الآخر مما جعل الصورة الشعرية متماسكة من الناحيتين ، الأولى : النفسية بما فيها من صور بصرية وسمعية وشمية وذوقية ولمسية وذهنية ... والثانية : البلاغية بما فيها من تشبيهات واستعارات وكنایات ومجازات ...

♦ ويمكن أجمال ما وصل إليه النقاد في أطروحاتهم فيما يخص دراستهم للغزل العذري من الناحية الفنية بـ :

- تتمتع قصائد الغزل العذري ومقطوعاته بالوحدة الموضوعية .
- تشابه التجربة في الشعر العذري بوجه عام .
- كانت اللغة في الشعر العذري سهلة وتلقائية .
- قدرة اللغة الخارقة على تحويل العشق إلى شعر .
- انسجام الموسيقى مع المعاني الشعرية والعواطف .
- شيوع البحر الطويل في الشعر العذري من بين سائر البحور الشعرية .

♦ تبين لنا من خلال البحث والاستقصاء أن شعراء الغزل العذري الجاهلي قد أدركوا ما للموسيقى الداخلية من أهمية في شعرهم فعمدوا إلى تحقيقها عن طريق الزحافات والتصريع والترصيع وباقي الفنون البلاغية كالطباق والجناس وغيرهما ،

وكذلك فقد أكدوا على أهمية التكرار في شعرهم ، لأنهم كانوا يجدون في ترديد ذات الحرف واللفظ والعبارة تناغماً وتقوية في الجرس الموسيقي والذي يثير في نفوسهم تشوقاً واستعذاباً ، وقد لاحظنا أن الشاعر العذري الجاهلي يعمد في كثير من الأحيان إلى التكرار . ولعل هذا ترجمة للحرمان والمعاناة ، الحرمان من لقاء الحبيبة ، والمعاناة من تحقيق الأمنى التي كانت تراوده .

المصادر والمراجع

قائمة المصادر

القرآن الكريم

- أ -

- ◆ الإبلالية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان ، منشورات عويدات الدولية ، بيروت - باريس ، ١٩٩٠ م .
- ◆ الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، الدكتور . عبد القادر القط ، دار النهضة العربية ، بيروت - لبنان ، ١٩٨١ م .
- ◆ اتجاهات الشعر في العصر الأموي ، الدكتور . صلاح الدين الهادي ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .
- ◆ اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ، الدكتور . يوسف بكار ، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ - ٢٠٠٩ م .
- ◆ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، السيد محمد بن محمد الحسين الزبيدي ، مطبعة دار الفكر ، د . ت .
- ◆ أثر اللسانيات في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري ، توفيق الزبيدي ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ م .
- ◆ الأدب الصغير والأدب الكبير ، لابن المقفع ، مكتبة البيان ، بيروت ، ١٩٦٠ م .
- ◆ الأدب العربي بين البادية والحضر ، الدكتور . إبراهيم عوضين ، مطبعة السعادة ، ١٩٨٣ م .
- ◆ الأدب وفنونه ، دراسة نقدية ، الدكتور . عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٨ م .
- ◆ الأسس الجمالية في النقد العربي ، الدكتور . عز الدين إسماعيل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٦ م .
- ◆ الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، الدكتور . مصطفى سويف ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥١ م .

- ◆ أسس النقد الأدبي عند العرب ، الدكتور . أحمد أحمد بدوي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٤ م .
- ◆ الإسلام والشعر ، الدكتور . سامي مكي العاني ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٤٢٣ هـ - ١٩٩٠ م .
- ◆ الإسلام والشعر ، الدكتور . يحيى الجبوري ، مطبعة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٤ م .
- ◆ الأسلوب ، الدكتور . أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٩٩٧ م .
- ◆ الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ، للخالدين ، تحقيق : الدكتور . السيد محمد يوسف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- ◆ الأصول الفنية للأدب ، الدكتور . عبد الحميد حسن ، منشورات مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٤٩ م .
- ◆ أصول النقد الأدبي ، الدكتور . أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة - مصر ، الطبعة الثامنة ، ١٩٧٣ م .
- ◆ اعتلال القلوب في أخبار العشاق والمحبين ، أبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي (ت ٣٢٧ هـ) ، تحقيق : غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
- ◆ الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي ، عزيز السيد جاسم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ م .
- ◆ آفاق في الأدب والنقد ، الدكتور . عناد غزوان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ م .
- ◆ ألوان ، الدكتور . طه حسين ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٨ م .
- ◆ إلياذة هوميروس ، سليمان البستاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .
- ◆ الامالي ، لأبي علي إسماعيل بن قاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦ هـ) ، دار الجيل ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ◆ الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب ، الدكتور . عباس رشيد الددة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد - العراق ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩ م .

- ♦ الإيقاع في الشعر العربي ، عبد الرحمن ألوجي ، دار الحصاد للنشر والتوزيع ، دمشق ، الطبعة الأولى ، حزيران ، ١٩٨٩ م .

- ب -

- ♦ البلاغة الواضحة ، علي الجارم ، ومصطفى أمين ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦ هـ - ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- ♦ البلاغة والتطبيق ، الدكتور . أحمد مطلوب ، والدكتور . كامل حسن البصير ، مطابع بيروت الحديثة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
- ♦ بناء القصيدة العربية ، الدكتور . يوسف حسين بكار ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .
- ♦ البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل في صدر الإسلام والعصر الأموي ، الأستاذ الدكتور . شاكِر هادي حمود التميمي ، دار الرضوان للنشر والتوزيع ، عمان ، ومؤسسة دار الصادق الثقافية ، العراق ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م .
- ♦ البنية الإيقاعية في شعر شوقي ، الدكتور . محمود عسران ، طبعة ونشر وتوزيع مكتبة بستان المعرفة ، ٢٠٠٦ م .
- ♦ بنية القصيدة الجاهلية (دراسة تطبيقية في شعر النابغة الذبياني) ، الدكتور . علي مرashedة ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان - الأردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦ م .
- ♦ البيان والتبيين ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

- ت -

- ♦ تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ، المطبعة الخيرية بجمالية مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٦ هـ .
- ♦ تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية) ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨ م .

- ♦ تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) ، الدكتور . شوقي ضيف ، منشورات ذوي القربى ، قم ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧ هـ .
- ♦ تاريخ الأدب العربي (العصر الأموي) ، الدكتور . قصي الحسين ، دار الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٢ م .
- ♦ تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، الدكتور . شوقي ضيف ، منشورات ذوي القربى ، قم ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧ هـ .
- ♦ تاريخ الأدب العربي ، د . ر . ر . بلاشير ، ترجمة : الدكتور . إبراهيم الكيلاني ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م .
- ♦ تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية : الدكتور . عبد الحليم النجار ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٤ م .
- ♦ تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، الدكتور . نوري حمودي القيسي ، والدكتور . عادل جاسم البياتي ، والدكتور . مصطفى عبد اللطيف ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ♦ تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، د . ت .
- ♦ تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، نجيب محمد البهبهتي ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦١ م .
- ♦ تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وعصر بني أمية ، الدكتور . محمد عبد العزيز الكفراوي ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ١٩٦١ م .
- ♦ تاريخ الشعر العربي في العصر الأموي ، الدكتور . يوسف خليف ، مطبعة دار النشر والثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- ♦ التذكرة السعدية في الأشعار العربية ، محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي ، تحقيق : الدكتور . عبد الله الجبوري ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، ١٩٨١ م .
- ♦ تزيين الأسواق في أخبار العشاق ، للعلامة الطبيب الضرير داؤد الأنطاكي ، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣ م .
- ♦ تشريح النص (مقاربة تشريحية لنصوص شعرية معاصرة) ، الدكتور . عبد الله محمد الغدامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٦ م .

- ♦ تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام (من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة) ، الدكتور . شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- ♦ التطور والتجديد في الشعر الأموي ، الدكتور . شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٣ م .
- ♦ التعبير الموسيقي ، الدكتور . فؤاد زكريا ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .
- ♦ التفسير النفسي للأدب ، الدكتور . عز الدين إسماعيل ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، ١٩٦٣ م ، ودار العودة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١ م .
- ♦ تقليد وتجديد ، طه حسين ، دار العلم للملايين ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ م .
- ♦ تمهيد في النقد الأدبي ، روز غريب ، دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٧١ م .
- ♦ تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، راجعه : محمد علي النجار ، دار الصادق للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٤ م .

- ث -

- ♦ الثابت والمتحول ، بحث في الإتياع والإبداع عند العرب ، أدونيس ، دار العودة ، بيروت - لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٣ م .

- ج -

- ♦ جرير (حياته وشعره) ، الدكتور . نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ م .
- ♦ جمهرة أنساب العرب ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ م .
- ♦ جميل بثينة ، لعباس محمود العقاد ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٤ م ، الطبعة الثالثة .
- ♦ جميل بثينة والحب العذري ، حميد مختار ، مكتبة الشروق ، بغداد ، ١٩٨٣ م .

- ♦ جميل بئينة والحب العذري ، الدكتور . خريستو نجم ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٢ م .

-ح-

- ♦ الحب بين تراثين ، ناجية مراني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، المكتبة العالمية ، العراق - بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ م .
- ♦ الحب العذري ، موسى سليمان ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٤٧ م .
- ♦ الحب العذري عند العرب ، الدكتور . شوقي ضيف ، توزيع الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .
- ♦ الحب العذري نشأته وتطوره ، أحمد عبد الستار الجواري ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦ م .
- ♦ الحب في التراث العربي ، الدكتور . محمد حسن عبد الله ، دار المعارف ، ١٩٩٤ م .
- ♦ الحب في صدر الإسلام ، إقبال بركة ، دار قباء ، القاهرة ، ١٩٩٨ م .
- ♦ الحب المثالي عند العرب ، الدكتور . يوسف خليف ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
- ♦ الحب والحضارة ، هربرت ماركوس ، ترجمة : مطاع صفدي ، دار الآداب .
- ♦ الحب والفناء ، علي حرب ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
- ♦ حديث الأربعاء ، الدكتور . طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة عشرة ، ١٩٢٥ م .
- ♦ حسن التوصل إلى صناعة الترسل ، شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥ هـ) ، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ م .
- ♦ حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، لأبي علي محمد بن حسن المظفر الحاتمي (ت ٣٨٨ هـ) ، تحقيق : الدكتور . جعفر الكناني ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ م .
- ♦ الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي ، محمد إبراهيم حور ، دار نهضة مصر للطبع ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣ م .

- ♦ الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ، الدكتور . محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر ، الفجالة - القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٦ م .

- خ -

- ♦ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ - ١٠٩٣) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، د . ت .
- ♦ خصام ونقد ، الدكتور . طه حسين ، دار العلم للملايين ، لبنان ، الطبعة العاشرة ، ١٩٨٠ م .
- ♦ الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٠ م .
- ♦ خصائص الأسلوب في الشوقيات ، الدكتور . محمد الهادي الطرابلسي ، منشورات الجامعة التونسية ، المطبعة الرسمية التونسية ، ١٩٨١ م .
- ♦ خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، ١٩٩٨ م .

- د -

- ♦ دراسات في الأدب الجاهلي ، الدكتور . عبد العزيز نبوي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ♦ دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي ، الدكتور . محمد عبد القادر أحمد ، مكتبة النهضة مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ♦ دراسات في علم النفس الأدبي ، حامد عبد القادر ، لجنة البيان العربي ، القاهرة .
- ♦ دراسات نقدية في الأدب العربي ، الدكتور . محمود عبد الله الجادر ، مطبعة دار الحكمة ، الموصل ، ١٩٩٠ م .
- ♦ دراسات نقدية في الشعر العربي ، الدكتور . بهجت عبد الغفور الحديثي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٢ م .
- ♦ دراسة الأدب العربي ، الدكتور . مصطفى ناصف ، دار الأندلس ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

- ♦ دلائل الإعجاز ، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، وفائز الداية ، مكتبة سعد الدين ، دمشق - سوريا ، ١٩٩١ م .

- ذ -

- ♦ ذم الهوى ، الشيخ الإمام الأوحى شيخ الإسلام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧ هـ) ، صححه وضبطه : أحمد عبد السلام عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

- ر -

- ♦ الرسالة الموضحة (في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره) ، أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي ، تحقيق : الدكتور . محمد يوسف نجم ، دار صادر - دار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- ♦ رسائل الجاحظ (رسالة العشق والنساء) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ م .
- ♦ رسائل العشق لابن سينا ، من جامع البدائع . مطبعة السعادة بمصر ، ١٩١٧ م .
- ♦ الرمزية في الأدب العربي ، الدكتور . درويش الجندي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة - القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- ♦ الرمزية في مقدمة القصيدة من العصر الجاهلي حتى العصر الحاضر ، الدكتور . أحمد الربيعي ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ♦ روح العصر (دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة) ، الدكتور . عز الدين إسماعيل ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ م .
- ♦ روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ، تحقيق : سيد عمران ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠١ م .

- ز -

- ♦ زمن الشعر ، الدكتور . علي أحمد سعيد (أدونيس) ، دار العودة ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ م .

- ♦ الزهرة ، أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني ، حققه وقدم له وعلق عليه :
الدكتور . إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار ، الأردن - الزرقاء ، الطبعة
الثانية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .

- س -

- ♦ سوسيولوجيا الغزل العربي - الغزل العذري نموذجاً - ، الدكتور . الطاهر
لبيب ، ترجمة : مصطفى السنوي ، دار الطليعة ، الطبعة الثانية ، بيروت ،
١٩٨٨ م .

- ش -

- ♦ الشاعر الإسلامي تحت نظام سلطة الخلافة ، الدكتور . داود سلوم ، مطبعة
نمنم ، الشياح ، بيروت ، ١٩٧٨ م .
- ♦ الشعر الجاهلي ، خصائصه وفنونه ، الدكتور . يحيى الجبوري ، منشورات
جامعة قار يونس ، بنغازي ، الطبعة السادسة ، ١٩٩٣ م .
- ♦ الشعر الجاهلي ، الدكتور . محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ،
بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣ م .
- ♦ الشعر الجاهلي قضاياها الفنية والموضوعية ، الدكتور . إبراهيم عبد الرحمن
، مكتبة الشباب ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م .
- ♦ الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، الدكتور . محمد النويهي ، الدار
القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، د . ت .
- ♦ الشعر العذري في ضوء النقد العربي الحديث ، محمد بلوحي ، اتحاد الكتاب
العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠ م .
- ♦ الشعر العربي بين الجمود والتطور ، الدكتور . محمد عبد العزيز الكفراوي
، مكتبة نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٨ م .
- ♦ الشعر العربي المعاصر (قضاياها وظواهره الفنية) ، الدكتور . عز الدين
إسماعيل ، دار العودة ، ودار الثقافة ، بيروت - لبنان ، ١٩٨١ م .
- ♦ الشعر والتجربة ، أريشيبالد مكليش ، ترجمة : سلمى الخضراء الجيوسي ،
بيروت ، ١٩٦٣ م .

- ◆ الشعر والشعراء ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، حققه وضبط نصه ووضع حواشيه : الدكتور . مفيد قميحة ، والأستاذ . محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- ◆ الشعر والنغم ، الدكتورة ، رجاء عيد ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .
- ◆ الشعر اليمني السياسي في الإسلام إلى نهاية العصر الأموي ، عبده يحيى صالح الدباني ، جامعة عدن ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ م .
- ◆ شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري ، الدكتور . جودت فخر الدين ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٤ م .

- ص -

- ◆ الصناعتين ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ◆ الصورة الأدبية ، الدكتور . مصطفى ناصف ، دار مصر للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .
- ◆ الصورة الشعرية ، سي - دي لويس ، ترجمة : أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن إبراهيم ، مراجعة : الدكتور . عناد غزوان ، وزارة الثقافة والأعلام العراقية ، سلسلة الكتب المترجمة (١٢١) ، ١٩٨٢ م .
- ◆ الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، الولي محمد ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ م .
- ◆ الصورة الشعرية في الغزل العذري ، الدكتورة . دلال هاشم كريم الكنانسي ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ٢٠١١ م .
- ◆ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، الدكتور . جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢ م .
- ◆ الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، الدكتور . عبد القادر الرباعي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، توزيع : دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩ م .
- ◆ الصورة الفنية في الشعر العربي (مثال ونقد) ، إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم ، الشركة العربية ، القاهرة - مصر ، ١٩٩٦ م .

- ♦ الصورة الفنية في النقد الشعري (دراسة في النظرية والتطبيق) ، الدكتور . عبد القادر الرباعي ، دار العلوم ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ م .
- ♦ صورة المرأة في الشعر الأموي ، الدكتور . أميل نصر ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ م .
- ♦ الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها ، الدكتور . علي البطل ، دار الأندلس ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ م .

- ط -

- ♦ طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١ هـ) ، قرأه وشرحه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر ، د . ت .
- ♦ الطبيعة في الشعر الجاهلي ، الدكتور . نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ م .
- ♦ طوق الحمامة في الألفة والألف - رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه - الإمام علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : الدكتور . محمد يوسف الشيخ محمد وغريد يوسف الشيخ محمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

- ظ -

- ♦ الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية ، الدكتور . إحسان سركريس ، دار الطليعة والنشر ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ م .

- ع -

- ♦ العشاق الثلاثة ، زكي مبارك ، طبعة المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ، د . ت .
- ♦ عضوية الموسيقى في النص الشعري ، الدكتور . عبد الفتاح صالح نافع ، مكتبة المنار ، الأردن - الزرقاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ♦ علم الاجتماع المفهوم والموضوع والمنهج ، صلاح الفوال ، دار الفكر العربي ، د . ط ، ١٩٨٢ م .

- ◆ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، الإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- ◆ عيار الشعر ، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢ هـ) ، شرح وتحقيق : عباس عبد الستار ، مراجعة : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

- غ -

- ◆ الغزل العذري - حقيقة الظاهرة وخصائص الفن ، الدكتور . صلاح غريب ، مطبعة مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٣ م .
- ◆ الغزل العذري دراسة في الحب المقموع ، يوسف اليوسف ، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، آيار ، ١٩٨٢ م .
- ◆ الغزل ضوابط النظرية وظواهر العدول ، الدكتور . مصطفى عليان ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
- ◆ الغزل عند العرب ، حسان أبو رحاب ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .
- ◆ الغزل في العصر الجاهلي ، الدكتور . أحمد محمد الحوفي ، دار القلم ، بيروت - لبنان ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
- ◆ الغزل في عصر بني أمية ، الدكتور . إحسان النص ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٦ م .
- ◆ الغزل في عصر صدر الإسلام ، الدكتور . حسن جبار محمد الشمسي ، مؤسسة الوراق للنشر ، عمان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ م .

- ف -

- ◆ فلسفة الحب عند العرب ، عبد اللطيف شرارة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٠ م .
- ◆ فلسفة الفن (رؤية جديدة) ، علي عبد المعطي محمد ، دار النهضة العربية ، لبنان ، ١٩٨١ م .

- ♦ فن التقطيع الشعري والقافية ، صفاء خلوصي ، مكتبة المثنى ، بغداد - العراق ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٧ م .
- ♦ الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، الدكتور . شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة ، والطبعة العاشرة ، د . ت .
- ♦ الفن ومذاهبه في النثر العربي ، الدكتور . شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة ، د . ت .
- ♦ في إيقاع شعرنا العربي وبيئته ، الدكتور . محمد عبد الحميد ، الناشر : دار الوفاء للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ م .
- ♦ في الحب والحب العذري ، الدكتور . صادق جلال العظم ، دار المدى للثقافة والنشر ، سوريا - دمشق ، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٢ م .
- ♦ في الشعر الإسلامي والأموي ، الدكتور . عبد القادر القط ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

- ق -

- ♦ القاموس المحيط ، للعلامة اللغوي : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٧٢٩ - ٨١٧ هـ) ، إعداد تقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- ♦ قصة الحضارة ، وليم جيمس ديورانت ، ترجمة : محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٦ م .
- ♦ قضية الشعر الجديد ، الدكتور . محمد النويهي ، دار الفكر ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الثانية ، ١٩٧١ م .
- ♦ قيس ولبنى شعر ودراسة ، تحقيق : الدكتور . حسين نصار ، الناشر : مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة ، ١٩٦١ م .

- ك -

- ♦ الكافي في العروض والقوافي ، لأبي زكريا يحيى بن علي الشيباني " الخطيب التبريزي " (ت ٥٠٢) ، تحقيق : حميد حسن الخالصي ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

- ♦ كتاب الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، طبعة جديدة ومصححة ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
- ♦ كتاب الإمتاع والمؤانسة ، لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق : أحمد أمين وأحمد الزين ، دار مكتبة الحياة .
- ♦ كتاب الحيوان ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٠ هـ) ، وضع حواشيه : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- ♦ كتاب القوافي ، سعيد بن مسعدة الأخفش ، تحقيق : أحمد راتب النفاخ ، دار الأمانة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤ م .
- ♦ كتاب القوافي ، لأبي يعلي عبد الباقي عبد الله بن المحسن التنوخي ، تحقيق : الدكتور . عوني عبد الرؤوف ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .
- ♦ كثير عزة حياته وشعره ، الدكتور . أحمد الربيعي ، طبع ونشر دار المعارف بمصر ، ١٩٦٧ م .
- ♦ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي . البرهان فوزي (ت ٩٧٥ هـ) ، طبعه وفسر غريبه : الشيخ بكرى حياني ، صححه : الشيخ صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

- ل -

- ♦ لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ) ، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- ♦ اللغة الشاعرة (مزايا الفن والتعبير في اللغة) ، عباس محمود العقاد ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، د . ت .
- ♦ اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي ، محمد رضا مبارك ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد - العراق ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ م .
- ♦ ليلى والمجنون في الأدبين العربي والفارسي - دراسات نقدية ومقارنة في الحب العذري والحب الصوفي من مسائل الأدب المقارن ، الدكتور . محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣ م .

- م -

- ◆ مبادئ في علم النفس الاجتماعي ، باساغانا ، ترجمة : بو عبد الله غلام الله ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٣ م .
- ◆ مبادئ النقد الأدبي ، ريتشاردز ، ترجمة : مصطفى بدوي ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- ◆ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) ، قدم له وحققه وعلق عليه : الدكتور . أحمد محمد الحوفي ، والدكتور . بدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .
- ◆ المدينة في التراث ، الدكتور . أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤ م .
- ◆ المرأة ذلك اللغز ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ م .
- ◆ المرأة في الشعر الجاهلي ، علي الهاشمي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٠ م .
- ◆ المراثاة الغزلية في الشعر العربي ، الدكتور . عناد غزوان إسماعيل ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، ١٩٧٤ م .
- ◆ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعاتها ، عبد الله الطيب ، الطبعة الثانية ، الكويت ، ١٩٨٩ م .
- ◆ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ناصر الدين الأسد ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٢ م .
- ◆ مصارع العشاق ، للشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القارئ البغدادي (ت ٥٠٠ هـ) ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، شارك في التحقيق : أحمد رشدي شحاته ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- ◆ المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة ومعجم انجليزي - عربي) ، الدكتور . محمد عناني ، مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ، دار نورمان للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ م .

- ◆ معجم الشعراء ، للمرزباني ، أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤) ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
- ◆ معجم الصحاح ، للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري ، اعتنى به : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
- ◆ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، وكامل المهندس ، مكتبة لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ م .
- ◆ معجم النقد العربي القديم ، الدكتور . أحمد مطلوب ، دار الثقافة العامة ، بغداد ، ١٩٨٩ م .
- ◆ المعجم الوسيط ، أخرجه : إبراهيم مصطفى ، وحامد عبد القادر ، وأحمد حسن الزيات ، ومحمد علي النجار ، أشرف على طبعه : عبد السلام محمد هارون ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
- ◆ مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي ، الدكتور . جابر أحمد عصفور ، طبع ونشر وتوزيع : المركز العربي للثقافة والعلوم ، ١٩٨٢ م .
- ◆ مقالات في الشعر الجاهلي ، يوسف اليوسف ، دار الحقائق ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠ م ، والثالثة ، ١٩٨٣ م ، والرابعة ، ١٩٨٥ م .
- ◆ مقدمة ابن خلدون (وهي الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ...) ، تأليف : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، بتحقيق : المستشرق الفرنسي أ . م . كاترمير ، عن طبعة باريس سنة ١٨٥٨ ، مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح ، بيروت ، ١٩٩٢ م .
- ◆ مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، الدكتور . حسين عطوان ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ م .
- ◆ مقدمة للشعر العربي ، أدونيس ، دار العودة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م .
- ◆ ملامح الرمز في الغزل العربي القديم - دراسة في بنية النص ودلالاته الفنية - الأستاذ الدكتور . حسن جبار محمد الشمسي ، دار السياب (لندن) ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨ م .
- ◆ من اسمه عمرو من الشعراء ، لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح (ت ٢٩٦ هـ - ٩٠٩ م) ، تحقيق : الدكتور . عبد العزيز ناصر المانع ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

- ♦ المنتمي دراسة في أدب نجيب محفوظ ، غالي شكري ، دار الآفاق الجديد ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣ م .
- ♦ منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لأبي الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن الخوجه ، طبع في معامل المطبعة الرسمية لجمهورية تونس ، ١٩٦٦ م .
- ♦ المؤلف والمختلف ، لأبي القاسم الحسن بن بشير بن يحيى الاميدي (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
- ♦ موسوعة أمراء الشعر العربي (من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي) ، الدكتور . حسن جعفر نور الدين ، شركة رشاد برس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٩ م .
- ♦ موسيقى الشعر ، الدكتور . إبراهيم أنيس ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٥ م ، ومكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٨ م .
- ♦ موسيقى الشعر العربي ، الدكتور . شكري عياد ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .
- ♦ الميزان في تفسير القرآن ، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة المجتبى للمطبوعات ، إيران - قم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ♦ الميسر في العروض والقافية ، الدكتور ، لوحيشي ناصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ، بن عكنون ، الجزائر ، ٢٠٠٧ م .

- ن -

- ♦ نشأة التصوف الإسلامي ، إبراهيم بسيوني ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ م .
- ♦ نصوص من الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي (دراسة وتحليل) ، الدكتور . نوري حمودي القيسي والدكتور . بهجت الحديشي والدكتور . محمود الجادر ، مديرية دار الكتب للطباعة ، وزارة التعليم العالي ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، بغداد - العراق ، ١٩٩٤ م .
- ♦ نظرية إيقاع الشعر العربي ، الدكتور . محمد العياشي ، المطبعة المصرية ، تونس ، ١٩٧٦ م .

- ◆ نظرية البنائية في النقد الأدبي ، الدكتور . صلاح فضل ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- ◆ النظرية والتطبيق في الأدب المقارن ، إبراهيم عبد الرحمن محمد ، دار العودة ، لبنان ، د . ط ، ١٩٨٢ م .
- ◆ النقد الأدبي الحديث ، الدكتور . محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ٢٠٠٥ م .
- ◆ النقد الجمالي ، اندريه ريشار ، ترجمة : هنري زغيب ، منشورات عويدات ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤ م .
- ◆ نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) ، تحقيق : كمال مصطفى ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .

- و -

- ◆ وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، الدكتور . نوري حمودي القيسي ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٤ م .
- ◆ الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- ◆ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) ، تحقيق : الدكتور . أحسان عباس ، مطبعة الغريب ، بيروت ، دار صادر ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٩ - ١٩٧٠ م .

الدواوين والمجاميع الشعرية

- ◆ الأصمعيات ، اختيارات أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٣ هـ) ، تحقيق : الدكتور . قصي الحسين ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأخيرة ، ٢٠٠٤ م .
- ◆ ديوان ابن الدُمينة ، صنعه : ثعلب وابن حبيب ، تحقيق : أحمد راتب النفاخ ، طبعة مكتبة العروبة ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

- ♦ ديوان أبي النجم العجلي ، الفضل بن قدامة (ت ١٣٠ هـ) ، جمعه وشرحه وحققه : الدكتور . محمد أديب عبد الواحد جمران ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- ♦ ديوان الأخطل ، أبي مالك غياث بن غوث التغلبي ، شرحه وصنف قوافيه وقدم له : مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
- ♦ ديوان امرئ القيس ، شرح وتعليق : الدكتور . محمد الاسكندراني و نهاد رزق ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
- ♦ ديوان البحترى ، غني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة .
- ♦ ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق : الدكتورة . عزة حسن ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٦٠ م .
- ♦ ديوان جرير ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له : الدكتور . عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
- ♦ ديوان جميل بثينة ، تقديم وشرح وتعليق : الدكتور . محمد حمود ، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م .
- ♦ ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرحه وقدم له : الأستاذ . علي فاغور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- ♦ ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري ، جمع وتحقيق : شاكراً العاشور ، مراجعة : محمد جبار المعبيد ، دار الحرية الحديثة ، البصرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ م .
- ♦ ديوان الشنفرى ، قدم له وضبطه وشرحه : الدكتور . صلاح الدين الهواري ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت - لبنان ، ٢٠١١ م .
- ♦ ديوان طرفة بن العبد ، شرحه وقدم له : مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

- ♦ ديوان عبد الله بن العجلان النهدي ، غني بجمعه وتحقيقه : إبراهيم صالح ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث " المجمع الثقافي " ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .
- ♦ ديوان عدي بن زيد العبادي ، حققه وجمعه : الدكتور . محمد جبار المعبيد ، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع ، بغداد ، ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م .
- ♦ ديوان الفرزدق ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .
- ♦ ديوان قيس بن ذريح (قيس لبنى) ، اعتنى به وشرحه : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ♦ ديوان لبید بن ربيعة ، اعتنى به : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
- ♦ ديوان مجنون ليلى ، شرحه وضبطه وقدم له : محمد علي شمس الدين ، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- ♦ ديوان المرقشين ، تحقيق : كارين صادر ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م .
- ♦ ديوان النابغة الذبياني ، قدم له وبوبه وشرحه : الدكتور . علي بو ملحم ، منشورات مكتبة الهلال ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ م .
- ♦ شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة (٢٣ هـ - ٦٤٤ م) ، (٩٣ هـ - ٧١١ م) ، شرحه وقدم له : عبد أ . علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- ♦ شرح ديوان عنتر بن شداد ، شرح وتعليق : عباس إبراهيم ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٨ م .
- ♦ شرح المعلقات السبع ، للحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني (ت ٤٨٦ هـ) ، اعتنى به : محمد مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- ♦ شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، للشيخ أحمد الأمين الشنقيطي ، حققه وأتم شرحه : فائق محمد خليل ألبون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .

- ◆ شعر عروة بن حزام ، تحقيق : الدكتور . إبراهيم السامرائي و أحمد مطلوب ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الرابع ، حزيران ، ١٩٦١ م .
- ◆ شعر قيس بن الحُدادية ، جمع وتحقيق : الدكتور . حاتم صالح الضامن ، مجلة المورد ، العدد الثاني ، المجلد الثامن ، ١٩٧٩ م .
- ◆ عدي بن زيد العبادي وديوانه ... ، (بحث) للدكتور . نوري حمودي القيسي ، مجلة الأقلام ، الجزء التاسع ، السنة الثانية ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- ◆ مجموع شعر المرقش الأصغر ، الدكتور ، نوري حمودي القيسي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الثالث عشر ، ١٩٧٠ م .
- ◆ المفضليات ، اختارها أبو العباس المفضل بن محمد الضبي (١٦٨ هـ - ٧٤٨ م) ، تقديم وشر وتعليق : الدكتور . محمد حمود ، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م .

البحوث

- ◆ أثر الإسلام في شعر الغزل وتطوره في العصرين الإسلامي والأموي ، (بحث) للدكتور . بهجت عبد الغفور الحديثي ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد الرابع والثلاثون ، ربيع الآخر ، ١٤٢٢ هـ ، يوليو (تموز) ، ٢٠٠١ م .
- ◆ الإسلام والحب ، عبد الله ناصح ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، بحوث إسلامية هامة (٢٤) ، الإصدار الأول ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ◆ إيقاع الشوق والتجاذب ، خالد سعيد ، بحث منشور في مجلة " مواقف " العدد السابع ، السنة الثانية ، كانون الثاني ، ١٩٧٠ م .
- ◆ تراثنا القديم في أضواء حديثه ، سهير القلماوي ، مجلة الكتاب ، القاهرة ، العدد الثاني ، ١٩٦١ م ، (بحث) .
- ◆ جماليات الذاكرة وجدلية الحضور ، قراءة تأويلية في عينية الصمة القشيري ، (بحث) الدكتورة . بشرى البستاني ، مجلة ألف ، القاهرة - مصر ، العدد الحادي والعشرون ، ٢٠٠١ م .
- ◆ الحب العذري عند العرب ، أحمد الربيعي ، مجلة الأقلام ، الجزء السادس ، شوال ، ١٣٨٥ هـ - شباط ، ١٩٦٦ م ، بغداد - العراق .

- ◆ شعر الغزل في ضوء نظرية الأدب الإسلامي ، الدكتور . مخيمر صالح ،
(بحث) منشور في مجلة الدراسات الإسلامية ، العدد الثالث ، المجلد الثامن
والعشرون ، محرم ، ربيع الأول ، ١٤١٤ هـ - يوليو ، سبتمبر ، ١٩٩٣ م ،
إسلام آباد ، باكستان .
- ◆ الشعر والتشكيل الموسيقي ، الدكتور . ياسين عساف ، بحث منشور في
كتاب " الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس " ، المؤسسة
الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٢ م .
- ◆ الشعري ، ميكيل دوفرين ، بحث منشور في مجلة " الفكر العربي
المعاصر " ، ترجمة : نعيم علوية ، العدد العاشر ، شباط ، ١٩٨١ م .
- ◆ الصورة في القصيدة العراقية الحديثة ، الدكتور . عناد غزوان ، مجلة
الأقلام ، السنة ٢٢ ، العدد ١١ - ١٢ ، ١٩٨٧ م .
- ◆ العفة في الغزل العذري بين الحقيقة والوهم ، (بحث) للدكتورة . نضال
إبراهيم ياسين ، مركز دراسات الخليج العربي ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
- ◆ العفة في الغزل العذري بين المفهوم الإسلامي والقيم البدوية ، بحث ()
مخطوط لم ينشر بعد (أعده طالب الدراسات العليا (الماجستير) ، سلام
عبد الواحد جبارة ، جامعة البصرة - كلية التربية ، ٢٠١١ م .
- ◆ الغزل العذري ليس عذرياً ، (بحث) للدكتور . حسن جبار محمد الشمسي ،
جامعة البصرة ، كلية التربية .
- ◆ في مفهوم الإيقاع ، الدكتور . محمد الهادي الطرابلسي ، حوليات الجامعة
التونسية ، العدد الثاني والثلاثون ، تونس ، ١٩٩١ م .
- ◆ مجلة المعرفة السورية ، العدد السابع والعشرون ، السنة الثالثة ، ١٩٦٤ م .
- ◆ محاضرات ، الدكتور . خليل حاوي ، مجلة كلية التربية ، الجامعة اللبنانية ،
السنة الرابعة ، ١٩٧١ - ١٩٧٢ م .
- ◆ مظاهر الخصب والإشراق والحنين في الغزل العذري وأصولها الجاهلية ،
الدكتور . عبد المنعم الزبيدي ، مستهل من مجلة المربد التي تصدر عن كلية
الآداب بجامعة البصرة ، دار الطباعة الحديثة ، بصرة - عشار ، العدد ٢ -
٣ ، ١٩٦٩ م .
- ◆ من محاضرة ألقاها الدكتور . مولود محمد زايد ، على طلبة المرحلة الثالثة ،
كلية التربية ، جامعة ميسان ، الاثنين ، ٢٣ / ٣ / ٢٠٠٨ م .

- ◆ نظرية الحب عند الشعراء التروبادور وأثرها في دراسة الغزل الأموي ، الدكتور . إبراهيم أحمد ملحم ، مجلة : عالم الفكر ، يوليو ، سبتمبر ، ٢٠٠٠ م ، المجلد التاسع والعشرين ، العدد الأول ، الكويت .
- ◆ الوجودية في الجاهلية ، فالترباونه ، مجلة المعرفة السورية ، السنة الثانية ، العدد الرابع ، حزيران ، ١٩٦٣ م .

الرسائل الجامعية

- ◆ البناء الفني لشعر الحب العذري في العصر الأموي ، سناء حميد البياتي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٨٩ م .
- ◆ شعر عمر بن أبي ربيعة (دراسة أسلوبية) ، أمل عبد الله سلمان ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- ◆ شعر الغزل العذري في العصر العباسي (شعراؤه واتجاهاته الموضوعية والفنية) ، لينا عبد ربه خورشيد الشخشير ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الآداب ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- ◆ شعر لبيد بن ربيعة العامري (دراسة نقدية) ، خالد علي مصطفى ، أطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ◆ الصورة الأدبية في الشعر الأموي ، محمد حسين علي الصغير ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٧٥ م .
- ◆ غزل الفرسان في الشعر العربي ، سعد إبراهيم عبد المجيد ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، ١٩٩٥ م .
- ◆ المكان عند شعراء الغزل العذري في العصر الأموي ، بشائر أمير عبد السادة الفتلاوي ، رسالة ماجستير ، جامعة بابل ، كلية التربية ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- ◆ نشأة القصيدة المطولة في الشعر العربي قبل الإسلام ، جنان محمد عبد الجليل ، أطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، ٢٠٠٠ م .
- ◆ نقد الغزل العذري في العصر الأموي قديماً وحديثاً دراسة تقويمية ، عبده صالح ثابت الدباني ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ٢٠٠٣ م .

ABSTRACT

ABSTRACT

And then, our research is partaking of the pure yarn from its origin, bundling and its artistic structure, and it is considering from the subjects that lack for individual studies belong for it, so we have to pay attention and see what achieved these studies from results.

It was from the significant results that our studies got it, which we can be summarized it's asfollowing:

◆ The pure yarn is generated in pre-Islamic age not in Amawi age, it discussed by elicited researchers .so the environment and the woman value and social system at that time were so helpful on chaste love and pure yarn, where the stories which talked about the lovers in Amawi age had left a great trace for yarn and love stories in Europe at middle age extending to pure lovers stories in pre-Islamic age, effected by it and colored by its colors.

◆ The origin of pure yarn in pre-Islamic ageand the features and the stories of pure lovers starting from the great Muqarash and his lover Esmaa where it was the first seed for such type of stories andalso they consider from the firsts that put the base of pure yarn school in pre-Islamic ageand a lot of students in Amawi and Islamic age had graduated from this school.

◆ Despite that chaste side impose its control on pure yarn , and we found it not cancel the woman as second part in experiment of human love , so it is not cancel the beauty of woman and what the beauty reveal from sensuality desires.

♦ The pure yarn or the chaste is a color from the lisle colors where a number of researchers returned its establishment to the effect of Islam then they brought some of Quran Ayats and prophet talks for guiding their theories , and we had searched in their evidence but we didn't find any Quran text referring the chaste in love , then the talk that they referred to it which is saying (who love is chaste)objectively talk .so we could not find it in dependent talk books , then the pure yarn poets not be chaste with accurate meaning for this word , the chaste in their poetry not resistance alone , and that the evidence for their honesty , generosity in their love and their poetry a sensitive picture not suitable with commitment that known by the honesties , then it shown for us that the pure yarn not representing in both of it with what coordinate with religion instructions which encourage on several trace of its trace .

♦ The meaning of an old pure yarn remained prepossess the Islamic and Amawi poets , because they were fond with activation of pre-Islamic age poetry , and as well as theartistic architecture of pre-Islamic age has been dominating in the poem of the Islamic and Amawi ,It was clearto us that the traditional image of womenretainedits positionat the pure yarn poets in the Islamic and Amawi age ,so their imagination clung to this poetic heritage which deals with women's content and artistic images.

♦ That most of the opinions of moral, social base or heart had called the poet lover idealism in love, so it the entered into love, and pray for the lover and so on ,this is from one hand, and praised the poetry in which the deterioration of the loved and the other positive features, based on the concept of

Love and the etiquette of the ancient Arabs from another hand.

♦ Arabic language used by poets of pure yarn inpre-Islamic age, based on suggestions and vocalizations with strong emotional connotations ,as well as what is required of them from delinquency to pull off the clear terms that expose the truth about their suffering and the simplicity of their experiences.

♦ The yarn introduction was not dimmed in the artistic construction, and indications are scarce, but it carried the meaning of human contact is the most complex human problems(the problem of lifeand death) and the poets tried to solve this problem by the victory of life on death ,achieving into the motives of psychological imposed by their sense of optimism and sense of tyranny of the meanings of death in the fate, all related to the vision of the excusatory poets and looked forward to life as spiritual starting point.

♦ We found that the language in pure yarn has a significant effect and that the pre-Islamic poetic lexicon may richest poets with words and expressions with implications and suggestions powerful emotional ,it is the language of words tend to pull off the obvious sincerity disclose their suffering and the simplicity of their experiences.

♦ Pure yarn is distinguished with easily artistic and touch, as well as the simplicity of the meanings and conducted and the simplicity and ease of supply and honesty and heat in expression.

♦ Found through research and investigation that poetry picture for the poets of pure yarn inthe Amawi and Islamic

age is an extension of pre-Islamic tradition of poets and especially the poetry of **(AntraIbnShadad)** who marked their poetry highly artistic taste and highly potential for the accurate and the expressed .

♦ As summary it can bereached by critics in their theses with regard to their studies for pure yarn from artistic side as ..

- The poemsof pure yarn is distinguished with Thematic unity and signature hits
- The language in pure yarn was easy and spontaneous.
- Supernatural ability of language to transform love to poetry.
- Consortmusic with poetic meanings and emotions.

♦ It shown for us from searching and checking that the pre-Islamic poets of pure yarn have awarded the importance of interior music in their poetry , they wanted to achieve it by Crawl and Atbara and inlay and the other arts such as the rhetorical counter point and alliteration and other, and also they assured on the importance of repeating in their poetry because they were able to pronounce the letters and speaking and the phrases hormonally and empower the music bell which is Which raises in them excited and tortured , and we have observed that the pre- Islamic pure poet baptizing in most of the time into repeating ,Perhaps this translation to the deprivation and suffering, deprivation of meeting beloved, and the deprivation from achieving the aspirations of his mind.

Maiden Courtship

until the end of Amawi century

**It's Origin Stimuluses and It's art
Constitution**

Dissertation Presented by the Student

Karim Khassim Jabber Al Rubaii

**To the Board of the Faculty of Education / University of
Basra**

**It's a part from the requests for getting the master
certificate in Arab Language and it's**

Literatures

Under the supervision of

The Assistant Professor

Dr : Gabbar Auda Beden Al Shihman

1012 A . D – 1433 A . H